الصَّيدُ الثَّمِين في رَسَائِل ابن عُثَيمِين

بقلم فضيلة الشيخ

محمد الصالح العثيمين

الجزء الأول

دار الثقة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



مكة المكرمة - العزيزية - مدخل جامعة أم القرى
تلفون: ٥٥٨١٥٤١

الصيد الثمين
في
رسائل ابن عثيمين

الرسالة الأولى

زاد الداعية إلى الله عز وجل

كتبها أحد طلبة الشيخ



بسم الله الرحمٰن الرحيم
التعريف بهذه السلسلة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: -

أما بعد: -

فيسرني أخي في الله أن أقدم لك أول ثمار هذه السلسة المباركة التي أسأل الله عز وجل أن يجعلها خالصة لوجهه نافعة لعباده وأن يثيب فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين ويعلي درجته حيث لم يبخل فضيلته بشيء في خدمة هذه السلسلة من تشجيع عليها ومراجعة لما يراد نشره فجزاه الله عنا وعن المسلمين كل خير.

وهذه السلسلة تتكون من مجموعة من المحاضرات التي ألقاها فضيلة الشيخ حفظه الله في مناسبات متعددة ومواضيع متنوعة.

وستمر هذه السلسلة بمشيئة الله تعالى بمرحلتين: -

المرحلة الأولى: إخراج كل رسالة على حدة والذي دعا إلى ذلك الحاجة الملحة إليها وحتى تكون في متناول طلبة العلم في أسرع وقت ممكن.

المرحلة الثانية: وهي المقصودة في الأصل بحيث تخرج الرسائل جميعاً في مجلد واحد مرتبة حسب الموضوعات التي تطرق إليها فضيلة الشيخ حفظه الله ولما كانت هذه المرحلة تحتاج إلى وقت طويل كان من المناسب أن تخرج كل رسالة مستقلة إلى أن يتم ما نريده بمشيئة الله عز وجل.

هذا وأسأل الله عز وجل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه موافقة لشرعه إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبها

أحد طلبة الشيخ

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

* * *

بسم الله الرحمٰن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده وترك أمته على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياكم من أتباعه باطناً وظاهراً، وأن يتوفانا على ملته، وأن يحشرنا في زمرته، وأن يدخلنا في شفاعته، وأن يجمعنا به في جنات النعيم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء والصالحين.

أما بعد ـ فأيها الإخوة: إنه ليسرني أن ألتقي بإخواني المسلمين هنا[1] وفي أي مكان آخر يرجى منه الخير ونشر هذا الدين، لأن الله تعالى أخذ على كل من أعطاه علما أخذ عليه ميثاقاً بما أعطاه من العلم أن يبينه للناس ولا يكتمه كما قال الله تعالى: **﴿وإذ أخذ الله ميثاقَ الذين أُوتوا الكتاب لَتُبيِّنُنّه للناسِ ولا تكتمونه﴾**[2]، وهذا الميثاق الذي أخذه الله ليس وثيقة تكتب ويشاهدها الناس ولكنها وثيقة تعلم بما أعطى الله صاحبها من العلم فإذا أعطاه الله العلم فإن هذه هي الوثيقة التي واثق الله بها هذا الرجل أو هذه المرأة التي أعطاها الله علماً فعلى كل من عنده علم أن يبلغ ما

---

(١) جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة.

(٢) سورة آل عمران، الآية: «١٨٧».

علمه من شريعة الله سبحانه وتعالى في أي مكان وفي أي مناسبة.

أيها الإخوة: - إن موضوع محاضرتنا هذه **«زاد الداعية إلى الله عز وجل»** والزاد لكل مسلم هو ما بينه الله عز وجل في قوله: **﴿وتزودوا فإن خيرَ الزادِ التقوى﴾**[1]، فزاد كل مسلمٍ هي تقوى الله عز وجل التي كرر الله تعالى ذكرها في القرآن أمراً وثناءً على من قام بها وبياناً لثوابه وغير ذلك من أساليب الكلام **﴿وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضُها السماوات والأرضُ أعِدتْ للمتقين. الذين ينفقون في السراءِ والضراء والكاظمينَ الغيظَ والعافين عن الناس والله يحبُ المحسنين. والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسَهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفرُ الذنوبَ إلا الله ولم يُصِرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون. أوّلئك جزاؤهم مغفرةٌ من ربهم وجناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدينَ فيها ونعمَ أجرُ العاملين﴾**[2].

* **أيها الإخوة الكرام**: ربما تقولون: ما هي التقوى؟ **فالجواب**: ما أثر عن طلق بن حبيب رحمه الله حيث قال:

(التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك ما نهى الله على نور من الله تخشى عقاب الله). فجمع في هذه العبارات بين العلم والعمل واحتساب الثواب والخوف من العقاب فهذه هي التقوى.

وإننا نعلم جميعاً أن الداعية إلى الله عز وجل أولى الناس أن يتحلى بهذا الخلق بتقوى الله في السر والعلن. وإنني ذاكر بمعونة الله عز وجل في هذا المقام ما يتعلق بالداعية وما ينبغي أن يتزود به: -

الزاد الأول: أن يكون الداعية على علم فيما يدعو إليه، على علم صحيح مرتكز على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لأن كل علم يُتلقّى من سواهما فإنه يجب أن يُعرَض عليهما أولاً وبعد عرضه فإما أن يكون موافقاً

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣ - ١٣٦.

أو مخالفاً. فإن كان موافقاً قُبل، وإن كان مخالفاً وجب رده على قائله كائناً من كان فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله: وتقولون: قال أبو بكر وعمر). إذا كان هذا في قول أبي بكر وعمر الذي يُعارض به قول رسول الله ﷺ فما بالكم بقول من دونهما في العلم والتقوى والصحبة والخلافة إن ردّ قوله إذا خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من باب أولى، ولقد قال عز وجل: ﴿**فليحذر الذينَ يخالفون عن أمرهِ أن تُصيبَهُم فتنةٌ أو يُصِيبَهُم عذابٌ أليم**﴾[1]، قال الإمام أحمد رحمه الله: (أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك).

وإن أول زاد يتزود به الداعية إلى الله عز وجل أن يكون على علم مستمد من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ الصحيحة المقبولة وأما الدعوة بدون علم فإنها دعوة على جهل والدعوة على الجهل ضررها أكبر من نفعها لأن هذا الداعية قد نصب نفسه موجهاً ومرشداً فإذا كان جاهلاً فإنه بذلك يكون ضالاً مضلاً والعياذ بالله ويكون جهله هذا جهلاً مركباً والجهل المركب أشد من الجهل البسيط فالجهل البسيط يمسك صاحبه ولا يتكلم ويمكن رفعه بالتعلم ولكن المشكلة كل المشكلة في حال الجاهل المركب إن هذا الجاهل المركب لن يسكت بل سيتكلم ولو عن جهل وحينئذ يكون مدمراً أكثر ما يكون منوراً.

أيها الأخوة: إن الدعوة إلى الله على غير علم خلاف ما كان عليه النبي ﷺ ومن اتبعه استمعوا إلى قول الله تعالى آمراً نبيه محمداً ﷺ حيث قال: ﴿**قُل هذهِ سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾[2] فقال: ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني أي أن من اتبعه ﷺ فإنه لا بد أن يدعو إلى الله على بصيرة لا على جهل.

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

وتأمل أيها الداعية لله قول الله تعالى: ﴿على بصيرة﴾ أي على بصيرة في ثلاثة أمور: -

١ - على بصيرة فيما يدعو إليه بأن يكون عالماً بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه لأنه قد يدعو إلى شيء يظنه واجباً وهو في شرع الله غير واجب فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به وقد يدعو إلى ترك شيء يظنه محرماً وهو في دين الله غير محرم فيحرم على عباد الله ما أحله الله لهم.

٢ - على بصيرة في حال المدعو ولهذا لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: «**إنك ستأتي قوماً أهل كتاب**». ليعرف حالهم ويستعد لهم. فلا بد أن تعلم حال هذا المدعو ما مستواه العلمي؟ وما مستواه الجدلي؟ حتى تتأهب له فتناقشه وتجادله إذا دخلت مع مثل هذا في جدال وكان عليك لقوة جدله صار في هذا نكبة عظيمة على الحق وأنت سببها، ولا تظن أن صاحب الباطل يخفق بكل حال فإن الرسول ﷺ قال: «إنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو مما أسمع»، فهذا يدل على أن المخاصم وإن كان مبطلاً قد يكون ألحن بحجته من الآخر فيُقضي بحسب ما تكلم به هذا المخاصم فلا بد أن تكون عالماً بحال المدعو.

٣ - على بصيرة في كيفية الدعوة قال الله تعالى: ﴿**ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادلهُم بالتي هي أحسن**﴾[1].

وبعض الناس قد يجد المنكر فيهم فيهجم عليه ولا يفكر في العواقب الناتجة عن ذلك لا بالنسبة له وحده ولكن بالنسة له ولنظرائه من الدعاة إلى الحق لذا يجب على الداعية قبل أن يتحرك أن ينظر إلى النتائج ويقيس. قد يكون في تلك الساعة ما يطفىء لهيب غيرته فيما صنع، لكن سيخمد

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

هذا الفعل نار غيرته وغيرة غيره في المستقبل، قد يكون في المستقبل القريب دون البعيد، لهذا أحث إخواني الدعاة على استعمال الحكمة والتأني، والأمر وإن تأخر قليلاً لكن العاقبة حميدة بمشيئة الله تعالى.

وإذ كان هذا أعني تزود الداعية بالعلم الصحيح المبني على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، هو مدلول النصوص الشرعية فإنه كذلك مدلول العقول الصريحة التي ليس فيها شبهات ولا شهوات لأنك كيف تدعو إلى الله عز وجل وأنت لا تعلم الطريق الموصل إليه، لا تعلم شريعته كيف يصح أن تكون داعية؟!

فإذا لم يكن الإنسان ذا علم فإن الأولى به أن يتعلم أولاً ثم يدعو ثانياً: قد يقول قائل: هل قولك هذا يعارض قول النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»؟

فالجواب: لا لأن الرسول ﷺ يقول: «بلغوا عني» إذاً فلا بد أن يكون ما نبلغه قد صدر عن رسول الله ﷺ هذا هو ما نريده ولسنا عندما نقول أن الداعية محتاج إلى العلم لسنا نقول إنه لا بد أن يبلُغ شوطاً بعيداً في العلم ولكننا نقول: لا يدعو إلا بما يعلم فقط ولا يتكلم بما لا يعلم.

الزاد الثاني: أن يكون الداعية صابراً على دعوته، صابراً على ما يدعو إليه، صابراً على ما يعترض دعوته، صابراً على ما يعترضه هو من الأذى.

أن يكون صابراً على الدعوة أي مثابراً عليها لا يقطعها ولا يمل بل يكون مستمراً في دعوته إلى الله بقدر المستطاع وفي المجالات التي تكون الدعوة فيها أنفع وأولى وأبلغ، وليصبر على الدعوة ولا يمل فإن الإنسان إذا طرقه الملل استحسر وترك، ولكن إذا كان مثابراً على دعوته فإنه ينال أجر الصابرين من وجه، وتكون له العاقبة من وجه آخر، واستمع إلى قول الله عز وجل مخاطباً نبيه: ﴿**تلكَ من أنباءِ الغيبِ نوحيها إليكَ ما كنتَ تعلمُها أنتَ ولا قومُك من قبلِ هذَا فاصبر إن العاقبَةَ للمتقين**﴾[1].

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٩.

ولا بد أن يكون الإنسان صابراً على ما يعترض دعوته من معارضات ومجادلات لأن كل إنسان يقوم داعياً إلى الله عز وجل لا بد أن يعارض **﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفي بربك هادياً ونصيراً﴾**[1] فكل دعوة حقة لا بد أن يقوم لها معارض، لا بد أن يقوم لها ممانع، ومجادل فيها ومشكك، ولكن يجب على الداعية أن يصبر على ما يعترض دعوته حتى لو وصفت تلك الدعوة بأنها خطأ أو أنها باطل وهو يدرك أنها مقتضى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فليصبر على ذلك.

ولكن هذا لا يعني أن الإنسان يصرّ على ما يقول وما يدعو إليه وإن تَبين له الحق، فإن الذي يصر على ما يدعو إليه وإن تبين له الحق يشبه من قال الله فيهم: **﴿يجادلونك في الحق بعد ما تبين﴾**[2] والمجادلة في الحق بعد ما تبين صفة مذمومة وقد قال الله فيمن اتصف بها: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وسآءت مصيراً﴾**[3] فما يعترض دعوتك أيها الداعية إن كان حقاً فالواجب عليك الرجوع إليه، وإن كان باطلاً فلا يثني عزمك عن المضي قدماً في دعوتك.

كذلك لا بد أن يكون الداعية صابراً على ما يعترضه هو من الأذى لأن الداعي لا بد أن يؤذي إما بالقول وإما بالفعل وها هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أُوذوا بالقول أو أوذوا بالفعل اقرأ قول الله عز وجل: **﴿كذلك مَا أَتَى الذينَ من قبلِهم من رسولٍ إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون﴾**[4]. ما رأيك فيمن يأتيه الوحي من ربه ويقال في وجهه إنك ساحر أو مجنون؟ لا شك أنه يتأذى ومع هذا فالرسل صبروا على ما أُوذوا بالقول وعلى ما أُوذوا بالفعل؛ انظر إلى أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام كان قومه

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٢.

يمرون به وهو يصنع الفلك ويسخرون به فيقول لهم: ﴿إن تسخروا منّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون. فسوفَ تعلمونَ ما يأتِيه عذابٌ يُخزِيه ويحلّ عليهِ عذابٌ مقيم﴾[1]، ولم يقتصر الأمر بهم على السخرية به بل توعدوه بالقتل: ﴿قالوا لئن لم تنتهِ يا نوحُ لتكوننَّ من المرجومين﴾[2] أي من المقتولين رمياً بالحجارة. هنا توعد بالقتل مع تهديد بأنا قد رجمنا غيرك إظهاراً لعزتهم وأنهم قد رجموا آخرين وأنتَ منهم ولكن هذا لم يثنِ نوحاً عليه الصلاة والسلام عن دعوته بل استمر حتى فتح الله بينه وبين قومه، وهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام قابله قومه بالرفض بل شهّروا به بين الناس ﴿قالوا فأتوا بهِ على أعينِ الناسِ لعلهُم يشهدون﴾[3].

ثم توعدوه بالإحراق ﴿قالوا حرّقوهُ وانصروا آلهتكُم إن كنتم فاعلين﴾[4] فأوقدوا ناراً عظيمة ورموه بالمنجنيق لبعدهم عنها لشدة حرارتها ولكن قال رب العزة والجلال: ﴿قلنا يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾[5]، فكانت برداً وسلاماً ونجا منها فكانت العاقبة لإبراهيم ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾[6]، وهذا موسى عليه الصلاة والسلام توعده فرعون بالقتل فقال: ﴿ذروني أقتلْ موسى وليدعُ ربَّه إنّي أخافُ أن يبدِّل دينكم أو أن يظهرَ في الأرض الفساد﴾[7] فتوعده بالقتل ولكن آخر الأمر كانت العقبى لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾[8]، وهذا عيسى عليه الصلاة والسلام حصل له من الأذية ما حصل حتى رماه اليهود بأنه ابن بغي وقتلوه على زعمهم

---

(١) سورة هود، الآيتان: ٣٨، ٣٩.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ١١٦.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٦١.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٦٨.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.
(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٧٠.
(٨) سورة غافر، الآية: ٢٦.
(٩) سورة غافر، الآية: ٤٥.

وصلبوه ولكن الله تعالى يقول: ﴿**وما قتلوهُ وَما صلبوهُ ولكن شُبِهَ لَهُم وإنَّ الذينَ اختلفوا فيهِ لَفي شَكٍ منهُ ما لهم بهِ من علمٍ إلا اتِّباع الظن وما قتلوهُ يقيناً. بل رفعهُ الله إليهِ وكان الله عزيزاً حكيماً**﴾[1] فنجَّيَ منهم، وهذا خاتم الرسل وإمامهم وسيد بني آدم محمد ﷺ قال الله عنـه: ﴿**وإذ يمكرُ بـكَ الذينَ كفروا ليثبتوكَ أو يقتلوكَ أو يخرجوكَ ويمكرونَ ويمكرُ الله والله خيرُ الماكرين**﴾[2]، ﴿**وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون**﴾[3]، ﴿**ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون**﴾[4]، وحصل من أذيتهم القولية والفعلية وما هو معلوم لدى العلماء في التاريخ ومع هذا صبر فكانت العاقبة له. إذن فكل داعية لا بد أن يناله أذىً ولكن عليه أن يصبـر ولهذا لما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿**إنّا نحنُ نزَّلنا عليكَ القرآنَ تنزيلاً**﴾[5] كان من المتوقع أن يقول الله فاشكر نعمة الله على تنزيل هذا القرآن، ولكن الله قال له: ﴿**فاصبرْ لحُكمِ ربك**﴾[6] إشارة إلى أن كل من قام بهذا القرآن فلا بد أن يناله ما يناله من الأمور التي تحتاج إلى صبر عظيم، فعلى الداعية أن يكون صبورا وأن يستمر حتى يفتح الله له، وليس من الضروري أن يفتح الله له في حياته بل إن المهم أن تبقى دعوته بين الناس ناصعة متبوعة ليس المهم الشخص ولكن المهم الدعوة، فإذا بقيت دعوته ولو بعد موته فإنه حي قال الله عز وجل: ﴿**أَو من كان ميتاً فأحييناهُ وجعلنا لهُ نوراً يمشي به في الناس كمن مثلهُ في الظلماتِ ليسَ بخارجٍ منها**﴾[7]، ففي الحقيقة أن حياة الداعية ليس معناها أن تبقى روحه في جسمه فقط بل أن تبقى مقالته حية بين الناس، وانظر إلى قصة أبي سفيان مع هرقل حين قدم عليه في

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٧، ١٥٨.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٦.
(٤) سورة الصافات، الآية: ٣٦.
(٥) سورة الإنسان، الآية: ٢٣.
(٦) سورة الإنسان، الآية: ٢٤.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

السنة السابعة للهجرة فلما سمع به هرقل وكان قد سمع بمخرج النبي ﷺ دعا أبا سفيان فسأله عن النبي ﷺ عن ذاته، ونسبه، وما يدعو إليه، وأصحابه فلما أخبره أبو سفيان عما سأله عنه قال هرقل له: (إن كان ما تقول حقاً فسيملك ما تحت قدمين هاتين). سبحان الله من يتصور أن ملكاً امبراطورياً كما يقولون يقول مثل هذا القول في محمد ﷺ وهو مع ذلك لم يحرر جزيرة العرب من رق الشيطان والهوى؟ من يتصور أن مثل هذا الرجل يقول مثل هذا القول؟، ولهذا لما خرج أبو سفيان قال لقومه: (لقد أَمِر أمر ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر). «أَمِر» يعني عظم ومنه قوله تعالى: ﴿لقد جئتَ شيئاً إمْرَا﴾(١) أي عظيماً.

وقد ملك النبي ﷺ ما تحت قدمي هرقل بدعوته لا بشخصه لأن دعوته أتت على هذه الأرض واكتسحت الأوثان، والشرك وأصحابه وملكها الخلفاء الراشدون بعد محمد ﷺ، ملكوها بدعوة النبي ﷺ، وبشريعة النبي ﷺ. إذن على الداعية أن يصبر وستكون العاقبة له إذا كان صادقاً مع الله، سواء في حياته أو بعد مماته.

﴿قال موسىٰ لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾(٢)، وقال الله تعالى: **﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾**(٣).

الزاد الثالث: الحكمة فيدعو إلى الله بالحكمة وما أمرَّ الحِكمة على غير ذي الحكمة. الدعوة إلى الله بالحكمة ثم بالموعظة الحسنة ثم الجدال بالتي هي أحسن لغير الظالم ثم الجدال بما ليس أحسن للظالم فالمراتب إذن أربع. قال الله تعالى: **﴿ادعُ إلى سبيل ربِّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادلهُم بالتي هي أحسن﴾**(٤) وقال تعالى: **﴿ولا تُجادلوا أهلَ**

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة يوسف،، الآية: ٩٠.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

الكتابِ إلا بالتي هي أحسنُ إلا الذينَ ظلموا منهم﴾[1].

إن الحكمة: إتقان الأمور وإحكامها بأن تنزل الأمور منازلها وتوضع في مواضعها ليس من الحكمة أن تتعجل وتريد من الناس أن ينقلبوا عن حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة بين عشية وضحاها. ومن أراد ذلك فهو سفيه في عقله بعيد عن الحكمة لأن حكمة الله عز وجل تأبى أن يكون هذا الأمر ويدلك لهذا أن محمداً رسول الله ﷺ وهو الذي ينزل عليه الكتاب نزل عليه الشرع متدرجاً حتى استقر في النفوس وكمل. فرضت الصلاة في المعراج قبل الهجرة بثلاث سنوات وقيل سنة ونصف وقيل خمس سنين على خلاف بين العلماء في هذا.. ومع هذا لم تفرض على وضعها الآن، أول ما فرضت كانت ركعتين للظهر والعصر والعشاء والفجر وكانت المغرب ثلاثاً لأجل أن تكون وتراً للنهار وبعد الهجرة وبعد أن أمضى رسول الله ﷺ ثلاث عشر سنة في مكة زيدت صلاة الحضر فصارت أربعاً في الظهر والعصر والعشاء وبقيت صلاة الفجر على ما هي عليه لأنها تطول فيها القراءة وبقيت المغرب ثلاثاً لأنها وتر النهار. والزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة أو فرضت في مكة لكنها لم تقدر تقديراً في انصبائها وواجبها ولم يبعث النبي ﷺ السعاة لأخذ الزكاة إلا في السنة التاسعة من الهجرة فكان تطور الزكاة على ثلاث مراحل: في مكة ﴿وآتوا حقَّهُ يومَ حصادِهِ﴾[2] ولم يبين الواجب ولا مقدراً ما يجب فيه ذلك الواجب وجعل الأمر موكولاً إلى الناس، وفي السنة الثانية من الهجرة بينت الزكاة بانصبائها وفي السنة التاسعة من الهجرة صار النبي ﷺ يبعث السعاة إلى أهل المواشي والثمار لأخذها. فتأمل مراعاة أحول الناس في تشريع الله عز وجل وهو أحكم الحاكمين. وكذلك في الصيام لا يخفي علينا أنه تطور في تشريعه فكان أول ما فرض يخير الإنسان بين أن يصوم أو يطعم ثم تعين الصيام وصار الإطعام لمن لا يستطيع الصوم على وجه مستمر.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

أقول إن الحكمة تأبى أن يتغير العالم بين عشية وضحاها فلا بد من طول النفس وأقبل من أخيك الذي تدعوه ما عنده اليوم من الحق وتدرج معه شيئاً فشيئاً حتى تنتشله من الباطل، ولا يكن الناس عندك على حد سواء فهناك فرق بين الجاهل والمعاند.

ولعل من المناسب أن أضرب أمثلة من دعوة الرسول ﷺ: -

المثال الأول: دخل رجل أعرابي والنبي ﷺ جالس في أصحابه في المسجد فبال الأعرابي في طائفة من المسجد فزجره الناس - والزجر هو النهر بشدة - ولكن النبي ﷺ وهو الذي أعطاه الله تعالى الحكمة نهاهم فلما قضى بوله أمر ﷺ أن يُرَاقَ على بوله ذنوباً من ماء - يعني دلواً - فزالت المفسدة فدعا الرسول ﷺ الأعرابي فقال له: «إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذى أو القذر إنما هي للصلاة وقراءة القرآن» أو كما قال ﷺ فانشرح صدر الأعرابي لهذه المعاملة الحسنة ولهذا رأيت بعض أهل العلم نقل أن هذا الأعرابي قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً. لأن محمداً ﷺ عامله هذه المعاملة الطيبة أما الصحابة رضوان الله عليهم فسعوا في إزالة المنكر من غيرِ تقدير لحال هذا الرجل الجاهل.

المثال الثاني: معاوية بن الحكم رضي الله عنه جاء والنبي ﷺ يصلي بالناس فعطس رجل من القوم فقال: الحمد لله - فإذا عطس أحد في الصلاة فليقل: الحمد لله سواءً في القيام أو في الركوع أو في السجود - قال هذا الرجل: الحمد لله، فقال له معاوية: يرحمك الله وهذا خطاب لآدمي يبطل الصلاة فرماه الناس بأبصارهم وجعلوا ينظرون إليه فقال معاوية: - وأثكل أُمِّياه - والثكل الفقد وهذه كلمة تقال ولا يراد معناها وقد قالها النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قال قلت: - بلى يا رسول الله. قال: كف عليك هذا أخذ بلسانه وقال: كفه عليك فقال معاذ - وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به قال: «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» ثم مضى معاوية رضي الله عنه في صلاته فلما أتم الصلاة دعاه

النبي ﷺ قال معاوية رضي الله عنه: فوالله ما رأيت معلماً أحسن تعليماً منه ـ اللهم ﷺ ـ والله ما كهرني ولا نهرني وإنما قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»، أو كما قال ﷺ. انظر إلى الدعوة المحببة إلى النفوس يقبلها الإنسان وينشرح بها صدره.

ونأخذ من الحديث من الفوائد الفقهية: ـ أن من تكلم في الصلاة وهو لا يدري أن الكلام يبطل الصلاة فإن صلاته صحيحة.

المثال الثالث: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت. قال: «ما أهلكك؟». قال: وقعت على امرأتي في رمضان وأنا صائم. فأمره النبي ﷺ أن يعتق رقبة، فقال: لا أجد ثم أمره أن يصوم شهرين متتابعين، قال: لا أستطيع ثم أمره أن يطعم ستين مسكيناً، فقال: لا أستطيع، فجلس الرجل. فأُتى النبي ﷺ بتمر فقال: خذ هذا فتصدق به. ولكن الرجل طمع في كرم النبي ﷺ الذي هو أعظم كرم لمخلوق فإن رسول الله ﷺ أكرم الناس فقال الرجل أعلى أفقر مني يا رسول الله والله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر مني فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه أو نواجذه لأن هذا الرجل جاء خائفاً يقول: «هلكت» فذهب غانماً فقال النبي ﷺ «أطعمه أهلك» فذهب الرجل مطمئناً غانماً فرحاً بهذا الدين الإسلامي وبهذا اليسر من الداعية الأول لهذا الدين الإسلامي صلوات الله وسلامه عليه.

المثال الرابع: ولننظر كيف عامل النبي ﷺ مرتكب الإثم: ـ رأى النبي ﷺ رجلاً وفي يده خاتم ذهب فنزعه النبي ﷺ بيده الكريمة وطرحه في الأرض وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيضعها في يده»، فالنبي ﷺ لم يعامله معاملة الأولين بل نزعه من يده وطرحه في الأرض فلما انصرف النبي ﷺ قيل له خذ خاتمك انتفع به فقال: والله لا آخذ خاتماً طرحه النبي ﷺ ـ الله أكبر هذا الامتثال العظيم من الصحابة رضوان الله عليهم ـ.

المهم أنه يجب على الداعية أن يدعو إلى الله عز وجل بالحكمة

فليس الجاهل كالعالم وليس المعاند كالمستسلم فلكل مقام مقال ولكل منزلة حال.

الزاد الرابع: أن يتخلق الداعية بالأخلاق الفاضلة [يتخلق بأخلاق الداعية] بحيث يظهر عليه أثر العلم في معتقده وفي عبادته وفي هيئته وفي جميع مسلكه حتى يمثل دور الداعية إلى الله أما أن يكون على العكس من ذلك فإن دعوته سوف تفشل وإن نجحت فإنما نجاحها قليل.

فعلى الداعية أن يكون متخلقاً بما يدعو إليه من عبادات أو معاملات أو أخلاق وسلوك حتى تكون دعوته مقبولة وحتى لا يكون من أول من تسعر بهم النار.

أيها الإخوة: إننا إذا نظرنا إلى أحوالنا وجدنا أننا في الواقع قد ندعو إلى شيء ولكننا لا نقوم به وهذا لا شك أنه خلل كبير، اللهم إلا أن يحول بيننا وبينه النظر إلى ما هو أصلح لأن لكل مقام مقالاً فالشيء الفاضل قد يكون مفضولاً لأمور تجعل المفضول راجحاً ولهذا كان الرسول ﷺ يدعو إلى بعض الخصال ولكنه يشتغل أحياناً بما هو أهم منها وربما يصوم حتى يقال لا يفطر، ويفطر حتى يقال لا يصوم.

أيها الإخوة: إنني أريد من كل داعية أن يكون متخلقاً بالأخلاق التي تليق بالداعية حتى يكون داعية حقاً وحتى يكون قوله أقرب إلى القبول.

الزاد الخامس: كسر الحواجز بينه وبين الناس لأن كثيراً من إخواننا الدعاة إذا رأى قوماً على منكر قد تحمله الغيرة وكراهة هذا المنكر على أن لا يذهب إلى هؤلاء ولا ينصحهم، وهذا خطأ وليس من الحكمة أبداً بل الحكمة أن تذهب وتدعو وتبلغ وترغب وترهب ولا تقل هؤلاء فسقة لا يمكن أن أمشي حولهم.

إذا كنت أنت أيها الداعية المسلم لا يمكن أن تمشي حول هؤلاء ولا أن تذهب إليهم لدعوتهم إلى الله فمن الذي يتولاهم؟ أيتولاهم أحد مثلهم؟ أيتولاهم قوم لا يعلمون؟ أبداً ولهذا ينبغي للداعية أن يصبر وهذا من الصبر

الذي ذكرناه سابقاً أن يصبِّر نفسه ويكرهها وأن يكسر الحواجز بينها وبين الناس حتى يتمكن من إيصال دعوته إلى من هم في حاجة إليها، أما أن يستنكف فهذا خلاف ما كان الرسول ﷺ يفعله، والنبي ﷺ كما هو معلوم كان يذهب في أيام منى إلى المشركين في أماكنهم ويدعوهم إلى الله وقد أثر عنه أنه ﷺ قال: «ألا أحد يحملني حتى أبلغ كلام ربي فإن قريشاً منعتني أن أبلغ كلام ربي»، فإذا كان هذا دأب نبينا وإمامنا وقدوتنا محمد ﷺ فإنه من الواجب علينا أن نكون مثله في الدعوة إلى الله.

الزاد السادس: أن يكون قلبه منشرحاً لمن خالفه لا سيما إذا علم أن الذي خالفه حسن النية وأنه لم يخالفه إلا بمقتضى قيام الدليل عنده فإنه ينبغي للإنسان أن يكون مرناً في هذه الأمور وأن لا يجعل من هذا الخلاف مثاراً للعداوة والبغضاء اللهم إلا رجل خالف معانداً بحيث يبين له الحق ولكن يصر على باطله فإن هذا يجب أن يعامل بما يستحق أن يعامل به من التنفير عنه وتحذير الناس منه لأنه تبين عدوانه حيث بين له الحق فلم يمتثل.

وهناك مسائل فرعية يختلف فيها الناس وهي في الحقيقة مما وسع الله فيه على عباده - وأعني مسائل ليست من الأصول التي تبلغ إلى تكفير المخالف - فهذه مما وسع الله فيها على العباد وجعل الخطأ فيها واسعاً قال النبي ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، فالمجتهد لا يخرج عن دائرة الأجر أبداً فإما أجران إن أصاب، وإما أجر واحد إن أخطأ، وإذا كنت لا تريد أن يخالفك غيرك، فإن غيرك أيضاً يريد أن لا يخالفه أحد، فكما أنك تريد أن يأخذ الناس بقولك، فالمخالفون لك يريدون أيضاً أن يأخذ الناس بقولهم.

والمرجع عند التنازع ما بينه الله عز وجل في قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾[1]، ويقول عز وجل: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٠.

فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾[١]، فيجب على كل المختلفين والمتنازعين أن يرجعوا إلى هذين الأصلين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا يحل لأحد أن يعارض كلام الله ورسوله بكلام أحد من البشر مهما كان فإذا تبين لك الحق فالواجب أن تضرب بقول من خالفه عُرض الحائط وأن لا تلتفت إليه مهما كانت منزلته من العلم والدين لأن البشر يخطىء لكن كلام الله ورسوله ليس فيه خطأ.

ويؤسفني أن أسمع عن قوم يعتبرون جادين في طلب الحق والوصول إليه ومع ذلك نجدهم متفرقين لكل واحد منهم اسم معين أو وصف معين وهذا في الحقيقة خطأ. إن دين الله عز وجل واحد وأمة الإسلام واحدة يقول الله عز وجل: **﴿وإنَّ هذه أمتكُم أمةً واحدةً وأنا ربُكم فاتقون﴾[٢]**، ويقول الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ: **﴿إنَّ الذينَ فرقوا دِينهْم وكانوا شيعاً لستَ منهم في شيءٍ إنّما أمرهُم إلى الله ثم ينبئهُم بما كانوايفعلون﴾[٣]**، وقال عز وجل: **﴿شرعَ لكمْ من الدينِ ما وصّى بهِ نوحاً والذي أوحينا إليك وَما وصيّنا به إبراهيمَ وموسىٰ وعيسىٰ أنْ أقيموا الدينَ ولا تتفرقوا فيه﴾[٤]**، فإذا كان هذا توجيه الله عز وجل لنا فالواجب علينا أن نأخذ بهذا التوجيه وأن نجتمع على بساط البحث وأن يناقش بعضنا بعضاً على سبيل الإصلاح لا على سبيل الانتقاد أو الانتقام فإن أي إنسان يجادل غيره ويحاج بقصد الإنتصار لرأيه واحتقار رأي غيره أو لقصد الإنتقاد دون الإصلاح فإن الغالب أن يخرجوا على وجه لا يرضي الله ورسوله، فالواجب علينا في مثل هذا الأمر أن نكون أمة واحدة، وأنا لا أقول إنه لا يخطىء أحد، كل يخطىء ويصيب ولكن الكلام في الطريق إلى إصلاح الخطأ، ليس الطريق إلى اصلاح الخطأ أن أتكلم في غيبته وأقدح فيه، ولكن الطريق إلى إصلاحه،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.
(٤) سورة الشورى، الآية: ١٣.

أن أجتمع به وأُناقشه فإذا تبين بعد ذلك أن الرجل مصرّ على عناده وعلى ما هو عليه من باطل فحينئذ لي العذر ولي الحق بل يجب عليّ أن أبين خطإه وأن أحذر الناس من خطإه وبهذا تصلح الأمور، أما التفرق والتحزب فإن هذا لا تقر به عين أحد، إلا من كان عدواً للإسلام والمسلمين. والله أسأل أن يجمع قلوبنا على طاعته وأن يجعلنا من المتحاكمين إلى الله ورسوله يخلص لنا النية ويبين لنا ما خفي علينا من شريعته إنه جواد كريم.

والحمد لله رب العالمين وصلى وسلم على نبينـا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين.

تمت

* * *

رسائل في العقيدة

* نبذة في العقيدة الإسلامية.
* فتح رب البرية بتلخيص الحموية.
(لشيخ الإسلام ابن تيمية)
* رسالة في الوصول إلى القمر

تأليف

الشيخ محمّد بن صَالح بن عثيمين



الرسالة الأولى
نبذة في العقيدة الاسلامية



بسم الله الرحمٰن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليماً.

أما بعد: فـإن علم التوحيـد أشرف العلوم وأجلهـا قدراً، وأوجبهـا مطلباً، لأنه العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده، ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى وأساس شرائعه، ولـذا أجمعت الرسـل على الدعوة إليه، قال الله تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾**، وشهد لنفسه تعالى بالوحدانية، وشهد بها لـه ملائكتـه وأهل العلم، قـال الله تعالى: **﴿شهـد الله أنه لا إلـه إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾**.

ولما كان هذا شأن التوحيد، كان لزاماً على كل مسلم أن يعتني به تعلماً وتعليماً وتـدبراً واعتقـاداً، ليبني دينه على أسـاس سليم، واطمئنان وتسليم يسعد بثمراته ونتائجه.

ولجامعة الإمام محمد بن سعـود عنايـة كبيرة بهـذا العلم تظهـر في مناهجها ومقرراتها من أول المراحل العلمية فيها إلى النهاية.

وها نحن نقدم بمشيئة الله تعالى وعونه مقرر (السنة الثالثة الثانوية في المعاهد العلمية في التوحيد) حسب المنهج الجديد، نفـع الله به وجعـل العمل خالصاً لوجهه.

الدين الإسلامي:

الدين الإسلامي هو الدين الذي بعث الله به محمداً ﷺ، ختم الله به الأديان وأكمله لعباده وأتم به عليهم النعمة، ورضيه لهم ديناً، فلا يقبل من أحد ديناً سواه، قال الله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾، وقال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ وقال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾، وقال تعالى: ﴿ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

وقد فرض الله تعالى على جميع الناس أن يدينوا لله تعالى به فقال مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

والإيمان به: تصديق ما جاء به مع القبول والإذعان لا مجرد التصديق، ولهذا لم يكن أبو طالب مؤمناً بالرسول ﷺ مع تصديقه لما جاء به وشهادته بأنه من خير الأديان.

والدين الإسلامي متضمن لجميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة، متميّز عليها بكونه صالحاً لكل زمان ومكان وأمة، قال الله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه»، ومعنى كونه صالحاً لكل زمان ومكان وأمة: أن التمسك به لا ينافي مصالح الأمة في أي زمان أو مكان، بل هو صلاحها، وليس معنى ذلك أنه خاضع لكل زمان ومكان وأمة كما يريده بعض الناس.

والدين الإسلامي هو دين الحق الذي ضمن الله تعالى لمن تمسك به حق التمسك أن ينصره ويظهره على من سواه، قال الله تعالى: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾**، وقال تعالى: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّنن لهم دينهم الذي ارْتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾**.

والدين الإسلامي عقيدة وشريعة، فهو كامل في عقيدته وشرائعه.

يأمر بتوحيد الله تعالى وينهى عن الشرك.

يأمر بالصدق وينهى عن الكذب.

يأمر بالعدل[1] وينهى عن الجور.

يأمر بالأمانة وينهى عن الخيانة.

يأمر بالوفاء وينهى عن الغدر.

يأمر ببر الوالدين وينهى عن العقوق.

يأمر بصلة الأرحام وهم الأقارب وينهى عن القطيعة.

يأمر بحسن الجوار وينهى عن سيئه.

وعموم القول أن الإسلام يأمر بكل خلق فاضل، وينهى عن كل خلق سافل، ويأمر بكل عمل صالح، وينهى عن كل عمل سيء، قال الله تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون﴾**.

---

(١) العدل: هو المساواة بين المتماثلات والتفريق بين المختلفات، وليس العدل المساواة المطلقة كما ينطق به بعض الناس حين يقول: دين الإسلام دين المساواة ويطلق فإن المساواة بين المختلفات جور لا يأتي به الإسلام ولا يحمد فاعله.

أركان الإسلام

أركان الإسلام: أسسه التي ينبني عليها، وهي خمسة مذكورة فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «بني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، (وفي رواية على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله: ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج. فقال رجل: الحج وصيام رمضان، قال: لا صيام رمضان والحج. هكذا سمعته من رسول الله ﷺ. متفق عليه. واللفظ لمسلم.

أما شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فهي: الاعتقاد الجازم المعبر عنه باللسان بهذه الشهادة، كأنه بجزمه في ذلك مشاهد له. وإنما جعلت هذه الشهادة ركناً واحداً مع تعدد المشهود به، إما لأن الرسول ﷺ مبلغ عن الله تعالى، فالشهادة له بالعبودية والرسالة من تمام شهادة أن لا إله إلا الله، وإما لأن هاتين الشهادتين أساس صحة الأعمال وقبولها، إذ لا صحة لعمل ولا قبول إلا بالإخلاص لله تعالى، والمتابعة لرسوله ﷺ، فبالإخلاص لله تتحقق شهادة أن لا إله إلا الله وبالمتابعة لرسول الله تتحقق شهادة أن محمداً عبده ورسوله.

ومن ثمرات هذه الشهادة العظيمة: تحرير القلب والنفس من الرق للمخلوقين والأتباع لغير المرسلين.

وأما إقام الصلاة: فهو التعبد لله تعالى بفعلها على وجه الإستقامة والتمام في أوقاتها وهيئاتها.

ومن ثمراته: انشراح الصدر وقرة العين والإنزجار عن الفحشاء والمنكر.

وأما إيتاء الزكاة: **فهو التعبد لله تعالى ببذل القدر الواجب في الأموال الزكوية المستحقة.**

ومن ثمراته: **تطهير النفس من الخلق الرذيل (البخل)، وسد حاجة الإسلام والمسلمين.**

وأما صوم رمضان: **فهو التعبد لله تعالى بالإمساك عن المفطرات نهار رمضان.**

ومن ثمراته: ترويض النفس عن ترك المحبوبات طباً لمرضاة الله عزّ وجل.

وأما حج البيت: **فهو التعبد لله تعالى بقصد البيت الحرام للقيام بشعائر الحج.**

ومن ثمراته: ترويض النفس على بذل المجهود المالي والبدني في طاعة الله تعالى، ولهذا كان الحج نوعاً من الجهاد في سبيل الله تعالى.

وهذه الثمرات التي ذكرناها لهذه الأسس وما لم نذكره تجعل من الأمة أمة إسلامية طاهرة نقية تدين لله دين الحق، وتعامل الخلق بالعدل والصدق، لأن ما سواها من شرائع الإسلام يصلح بصلاح هذه الأسس، وتصلح أحوال الأمة بصلاح أمر دينها، ويفوتها من صلاح أحوالها بقدر ما فاتها من صلاح أمور دينها.

ومن أراد استبانة ذلك فليقرأ قوله تعالى: **﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون * أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون * أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾**. ولينظر في تاريخ من سبق، فإن في التاريخ عبرة لأولي الألباب وبصيرة لمن لم يحل دون قلبه حجاب. والله المستعان.

أسس العقيدة الإسلامية

الدين الإسلامي ـ كما سبق ـ عقيدة وشريعة، وقد أشرنا إلى شيء من شرائعه وذكرنا أركانه التي تعتبر أساساً لشرائعه.

أما العقيدة الإسلامية فأسسها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وقد دل على هذه الأُسس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ففي كتاب الله تعالى يقول الله: **﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾**، ويقول في القدر: **﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر * وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر *﴾**. وفي سنة رسول الله ﷺ يقول النبي ﷺ مجيباً لجبريل حين سأله عن الإيمان: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره». رواه مسلم.

فأما الإيمان بالله فيتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى، وقد دل على وجوده تعالى: الفطرة والعقل والشرع والحس.

أما دلالة الفطرة على وجوده فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه». رواه البخاري.

وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى فلأن هذه المخلوقات سابقها

ولاحقها لا بد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟

ولا يمكن أن توجد صدفة لأن كل حادث لا بد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والإرتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟

وإذا لم يكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سور الطور، حيث قال: ﴿**أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون ***﴾، وكان جبير يومئذ مشركاً قال: كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي. رواه البخاري مفرقاً.

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك، فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد أحاطت به الحدائق وجرت بينها الأنهار وملىء بالفرش والأسرة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفهاً من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه وأفلاكه وأحواله ونظامه البديع الباهر قد أوجد نفسه أو وجد صدفة بدون موجد؟

وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على

أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه. وما جاءت به من الأخباء الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

وأما أدلة الحس على وجود الله تعالى فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين وغوث المكروبين ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى قال الله تعالى: **﴿ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له﴾** وقال تعالى: **﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾**. وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ودعا، فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته. وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله، تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: اللهم حوالينا ولا علينا، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت.

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس أو يسمعون بها برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم.

مثال ذلك آية موسى ﷺ حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق إثني عشر طريقاً يابساً، والماء بينهما كالجبال، قال الله تعالى: **﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾**.

ومثال ثانٍ: آية عيسى ﷺ حيث كان يحيي الموتى ويخرجهم من

قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى عنه: ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾، وقال: ﴿وإذا تخرج الموتى بإذني﴾.

ومثال ثالث لمحمد ﷺ حين طلبت منه قريش آية فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا عنها ويقولوا سحر مستمر﴾.

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.

الأمر الثاني: مما يتضمنه الإيمان بالله: الإيمان بربوبيته أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

والرب: من له الخلق والملك والأمر، فلا خالق إلا الله ولا مالك إلا هو ولا أمر إلا له قال الله تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾، وقال: ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾.

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه إلا أن يكون مكابراً غير معتقد بما يقول، كما حصل من فرعون حين قال لقومه: أنا ربكم الأعلى وقال: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري. لكن ذلك ليس عن عقيدة قال الله تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾، وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾.

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكّرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون *﴾. وقال الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن

العـزيـز العليم﴾، وقـال: ﴿ولئن سألتهم من خلقهن ليقـولن الله فـأنى يؤفكون﴾.

وأمر الرب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي، فكما أنه مـدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعاً في العبادات أو حاكماً في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

الأمر الثالـث مما يتضمنه الإيمان بالله: الإيمان بألوهيته، أي بـأنه وحده الإله الحق لا شـريك لـه، والإله بمعنى المـألوه أي المعبـود حباً وتعظيماً، وقـال الله تعالى: ﴿وإلهكم إلـه واحد لا إلـه إلا هو الـرحمٰن الرحيم﴾، وقال تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾.

وكل ما اتخذ إلهاً مـع الله يعبد من دونـه فألـوهيته بـاطلة، قال الله تعالى: ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾، وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى في الـلات والعزى ومنـاة: ﴿إن هي إلا أسماء سميتمـوها أنتم وآبـاؤكم مـا أنزل الله بها من سلطان﴾(*)، وقال عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن: ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾. ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم: ﴿اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾، ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم ويستغيثون.

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

(*) وقال عن هود أنه قال لقومه: ﴿أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾.

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلق ولا تجلب نفعاً لعابديها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملك لهم حياة، ولا موتاً، ولا يملكون شيئاً من السموات ولا يشاركون فيه، قال الله تعالى: ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾، وقال: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾، وقال: ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون﴾.

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه وأبطل الباطل.

والثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما وحدوه بالربوبية كما قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾. وقال: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأني يؤفكون﴾، وقال: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون * فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون﴾.

الأمر الرابع: مما يتضمنه الإيمان بالله: الإيمان بأسمائه وصفاته أي إثبات ما أثبته الله لنسه في كتابه أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، قال الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾، وقال: ﴿وله المثل الأعلى في

السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾، وقال: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

وقد ضل في هذا الأمر طائفتان:

إحداهما: المعطلة الذين أنكروا الأسماء والصفات أو بعضها زاعمين أن إثباتها لله يستلزم التشبيه، أي تشبيه الله تعالى بخلقه، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات ونفى أن يكون كمثله شيء ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله وتكذيب بعضه بعضاً.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين، فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلاً منهما إنسان سميع بصير متكلم ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية والسمع والبصر والكلام، وترى الحيوانات لها أيدٍ وأرجل وأعين ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها وأعينها متماثلة.

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء أو صفات، فالتباين بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

الطائفة الثانية: المشبهة الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص، لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يبطله العقل والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمراً باطلاً.

الثاني: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع، فإن السمع معلوم مَن حيث أصل المعنى وهو إدراك الأصوات لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة، لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه فإن الإستواء من حيث أصل المعنى معلوم لكن حقيقة الاستواء التي هو عليه غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشه، لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق فليس الاستواء على كرسي مستقر كالإستواء على رحل بعير صعب نفور، فإذا تباينت في حق المخلوق فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها:

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء ولا خوف ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

الإيمان بالملائكة

الملائكة:

عـالم غيبي مخلوقون عـابـدون لله تعـالى وليس لهم من خصـائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نـور ومنحهم الإنقياد التـام لأمره والقوة على تنفيـذه قال الله تعـالى: ﴿**ومن عنده لا يستكبـرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾.

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج أن النبي ﷺ رفـع له البيت المعمور في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خـرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم بإسمه كجبريل ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

الثـالث: الإيمان بمـا علمنا من صفـاتهم كصفة جبـريل فقـد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جنـاح قد سـد الأفق.

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئـة رجل كما حصل لجبريل حين أرسله تعالى إلى مريـم فتمثل لها بشراً سويا وحين جاء إلى النبي ﷺ

وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد من الصحابة فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأماداتها، فأجابه النبي ﷺ فانطلق ثم قال ﷺ هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم). رواه مسلم.

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم ولوط كانوا على صورة رجال.

الرابع: مما يتضمنه الإيمان بالملائكة: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى كتسبيحه والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة مثل جبريل الأمين على وحي الله تعالى يرسله الله به إلى الأنبياء والرسل.

ومثل ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.

ومثل إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.

ومثل ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

ومثل مالك الموكل بالنار وهو خازن النار.

ومثل الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه بعث الله إليه ملكاً وأمره بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

ومثل الملائكة الموكلين بحفظ بني آدم.

ومثل الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها لكل شخص، ملكان أحدهما عن اليمين والثاني عن الشمال.

ومثل الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه.

والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى وقوته وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساماً وقالوا إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: **﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاثة ورباع﴾**، وقال: **﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾**، وقال: **﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم﴾** وقال: **﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾**، وقال في أهل الجنة: **﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾**.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إذا أحب الله العبد نادى جبريل أن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء أن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض. وفيه أيضاً عنه قال: قال النبي ﷺ إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر.

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.

الإيمان بالكتب

الكتب: جمع كتاب بمعنى مكتوب.

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق وهداية لهم ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها بإسمه كالقرآن الذي نُزِّل على محمد ﷺ، والتوراة التي أنزلت على موسى ﷺ والإنجيل الذي أنزل على عيسى ﷺ، والزبور الذي أوتيه داود ﷺ وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها كأخبار القرآن وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾**، أي حاكماً عليه وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن.

والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

الثاني: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قومٍ ما يناسب أحوالهم كما قال الله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾.

الثالثة: شكر نعمة الله في ذلك.

الإيمان بالرسل

الرسل: جمع رسول بمعنى مرسل، أي مبعوث بإبلاغ شيء.

والمراد هنا: من أوحي إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه وأول الرسل نوح وآخرهم محمد ﷺ قال الله تعالى: **﴿إنا أوحينا إليك الكتاب كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾**. وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الشفاعة أن النبي ﷺ ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم ويقول: ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله وذكر تمام الحديث، وقال الله تعالى في محمد ﷺ: **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾**.

ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله ليجددها، قال الله تعالى: **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**، وقال تعالى: **﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾**، وقال تعالى: **﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا﴾**.

والرسل: بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وهو سيد الرسل وأعظمهم جاهاً عند الله: **﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾**، وقال تعالى: **﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً﴾**.

وتلحقهم خصائص البشرية من المرض والموت والحاجة إلى الطعام والشراب وغير ذلك، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالى: **﴿والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين﴾**، وقال النبي ﷺ: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني».

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعل مقاماتهم وفي سياق الثناء عليهم فقال تعالى في نوح ﷺ: **﴿إنه كان عبداً شكورا﴾**، وقال في محمد ﷺ: **﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾**، وقال في إبراهيم وإسحاق ويعقوب صلى الله عليهم وسلم: **﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾**، وقال في عيسى بن مريم ﷺ: **﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلنا مثلاً لبني إسرائيل﴾**.

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: بأن رسالتهم حق من الله تعالى فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع كما قال الله تعالى: **﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾** فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذّبوه وعلى هذا فالنصارى الذين كذّبوا محمداً ﷺ ولم يتبعوه هم مكذّبون للمسيح بن مريم غير متبعين له أيضاً، لا سيما وأنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ولا معنى بشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلالة ويهديهم إلى صراط مستقيم.

الثاني: مما يتضمنه الإيمان بالرسل: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم بإسمه مثل محمد وإبراهيم وموسى ونوح عليهم الصلاة والسلام وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في سورة الأحزاب في قوله: **﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم﴾**، وفي سورة الشورى في قوله: **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما**

وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾.

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى: **﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾**.

الثالث: مما يتضمنه الإيمان بالرسل: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**.

وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى ويبينوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم لأنهم رسل الله تعالى ولأنهم قاموا بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده.

وقد كذب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله: **﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾**. فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لا بد أن يكون الرسول بشراً لأنه مرسل إلى أهل الأرض وهم بشر ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزل الله عليهم من

السماء ملكاً رسولاً ليكون مثلهم. وهكذا حكى الله تعالى عن المكـذبين للرسل أنهم قالوا: **﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آبـاؤنا فـأتونـا بسلطان مبين قـالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشـر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله﴾**.

الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية فيقوم الناس لرب العالمين حفاة غير منتعلين عراة غير مستترين غرلا غير مختتنين قال الله تعالى: **﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾**.

والبعث حق ثابت دل عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين. قال الله تعالى: **﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾**، وقال النبي ﷺ يحشر الناس يوم القيامة (حفاة غرلا). متفق عليه.

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله قال الله تعالى: **﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾**، وقال لنبيه ﷺ: **﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾**.

الثاني: مما يتضمنه الإيمان باليوم الآخرة: الإيمان بالحساب والجزاء، يحاسب العبد على عمله ويجازى عليه، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: **﴿إن إلينا إيابهم ثم إن علينا**

حسابهم﴾، وقال: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾**، وقال: **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾**.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه[1] ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى أنه قد هلك قال قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) متفق عليه. وصح عن النبي ﷺ أن من هم بحسنة فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وأن من هم بسيئة فعلها كتبها الله سيئة واحدة.

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب وأرسل الرسل وفرض على العباد قبول ما جاءوا به والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم وذرياتهم ونساءهم وأموالهم فلو لم يكن حساب ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: **﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾**.

الثالث: مما يتضمنه الإيمان باليوم الآخرة: الإيمان بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدي للخلق. فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به وقاموا بطاعة الله ورسوله مخلصين لله متبعين لرسوله. فيها من أنواع النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الله تعالى: ﴿إن

---

(١) كنفه: ستره.

الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾، وقل تعالى: **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾**.

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب والنكال ما لا يخطر على البال قال الله تعالى: **﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾**، وقال: **﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾**، وقال تعالى: **﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول﴾**.

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل:

أ - فتنة القبر: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ودينه ونبيه فيثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ، ويضل الله الظالمين فيقول الكافر هاه هاه لا أدري. ويقول المنافق أو المرتاب[1] لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

ب - عذاب القبر ونعيمه: فأما عذاب القبر فيكون للظالمين من المنافقين والكافرين، قال الله تعالى: **﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾**، وقال تعالى في آل فرعون: **﴿النار يعرضون عليها**

---

(١) أو للشك من الراوي كما في الصحيحين.

غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾.

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: «فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ثم أقبل بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾**، وقال تعالى: **﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين * فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم﴾**. إلى آخر السورة.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: ينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره. رواه أحمد وأبو داود في حديث طويل.

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة من فعل المعصية والرضى بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلـك غير ممكن وهذا الزعم باطل دل على بطلانه الشرع والحس والعقل.

- أما مِن الشرع فقد قال الله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾، وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

- وأما الحس فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة خمسة أمثلة على ذلك وهي:

المثال الأول: قوم موسى حين قالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: **﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾**.

المثال الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾**.

المثال الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألوف فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾**.

المثال الرابع: في قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله تعالى فأماته الله تعالى مئة سنة ثم أحياه وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو**

بعض يوم قال بل لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه[1] **وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.**

المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله ثم يناديهن فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض ويأتين إلى إبراهيم سعياً، وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿وإذ قال إبراهيم ربي أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم﴾.**

فهذه أمثلة حسية واقعة تدل على إمكان إحياء الموتى. وقد سبق الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى بن مريم في إحياء الموتى وإخراجهم من قبولهم بإذن الله تعالى.

وأما دلالة العقل على إمكان البعث فمن وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى فاطر السموات والأرض وما فيهما خالقهما ابتداء والقادر على ابتداء الخلق لا يعجزه عن إعادته، قال الله تعالى: **﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾**، وقال تعالى: **﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾**، وقال آمراً بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: **﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾.**

الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج والقادر على إحيائها بعد موتها قادر على إحياء الأموات قال الله تعالى: **﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي**

---

(١) لم يتغير.

الموتى إنه على كل شيء قدير﴾، وقال تعالى: **﴿ونزّلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنّات وحبّ الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج﴾**.

وقد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر ونعيمه زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع، قالوا: فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق.

وهذا الزعم باطل بالشرع والحس والعقل:

أما الشرع فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر ونعيمه في فقرة (ب) مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر. وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما وذكر الحديث وفيه أن أحدهما كان لا يستتر من البول وفي رواية من بوله وأن الآخر كان يمشي بالنميمة.

وأما الحس فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه أو أنه كان في مكان ضيق موحش يتألم منه وربما يستيقظ أحياناً مما رأى ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه. والنوم أخو الموت ولهذا سماه الله تعالى وفاة قال الله تعالى: **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليه الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾**.

وأما العقل فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع وربما رأى النبي ﷺ على صفته ومن رآه على صفته فقد رآه حقاً ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيداً عما رأى فإذا كان هذا ممكناً في أحوال الدنيا أفلا يكون ممكناً في أحوال الآخرة؟

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق، فجوابه من وجوه منها:

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به اشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات:

وقد قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً   وآفته من الفهم السقيم

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب ولتساوى المؤمنون بالغيب والجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش أو في مكان واسع بهيج وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه وغطائه. ولقد كان النبي ﷺ يوحى إليه وهو بين أصحابه فيسمع الوحي ولا يسمعه الصحابة وربما يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه والصحابة لا يرون الملك ولا يسمعونه.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه ولا يمكن أن يدركوا كل موجود فالسموات السبع والأرض ومن فيهن وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحاً حقيقياً يُسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحياناً ومع ذلك هو محجوب عنا وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ وهكذا الشياطين والجن يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً وقد حضرت الجن إلى رسول الله ﷺ واستمعوا لقراءته وأنصتوا وولوا إلى قومهم منذرين ومع هذا فهم محجوبون عنا وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون**﴾ وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب ولم يدركوه.

الإيمان بالقدر

القدر بفتح الدال: تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته.

والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلاً أزلاً وأبداً سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: ﴿**ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير**﴾. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار**﴾، وقال: ﴿**ويفعل الله ما يشاء**﴾، وقال: ﴿**هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء**﴾ وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿**ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم**﴾، وقال: ﴿**ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون**﴾.

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها وصفاتها وحركاتها قال الله تعالى: ﴿**الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل**﴾،

وقال: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾، وقال عن النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾.

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الإختيارية وقدرة عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

أما الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة: **﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا﴾**، وقال: **﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾**، وقال في القدرة: **﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا﴾**، وقال: **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾**.

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي وما يقع بغير إرادته كالإرتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى وقدرته لقول الله تعالى: **﴿لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾**. ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل من المعاصي وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه:

الأول: قوله تعالى: **﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾**، ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: **﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾**، ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتفِ بإرسال الرسل لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة. فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: لا اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ: ﴿**فأما من أعطى واتقى**﴾ الآية. وفي لفظ لمسلم: فكل ميسر لما خلق له، فأمر النبي ﷺ بالعمل ونهى عن الإتكال على القدر.

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ وقال: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾، ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل أو نسيان أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

الخامس: أن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحداً؟

وإليك مثالاً يوضح ذلك: لو كان بيدي الإنسان طريقان أحدهما ينتهي به إلى بلد كلها فوضى، قتل ونهب وانتهاك للأعراض وخوف وجوع، والثاني ينتهي به إلى بلد كلها نظام وأمن مستتب وعيش رغيد واحترام للنفوس والأعراض والأموال، فأي الطريقين يسلك؟ إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمن ولا يمكن لأي عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى والخوف ويحتج بالقدر، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون طريق الجنة ويحتج بالقدر؟ ومثال آخر: نرى

المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، وينهى عن الطعام يضره فيتركه ونفسه تشتهيه كل ذلك طلباً للشفاء والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقدر فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله به ورسوله أو يفعل ما نهى الله عنه ورسوله ثم يحتج بالقدر؟

السابع: أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟

ويذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع إليه سارق استحق القطع فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين فإنما سرقت بقدر الله فقال عمر: ونحن إنما نقطع بقدر الله.

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الإعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده لأن حصوله نعمة من الله تعالى بما قدره من أسباب الخير والنجاح وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب أو حصول مكروه لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور**﴾. ويقول النبي ﷺ: عجباً لأمر

المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له. رواه مسلم.

وقد ضل في القدر طائفتان:

إحداهما: الجبرية الذين قالوا إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: القدرية الذين قالوا إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر.

والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

أما الشرع فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة وأضاف العمل إليه، قال الله تعالى: **﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾**، وقال: **﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾** الآية. وقال: **﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾**.

وأما الواقع فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الإختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل والشرب والبيع والشراء وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالإرتعاش من الحمى والسقوط من السطح فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه.

والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل:

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء وكل شيء كائن بمشيئته، وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: **﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾**. وقال تعالى: **﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾**.

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالى والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

أهداف العقيدة الإسلامية

الهدف لغة: يطلق على معانٍ منها: الغرض ينصب ليرمى إليه وكل شيء مقصود.

وأهداف العقيدة الإسلامية: مقاصدها وغاياتها النبيلة المترتبة على التمسك بها وهي كثيرة متنوعة فمنها:

أولاً: إخلاص النية والعبادة لله وحده لأنه الخالق لا شريك له فوجب أن يكون القصد والعبادة له وحده.

ثانياً: تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشىء عن خلو القلب من هذه العقيدة لأن من خلا قلبه منها فهو إما فارغ القلب من كل عقيدة وعابد للمادة الحسية فقط وإما متخبط في ضلالات العقائد والخرافات.

ثالثاً: الراحة النفسية والفكرية فلا قلق في النفس ولا اضطراب في الفكر لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه فيرضى به رباً مدبراً وحاكماً مشرعاً فيطمئن قلبه بقدره وينشرح صدره للإسلام، فلا يبغي عنه بديلاً.

رابعاً: سلامة القصد والعمل من الإنحراف في عبادة الله تعالى أو معاملة المخلوقين لأن من أسسها الإيمان بالرسل المتضمن لاتباع طريقتهم ذات السلامة في القصد والعمل.

خامساً: الحزم والجد في الأمور، بحيث لا يفوت فرصة للعمل الصالح إلا استغلها فيه رجاء للثواب ولا يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه خوفاً من العقاب لأن من أسسها الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال: ﴿ولكل

درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾، وقد حث النبي ﷺ على هـذه الغايـة في قولـه: «المؤمن القـوي خيـر وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان». رواه مسلم.

سادساً: تكوين أمة قوية تبـذل كل غـالٍ ورخيص في تثبيت دينها وتوطيد دعائمه غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلـك وفي هذا يقـول الله تعالى: **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهـدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾**.

سابعاً: الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات ونيل الثواب والمكرمات وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**.

هذه بعض أهداف العقيدة الإسلامية نرجو الله تعالى أن يحققهـا لنا ولجميع المسلمين.



الرسالة الثانية

فتح رب البرية بتلخيص الحموية

(لشيخ الاسلام ابن تيمية)



بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وقدوة للعاملين وحجة على العباد أجمعين، فأدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وبين للناس جميع ما يحتاجون إليه في أصول دينهم وفروعه، فلم يدع خيراً إلا بينه وحث عليه، ولم يترك شراً إلا حذر الأمة عنه، حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها فسار عليها أصحابه نيرة مضيئة وتلقاها عنهم كذلك القرون المفضلة حتى تجهم الجو بظلمات البدع المتنوعة التي كاد بها مبتدعوها الإسلام وأهله وصاروا يتخبطون فيها خبط عشواء ويبنون معتقداتهم على نسج العنكبوت وأوهى. والرب تعالى يحمي دينه بأوليائه الذين وهبهم من الإيمان والعلم والحكمة ما به يصدون هؤلاء الأعداء ويردون كيدهم في نحورهم فما قام أحد ببدعة إلا قيض الله - وله الحمد - من أهل السنة من يدحض بدعته ويبطلها.

وكان في مقدمة القائمين على هؤلاء المبتدعة شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي المولود في حران يوم الإثنين الموافق ١٠ ربيع الأول سنة ٦٦١ هجرية والمتوفى محبوساً ظلماً في قلعة دمشق في ذي القعدة سنة ٧٢٨ هجرية.

وله المؤلفات الكثيرة في بيان السنة وتوطيد أركانها وهدم البدع.

ومما ألفه في هذا الباب رسالة «الفتوى الحموية» التي كتبها جواباً لسؤال ورد عليه في سنة ٦٩٨ هجرية من «حماة» بلد في الشام يسأل فيه عما يقوله الفقهاء وأئمة الدين في آيات الصفات وأحاديثها فأجاب بجواب يقع في حوالي ٨٣ صفحة وحصل له بذلك محنة وبلاء فجزاه الله تعالى عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء.

ولما كان فهم هذا الجواب والإحاطة به مما يشق على كثير من قرائه أحببت أن ألخص المهم منه مع زيادات تدعو الحاجة إليها وسميته (فتح رب البرية بتلخيص الحموية).

وقد طبعته لأول مرة في سنة ١٣٨٠ هجرية وها أنا أعيد طبعه للمرة الثانية وربما غيرت ما رأيت من المصلحة تغييره من زيادة أو حذف.

والله أسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه ونافعاً لعباده إنه جواد كريم.

الباب الأول
فيما يجب على العبد في دينه

الواجب على العبد في دينه هو اتباع ما قاله الله وقاله رسوله محمد ﷺ والخلفاء الراشدون المهديون من بعده من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وذلك أن الله بعث محمداً ﷺ بالبينات والهدى، وأوجب على جميع الناس أن يؤمنوا به ويتبعوه ظاهراً وباطناً فقال تعالى: ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً له ملك السمٰوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**﴾.

وقال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

والخلفاء الراشدون هم الذين خلفوا النبي ﷺ في العلم النافع والعمل الصالح، وأحق الناس بهذا الوصف هم الصحابة رضي الله عنهم، فإن الله اختارهم لصحبة نبيِّه ﷺ، وإقامة دينه ولم يكن الله تعالى ليختار ـ وهو العليم الحكيم ـ لصحبة نبيه إلا من هم أكملهم إيماناً وأرجحهم عقولاً وأقومهم عملاً وأمضاهم عزماً وأهداهم طريقاً، فكانوا أحق الناس أن يتبعوا بعد نبيهم ﷺ ومن بعدهم أئمة الدين الذين عرفوا بالهدى والصلاح.

الباب الثاني
فيما تضمنته رسالة النبي ﷺ من بيان الحق في أصول الدين وفروعه

رسالة النبي ﷺ تتضمن شيئين هما العلم النافع والعمل الصالح كما قال تعالى: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾**.

فالهدى هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح الذي اشتمل على الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ.

والعلم النافع يتضمن كل علم يكون للأمة فيه خير وصلاح في معاشها ومعادها، وأول ما يدخل في ذلك العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله، فإن العلم بذلك أنفع العلوم وهو زبدة الرسالة الإلهية وخلاصة الدعوة النبوية وبه قوام الدين قولاً وعملاً واعتقاداً.

ومن أجل هذا كان من المستحيل أن يهمله النبي ﷺ ولا يبينه بياناً ظاهراً ينفي الشك ويدفع الشبهة، وبيان استحالته من وجوه:

الأول: أن رسالة النبي ﷺ كانت مشتملة على النور والهدى: فإن الله بعثه بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وأعظم النور وأبلغه ما يحصل للقلب بمعرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا بد أن يكون النبي ﷺ قد بينه غاية البيان.

الثاني: أن النبي ﷺ علم أمته جميع ما تحتاج إليه من أمور الدين

والدنيا حتى آداب الأكل والشرب والجلوس والمنام وغير ذلك. قال أبو ذر رضي الله عنه: (لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علماً) ولا ريب أن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله داخل تحت هذه الجملة العامة بل هو أول ما يدخل فيها لشدة الحاجة إليه.

الثالث: أن الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله هو أساس الدين وخلاصة دعوة المرسلين وهو أوجب وأفضل ما اكتسبته القلوب وأدركته العقول فكيف يهمله النبي ﷺ من غير تعليم ولا بيان مع أنه كان يعلم ما هو دونه من الأهمية والفضيلة.

الرابع: أن النبي ﷺ كان أعلم الناس بربه وهو أنصحهم للخلق وأبلغهم في البيان والفصاحة، فلا يمكن مع هذا المقتضى التام للبيان أن يترك باب الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ملتبساً مشتبهاً.

الخامس: أن الصحابة رضي الله عنهم لا بد أن يكونوا قائلين بالحق في هذا الباب لأن ضد ذلك إما السكوت وإما القول بالباطل وكلاهما ممتنع عليهم.

أما امتناع السكوت فوجهه أن السكوت إما أن يكون عن جهل منهم بما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات وما يجوز عليه منها ويمتنع، وإما أن يكون عن علم منهم بذلك ولكن كتموه وكل منهما ممتنع.

أما امتناع الجهل فلأنه لا يمكن لأي قلب فيه حياة ووعي وطلب للعلم ونهمة في العبادة إلا أن يكون أكبر همه هو البحث في الإيمان بالله تعالى ومعرفته بأسمائه وصفاته وتحقيق ذلك علماً واعتقاداً، ولا ريب أن القرون المفضلة وأفضلهم الصحابة هم أبلغ الناس في حياة القلوب ومحبة الخير وتحقيق العلوم النافعة كما قال النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وهذه الخيرية تعم فضلهم في كل ما يقرب إلى الله من قول وعمل واعتقاد.

ثم لو فرضنا أنهم كانوا جاهلين بالحق في هذا الباب لكان جهل من

بعدهم من باب أولى لأن معرفة ما يثبت لله تعالى من الأسماء والصفات أو ينفي عنه إنما تتلقى من طريق الرسالة، وهم الواسطة بين الرسول ﷺ وبين الأمة وعلى هذا الفرض يلزم أن لا يكون عند علم في هذا الباب وهذا ظاهر الامتناع.

وأما امتناع كتمان الحق فلأن كل عاقل منصف عرف حال الصحابة رضي الله عنهم وحرصهم على نشر العلم النافع وتبليغه الأمة فإنه لن يمكنه أن ينسب إليهم كتمان الحق ولا سيما في أوجب الأمور وهو معرفة الله وأسمائه وصفاته.

ثم إنه قد جاء عنهم من قول الحق في هذا الباب شيء كثير يعرفه من طلبه وتتبعه وأما امتناع القول بالباطل عليهم فمن وجهين:

أحدهما: أن القول بالباطل لا يمكن أن يقوم عليه دليل صحيح، ومن المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم أبعد الناس عن القول فيما لم يقم عليه دليل صحيح خصوصاً في أمر الإيمان بالله تعالى وأمور الغيب فهم أولى الناس بامتثال قوله تعالى: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾**، وقوله: **﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾**.

ثانيهما: أن القول بالباطل إما أن يكون مصدره الجهل بالحق وإما أن يكون مصدره إرادة ضلال الخلق وكلاهما ممتنع في حق الصحابة رضي الله عنهم.

أما امتناع الجهل فقد تقدم بيانه.

وأما امتناع إرادة ضلال الخلق فلأن إرادة ضلال الخلق قصد سيء لا يمكن أن يصدر من الصحابة الذين عرفوا بتمام النصح للأمة ومحبة الخير لها.

ثم لو جاز عليهم سوء القصد فيما قالوه في هذا الباب لجاز عليهم سوء القصد فيما يقولون في سائر أبواب العلم والدين فتعدم الثقة بأقوالهم وأخبارهم في هذا الباب وغيره، وهذا من أبطل الأقوال لأنه يستلزم القدح في الشريعة كلها.

وإذا تبين أن الصحابة رضي الله عنهم لا بد أن يكونوا قائلين بالحق في هذا الباب فـإنهم إما أن يكـونوا قـائلين ذلك بعقـولهم أو من طريق الوحي، والأول ممتنع لأن العقل لا يدرك تفاصيل ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، فتعين الثاني وهو أن يكونوا تلقوا هذه العلوم من طـريق رسـالة النبي ﷺ، فيلزم على هـذا أن يكون النبي ﷺ قـد بين الحق في أسماء الله وصفاته وهذا هو المطلوب.

الباب الثالث
في طريقة أهل السنة في أسماء الله وصفاته

أهل السنة والجماعة هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة النبي ﷺ والعمل بها ظاهراً وباطناً في القول والعمل والإعتقاد.

وطريقتهم في أسماء الله وصفاته كما يأتي:

١ - **في الإثبات**: فهي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

٢ - **في النفي**: فطريقتهم نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالى.

٣ - فيما لم يرد نفيه ولا إثباته مما تنازع الناس فيه كالجسم والحيز والجهة ونحو ذلك، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه فلا يثبتونه ولا ينفونه لعدم ورود ذلك وأما معناه فيستفصلون عنه فإن أريد به باطل ينزه الله عنه ردوه، وإن أريد به حق لا يمتنع على الله قبلوه.

وهـذه الطريقـة هي الطريقـة الواجبـة وهي القول الـوسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل.

وقد دل على وجوبها العقل والسمع.

فأما العقل فوجه دلالته أن تفصيل القول فيما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى لا يدرك إلا بالسمع فوجب اتباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه والسكوت عما سكت عنه.

وأما السمع فمن أدلته قوله تعالى: **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾**، وقوله: **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**، وقوله: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾**.

فالآية الأولى دلت على وجوب الإثبات من غير تحريف ولا تعطيل لأنهما من الألحاد.

والآية الثانية دلت على وجوب نفي التمثيل.

والآية الثالثة دلت على وجوب نفي التكييف وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه.

وكل ما ثبت لله من الصفات فإنها صفات كمال يحمد عليها ويثنى بها عليه وليس فيها نقص بوجه من الوجوه فجميع صفات الكمال ثابتة لله تعالى على أكمل وجه.

وكل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص تنافي كماله الواجب، فجميع صفات النقص ممتنعة على الله تعالى لوجوب كماله. وما نفاه الله عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية وإثبات كمال ضدها، وذلك أن النفي لا يدل على الكمال حتى يكون متضمناً لصفة ثبوتية يحمد عليها، فإن مجرد النفي قد يكون سببه العجز فيكون نقصاً كما في قول الشاعر:

قبيلته لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

وقد يكون سببه عدم القابلية فلا يقتضي مدحاً كما لو قلت: الجدار لا يظلم.

إذا تبين هذا فنقول: مما نفى الله عن نفسه الظلم فالمراد به انتفاء الظلم عن الله مع ثبوت كمال ضده وهو العدل ونفى عن نفسه اللغوب وهو التعب والإعياء فالمراد نفي اللغوب مع ثبوت كمال ضده وهو القوة، وهكذا بقية ما نفاه الله عن نفسه والله أعلم.

التحـريـف:

التحـريف: لغة التغييـر وفي الإصطلاح تغييـر النص لفظاً أو معنى والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى وقد لا يتغير فهذه ثلاثة أقسام:

تحـريف لفظي يتغيـر معه المعنى كتحـريف بعضهم قولـه تعـالى: ﴿**وكلم الله موسى تكليماً**﴾، إلى نصب الجلالة ليكون التكليم من موسى.

وتحريف لفظي لا يتغير معه المعنى كفتح الدال من قـوله تعـالى: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾، وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل إذ ليس فيه غرض مقصود لفاعله غالباً.

وتحريف معنوي وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل كتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة والنعمة ونحو ذلك.

التعطيـــل:

التعطيل لغة: التفريغ والإخلاء في الإصطلاح هنا: إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات أو إنكار بعضه فهو نوعان:

تعطيل كلي كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات وغلاتهم ينكرون الأسماء أيضاً.

وتعطيل جزئي كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض وأول من عرف بالتعطيل من هذه الأمة هو الجعد بن درهم.

التكييـف:

التكييف: حكاية كيفية الصفة، كقول القائل: كيفية يد الله أو نزوله إلى السماء الدنيا كذا وكذا.

التمثيل والتشبيه:

التمثيـل: إثبات مثيـل للشيء والتشبيه: إثبـات مشابـه له فـالتمثيل

يقتضي المماثلة وهي المساواة من كل وجه. والتشبيه يقتضي المشابهة وهي المساواة في أكثر الصفات وقد يطلق أحدهما على الآخر. والفرق بينهما وبين التكييف من وجهين:

أحدهما: أن التكييف أن يحكي كيفية الشيء سواء كانت مطلقة أم مقيدة بشبيه، وأما التمثيل والتشبيه فيدلان على كيفية مقيدة بالمماثل والمشابه.

ومن هذا الوجه يكون التكييف أعم لأن كل ممثل مكيف ولا عكس.

ثانيهما: أن التكييف يختص بالصفات، أما التمثيل فيكون في القدر والصفة والذات ومن هذا الوجه يكون أعم لتعلقه بالذات والصفات والقدر.

ثم التشبيه الذي ضل به من ضل من الناس على نوعين:

أحدهما: تشبيه المخلوق بالخالق.

والثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق.

فأما تشبيه المخلوق بالخالق فمعناه إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الأفعال والحقوق والصفات فالأول كفعل من أشرك في الربوبية ممن زعم أن مع الله خالقاً والثاني كفعل المشركين بأصنامهم حيث زعموا أن لها حقاً في الألوهية فعبدوها مع الله والثالث كفعل الغلاة في مدح النبي ﷺ أو غيره مثل قول المتنبي يمدح عبد الله بن يحيى البحتري:

فكن كما شئت يا من لا شبيه له ... وكيف شئت فما خلق يدانيكا

وأما تشبيه الخالق بالمخلوق فمعناه أن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من ذلك، كقول القائل: إن يدي الله مثل أيدي المخلوقين واستواءه على عرشه كاستوائهم ونحو ذلك.

وقد قيل: إن أول من عرف بهذا النوع هشام بن الحكم الرافضي والله أعلم.

الإلحـــاد:

الإلحاد في اللغة: الميل، **وفي الإصطلاح**: الميل عما يجب اعتقاده أو عمله وهوقسمان **أحدهما**: في أسماء الله. **والثاني**: في آياته.

فأما الإلحاد ي أسمائه فهو العدول عن الحق الواجب فيها وهو أربعة أنواع:

١ ـ أن ينكر شيئاً منها أو مما دلت عليه الصفات كما فعل المعطلة.

٢ ـ أن يجعلها دالة على تشبيه الله بخلقه كما فعل المشبهة.

٣ ـ أن يسمي الله بما لم يسم به نفسه لأن أسماء الله توقيفية كتسمية النصارى له «أباً» وتسمية الفلاسفة إياه «علة فاعلة» ونحو ذلك.

٤ ـ أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام كاشتقاق «اللات» من الإله و «العزى» من العزيز.

وأما الإلحاد في آياته فيكون في الآيات الشرعية وهي ما جاءت به الرسل من الأحكام والأخبار ويكون في الآيات الكونية وهي ما خلقه الله ويخلقه في السموات والأرض.

فأما الإلحاد في الآيات الشرعية فهو تحريفها أو تكذيب أخبارها أو عصيان أحكامها.

وأما الإلحاد في الآيات الكونية فهو نسبتها إلى غير الله أو اعتقاد شريك أو معين له فيها.

الباب الرابع
في بيان صحة مذهب السلف وبطلان القول بتفضيل مذهب الخلف في العلم والحكمة على مذهب السلف

سبق القول في بيان طريقة السلف وذكر الدليل على وجوب الأخذ بها، أما هنا فإننا نريد أن نبرهن على أن مذهب السلف هو المذهب الصحيح وذلك من وجهين:

أحدهما: أن مذهب السلف دل عليه الكتاب والسنة، فإن من تتبع طريقتهم بعلم وعدل وجدها مطابقة لما في الكتاب والسنة جملة وتفصيلاً، ولا بد فإن الله تعالى أنزل الكتاب ليدبر الناس آياته ويعملوا بها إن كانت أحكاماً، ويصدقوا بها إن كانت أخباراً، ولا ريب أن أقرب الناس إلى فهمها وتصديقها والعمل بها هم السلف، لأنها جاءت بلغتهم وفي عصرهم، فلا جرم أن يكونوا أعلم الناس بها فقهاً وأقومهم عملاً.

الثاني: أن يقال: إن الحق في هذا الباب إما أن يكون فيما قاله السلف أو فيما قاله الخلف، والثاني باطل لأنه يلزم عليه أن يكون الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار قد تكلموا بالباطل تصريحاً أو ظاهراً ولم يتكلموا مرة واحدة بالحق الذي يجب اعتقاده لا تصريحاً ولا ظاهراً فيكون وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين وترك الناس بلا كتاب ولا سنة خيراً لهم وأقوم وهذا ظاهر البطلان.

هذا وقد قال بعض الأغبياء: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف

أعلم وأحكم ومنشأ هذا القول أمران:

أحدهما: اعتقاد قائله ـ بسبب ما عنده من الشبهات الفاسدة ـ أن الله تعالى ليس له في نفس الأمر صفة حقيقية دلت عليها هذه النصوص.

الثاني: اعتقاده أن طريقة السلف هي الإيمان بمجرد ألفاظ نصوص الصفات من غير إثبات معنى لها فيبقى الأمر دائراً بين أن نؤمن بألفاظ جوفاء لا معنى لها وهذه طريقة السلف ـ على زعمه ـ وبين أن نثبت للنصوص معاني تخالف ظاهرها الدال على إثبات الصفات لله وهذه هي طريقة الخلف، ولا ريب أن إثبات معاني النصوص أبلغ في العلم والحكمة من إثبات ألفاظ جوفاء ليس لها معنى، ومن ثم فضل هذا الغبي طريقة الخلف في العلم والحكمة على طريقة السلف.

وقول هذا الغبي يتضمن حقاً وباطلاً فأما الحق فقوله: إن مذهب السلف أسلم وأما الباطل فقوله: إن مذهب الخلف أعلم وأحكم وبيان بطلانه من وجوه:

الأول: أنه يناقض قوله: (إن طريقة السلف أسلم) فإن كون طريقة السلف أسلم من لوازم كونها أعلم وأحكم إذ لا سلامة إلا بالعلم والحكمة، العلم بأسباب السلامة والحكمة في سلوك تلك الأسباب، وبهذا يتبين أن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم وهو لازم لهذا الغبي لزوماً لا محيد عنه.

الثاني: أن اعتقاده أن الله ليس له صفة حقيقية دلت عليها هذه النصوص اعتقاد باطل لأنه مبني على شبهات فاسدة[1] ولأن الله تعالى قد ثبتت له صفات الكمال عقلاً وفطرة وشرعاً:

فأما دلالة العقل على ثبوت صفات الكمال لله فوجهه أن يقال: إن كل موجود في الخارج فلا بد أن يكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة

---

(١) راجع ص ٩٥ في الفصل الثاني من الباب العشرين.

نقص والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، وبذلك استدل الله تعالى على بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بصفات النقص والعجز بكونها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ولا تخلق ولا تنصر فإذا بطل الثاني تعين الأول وهو ثبوت صفات الكمال لله.

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال والله سبحانه هو الذي أعطاه إياها فمعطي الكمال أولى به.

وأما دلالة الفطرة على ثبوت صفات الكمال لله فلأن النفوس السليمة مجبولة ومفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من عرفت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته.

وأما دلالة الشرع على ثبوت صفات الكمال لله فأكثر من أن تحصر مثل قوله تعالى: ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمٰن الرحيم * هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم**﴾، وقوله: ﴿**وله المثل الأعلى في السمٰوات والأرض**﴾، وقوله تعالى: ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾ إلى قوله: ﴿**وهو العلي العظيم**﴾ ومثل قوله ﷺ: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً قريباً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته».

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

الوجه الثالث: أن اعتقاده أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ النصوص بغير إثبات معناها اعتقاد باطل كذب على السلف، فإن السلف أعلم الأمة بنصوص الصفات لفظاً ومعنى وأبلغهم في إثبات معانيها اللائقة بالله تعالى على حسب مراد الله ورسوله.

الوجه الرابع: أن السلف هم ورثة الأنبياء والمرسلين فقد تلقوا

علومهم من ينبوع الرسالة الإلهية وحقائق الإيمان.

أما أولئك الخلف فقد تلقوا ما عندهم من المجوس والمشركين وضلال اليهود واليونان[1] فكيف يكون ورثة المجوس والمشركين واليهود واليونان وأفراخهم أعلم وأحكم في أسماء الله وصفاته من ورثة الأنبياء والمرسلين؟

الوجه الخامس: أن هؤلاء الخلف الذين فضل هذا الغبي طريقتهم في العلم والحكمة على طريقة السلف كانوا حيارى مضطربين بسبب إعراضهم عما بعث الله به محمداً ﷺ من البينات والهدى، والتماسهم علم معرفة الله تعالى ممن لا يعرفه بإقراره على نفسه وشهادة الأمة عليه حتى قال الرازي وهو من رؤسائهم مبيناً ما ينتهي إليه أمرهم:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامة والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، رأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿**الرحمٰن على العرش استوى**﴾ ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾ واقرأ في النفي: ﴿**ليس كمثله شي**﴾ ﴿**ولا يحيطون به علماً**﴾ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي، اهـ كلامه.

فكيف تكون طريقة هؤلاء الحيارى الذين أقروا على أنفسهم بالضلال والحيرة أعلم وأحكم من طريقة السلف الذين هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الأنبياء والذين أدركوا من حقائق الإيمان والعلوم ما لو جمع إليه ما حصل لغيرهم لاستحيا من يطلب المقارنة فكيف بالحكم بتفضيل غيرهم عليهم؟.

وبهذا يتبين أن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم.

---

(١) راجع ص ٩١ في الباب التاسع عشر.

الباب الخامس
في حكاية بعض المتأخرين لمذهب السلف

قال بعض المتأخرين: (مذهب السلف في الصفات إمرار النصوص على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد) أهـ.

وهذا القول على إطلاقه فيه نظر فإن لفظ (ظاهر) مجمل يحتاج إلى تفصيل:

فإن أريد بالظاهر ما يظهر من النصوص من الصفات التي تليق بالله من غير تشبيه فهذا مراد قطعاً، ومن قال: إنه غير مراد فهو ضال إن اعتقده في نفسه وكاذب أو مخطىء إن نسبه إلى السلف.

وإن أريد بالظاهر ما قد يظهر لبعض الناس من أن ظاهرها تشبيه الله بخلقه فهذا غير مراد قطعاً وليس هو ظاهر النصوص لأن مشابهة الله لخلقه أمر مستحيل، ولا يمكن أن يكون ظاهر الكتاب والسنة أمراً مستحيلاً ومن ظن أن هذا هو ظاهرها فإنه يبين له أن ظنه خطأ وأن ظاهرها بل صريحها إثبات صفات تليق بالله وتختص به.

وبهذا التفصيل نكون قد أعطينا النصوص حقها لفظاً ومعنى والله أعلم.

الباب السادس
في لبس الحق بالباطل من بعض المتأخرين

قال بعض المتأخرين: (إنه لا فرق بين مذهب السلف ومذهب المؤولين في نصوص الصفات فإن الكل اتفقوا على أن الآيات والأحاديث لا تدل على صفات الله لكن المتأولون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة إليه وعينوا المراد، وأما السلف فأمسكوا عن التعيين لجواز أن يكون المراد غيره) أهـ.

هذا كذب صريح على السلف فما منهم أحد نفى دلالة النصوص على صفات الله التي تليق به بل كلامهم يدل على تقرير جنس الصفات في الجملة والإنكار على من نفاها أو شبه الله بخلقه كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: (من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً) أهـ وكلامهم هذا كثير.

ومما يدل على إثبات السلف للصفات وأنهم ليسوا على وفاق مع أولئك المتأولين أن أولئك المتأولة كانوا خصوماً للسلف وكانوا يرمونهم بالتشبيه والتجسيم لإثباتهم الصفات، ولو كان السلف يوافقونهم في عدم دلالة النصوص على صفات الله لم يجعلوهم خصوماً لهم ويرمونهم بالتشبيه والتجسيم وهذا ظاهر ولله الحمد.

الباب السابع
في أقوال السلف المأثورة في الصفات

اشتهر عن السلف كلمات عامة وأخرى خاصة في آيات الصفات وأحاديثها فمن الكلمات العامة قولهم: (أمروها كما جاءت بلا كيف) روي هذا عن مكحول والزهري ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي.

وفي هذه العبارة رد على المعطلة والمشبهة ففي قولهم (أمروها كما جاءت) رد على المعطلة وفي قولهم: (بلا كيف) رد على المشبهة.

وفيها أيضاً دليل على أن السلف كانوا يثبتون لنصوص الصفات المعاني الصحيحة التي تليق بالله تدل على ذلك من وجهين:

الأول: قولهم: (أمروها كما جاءت) فإن معناها إبقاء دلالتها على ما جاءت به من المعاني، ولا ريب أنها جاءت لإثبات المعاني اللائقة بالله تعالى ولو كانوا لا يعتقدون لها معنى لقالوا: (أمروا لفظها ولا تتعرضوا لمعناها) ونحو ذلك.

الثاني: قولهم: (بلا كيف) فإنه ظاهر في إثبات حقيقة المعنى لأنهم لو كانوا لا يعتقدون ثبوته ما احتاجوا إلى نفي كيفيته فإن غير الثابت لا وجود له في نفسه فنفي كيفيته من لغو القول.

فإن قيل: ما الجواب عما قاله الإمام أحمد في حديث النزول وشبهه (نؤمن بها ونصدق لا كيف ولا معنى) قلنا: الجواب على ذلك أن المعنى الذي نفاه الإمام أحمد في كلامه هو المعنى الذي ابتكره المعطلة من

الجهمية وغيرهم وحرفوا به نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها إلى معاني تخالفه.

ويدل على ما ذكرنا أنه نفى المعنى ونفى الكيفية ليتضمن كلامه الرد على كلتا الطائفتين المبتدعتين طائفة المعطلة وطائفة المشبهة.

ويدل عليه أيضاً ما قاله المؤلف في قول محمد بن الحسن (اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه) أهـ.

قال المؤلف: أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات أهـ.

فهذا دليل على أن تفسير آيات الصفات وأحاديثها على نوعين: تفسير مقبول، وهو ما كان عليه الصحابة والتابعون من إثبات المعنى اللائق بالله عز وجل الموافق لظاهر الكتاب والسنة، وتفسير غير مقبول وهو ما كان بخلاف ذلك.

وهذا المعنى منه مقبول ومنه مردود على ما تقدم.

فإن قيل: هل لصفات الله كيفية؟ فالجواب: نعم لها كيفية لكنها مجهولة لنا، لأن الشيء إنما تعلم كيفيته بمشاهدته أو مشاهدة نظيره أو خبر الصادق عنه وكل هذه الطرق غير موجودة في صفات الله. وبهذا عرف أن قول السلف (بلا كيف) معناه بلا تكييف لم يريدوا نفي الكيفية مطلقاً لأن هذا تعطيل محضٍ والله أعلم.

الباب الثامن
في علو الله تعالى وأدلة العلو

علو الله تعالى من صفاته الذاتية وينقسم إلى قسمين:

علو ذات، وعلو صفات.

فأما علو الصفات فمعناه: أنه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى أعلاها وأكملها سواء كانت من صفات المجد والقهر أم من صفات الجمال والقدر.

وأما علو الذات فمعناه: أن الله بذاته فوق جميع خلقه وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة.

فأما الكتاب والسنة فإنهما مملوءان بما هو صريح أو ظاهر في إثبات علو الله تعالى بذاته فوق خلقه وقد تنوعت دلالتهما على ذلك:

فتارة بذكر العلو والفوقية والإستواء على العرش وكونه في السماء مثل قوله تعالى: ﴿**وهو العلي العظيم**﴾، ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾، ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾ ﴿**الرحمٰن على العرش استوى**﴾ ﴿**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض**﴾، وقوله ﷺ: «والعرش فوق ذلك والله فوق العرش» «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء».

وتارة بصعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه مثل قوله تعالى: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾، ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه**﴾ ﴿**بل رفعه الله إليه**﴾. وقوله ﷺ: «لا يصعد إلى الله إلا الطيب»، «فيعرج الذين باتوا فيكم

إلى ربهم»، «يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل».

وتارة بنزول الأشياء منه ونحو ذلك مثل قوله تعالى: **﴿تنزيل من رب العالمين﴾**، **﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾**. وقوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر».

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تواترت عن النبي ﷺ في علو الله تعالى على خلقه تواتراً يوجب علماً ضرورياً بأن النبي ﷺ قالها عن ربه وتلقتها أمته عنه.

وأما الإجماع: فقد أجمع الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة أهل السنة على أن الله تعالى فوق سمواته على عرشه، وكلامهم مملوء بذلك نصاً وظاهراً قال الأوزاعي: (كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات»، قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم النافي لصفات الله وعلوه ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يخالف مذهب جهم.

ولم يقل أحد من السلف قط: إن الله ليس في السماء ولا أنه بذاته في كل مكان ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بل قد أشار إليه أعلم الخلق به في حجة الوداع يوم عرفة في ذلك المجمع العظيم حينما رفع إصبعه إلى السماء يقول: اللهم اشهد، يشهد ربه على إقرار أمته بإبلاغه الرسالة صلوات الله وسلامه عليه.

وأما العقل فإن كل عقل صريح يدل على وجوب علو الله بذاته فوق خلقه من وجهين:

الأول: أن العلو صفة كمال والله تعالى قد وجب له الكمال المطلق من جميع الوجوه فلزم ثبوت العلو له تبارك وتعالى.

الثاني: أن العلو ضده السفل والسفل صفة نقص والله تعالى منزه عن

جميع صفات النقص فلزم تنزيهه عن السفل وثبوت ضده له وهو العلو.

وأما الفطرة فإن الله تعالى فطر الخلق كلهم العرب والعجم حتى البهائم على الإيمان به وبعلوه فما من عبد يتوجه إلى ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة بطلب العلو وارتفاع قلبه إلى السماء لا يلتفت إلى غيره يميناً ولا شمالاً ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين والأهواء.

وكان أبو المعالي الجويني يقول في مجلسه: كان الله ولا شيء وهو الآن على ما كان عليه (يعرض بإنكار استواء الله على عرشه) فقال أبو جعفر الهمداني: (دعنا من ذكر العرش ـ أي لأنه ثبت بالسمع ـ وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ما قال عارف قط يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة من قلوبنا؟).

فصرخ أبو المعالي ولطم رأسه وقال: حيرني الهمداني حيرني الهمداني.

فهذه الأدلة الخمسة كلها تطابقت على إثبات علو الله بذاته فوق خلقه.

فأما قوله تعالى: **﴿وهو الله في السمٰوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾**، وقوله: **﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾**، فليس معناهما أن الله في الأرض كما أنه في السماء ومن توهم هذا أو نقله عن أحد من السلف فهو مخطىء في وهمه وكاذب في نقله.

وإنما معنى الآية الأولى: أن الله مألوه في السمٰوات وفي الأرض، كل من فيهما فإنه يتأله إليه ويعبده وقيل معناها أن الله في السمٰوات ثم ابتدأ فقال: وفي الأرض يعلم سركم وجهركم أي: إن الله يعلم سركم وجهركم في الأرض فليس علوه فوق السمٰوات بمانع من علمه سركم وجهركم في الأرض.

وأما الآية الثانية فمعناها: أن الله إلـه في السماء وإلـه في الأرض فألوهيته ثابتة فيهما وإن كان هو في السماء ونظير ذلك قول القائل: فلان أمير في مكة وأمير في المدينة أي إنه إمارته ثابتة في البلدين وإن كان هو في أحدهما وهذا تعبير صحيح لغة وعرفا والله أعلم.

الباب التاسع
في الجهة

نريد بهذه الترجمة أن نبين هل الجهة ثابتة لله تعالى أو منتفية عنه؟

والتحقيق في هذا أنه لا يصح إطلاق الجهة على الله تعالى لا نفياً ولا إثباتاً بل لا بد من التفصيل:

فإن أريد بها جهة سفل فإنها منتفية عن الله وممتنعة عليه لأن الله تعالى قد وجب له العلو المطلق بذاته وصفاته.

وإن أريد بها جهة علو تحيط به فهي منتفية عن الله وممتنعة عليه أيضاً فإن الله أعظم وأجل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته كيف وقد وسع كرسيه السموات والأرض؟

﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسمٰوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

وإن أريد بها جهة علو تليق بعظمته وجلاله من غير إحاطة به فهي حق ثابت لله تعالى واجبة له قال الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلاني في كتابه (الغنية): وهو سبحانه بجهة العلو مستوٍ على العرش محتوٍ على الملك أهـ.

ومعنى قوله محتوٍ على الملك أنه محيط بالملك تبارك وتعالى.

فإن قيل: إذا نفيتم أن يكون شيء من مخلوقات الله محيطاً به فما الجواب عما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وأجمع عليه

المسلمون من أن الله سبحانه في السماء؟ فالجواب: أن كون الله في السماء لا يقتضي أن السماء تحيط به، ومن قال ذلك فهو ضال إن قاله من عنده وكاذب أو مخطأ إن نسبه إلى غيره فإن كل من عـرف عظمـة الله تعالى وإحاطته بكل شيء وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة وأنه يطوي السماء كطي السجل للكتب فإنه لن يخطر بباله أن شيئاً من مخلوقاته يمكن أن يحيط به.

وعلى هذا فيخرج كونه (في السماء) على أحد معنيين:

الأول: أن يراد بالسماء العلو فيكون المعنى أن الله في العلو أي في جهة العلو والسماء بمعنى العلو ثابت في القرآن قال الله تعالى: **﴿وينزل عليكم من السماء ماء﴾**، أي من العلو لا من السماء نفسها لأن المطر ينزل من السحاب.

الثاني: أن تجعل في بمعنى على فيكون المعنى أن الله على السماء وقد جاءت في بمعنى على في مـواضع كثيـرة من القرآن وغيـره قال الله تعالى: **﴿فسيحوا في الأرض ـ أي على الأرض ـ﴾**.

الباب العاشر
في استواء الله على عرشه

الاستواء في اللغة: يطلق على معانٍ تدور على الكمال والإنتهاء وقد ورد في القرآن على ثلاثة وجوه:

مطلق كقوله تعالى: **﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾** أي كمل.

ومقيد بإلى كقوله تعالى: **﴿ثم استوى إلى السماء﴾** أي قصد بإرادة تامة.

ومقيد بعلى. كقوله تعالى: **﴿لتستووا على ظهوره﴾** ومعناه حينئذ العلو والإستقرار.

فاستواء الله على عرشه معناه علوه واستقراره عليه علواً واستقراراً يليق بجلاله وعظمته وهو من صفاته الفعلية التي دل عليها الكتاب والسنة والإجماع فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: **﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾**.

ومن أدلة السنة ما رواه الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه»[1].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: «إنه مذكور في كل كتاب أنزله الله على كل نبي» أهـ.

---

(١) ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٣٤.

وقد أجمع أهل السنة على أن الله تعالى فوق عرشه ولم يقل أحد منهم أنه ليس على العرش ولا يمكن أحداً أن ينقل عنهم ذلك لا نصاً ولا ظاهراً.

وقال رجل للإمام مالك رحمه الله: يا أبا عبد الله: ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء (العرق) ثم قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً ثم أمر به أن يخرج.

وقد روي نحو هذا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن شيخ مالك.

فقوله: (الاستواء غير مجهول) أي غير مجهول المعنى في اللغة فإن معناه العلو والإستقرار.

وقوله: (والكيف غير معقول) معناه أنا لا ندرك كيفية استواء الله على عرشه بعقولنا وإنما طريق ذلك السمع ولم يرد السمع بذكر الكيفية فإذا انتفى عنها الدليلان العقلي والسمعي كانت مجهولة يجب الكف عنها.

وقوله: (الإيمان به واجب)، معناه: أن الإيمان باستواء الله على عرشه على الوجه اللائق واجب لأن الله أخبر به عن نفسه فوجب تصديقه والإيمان به.

وقوله: (والسؤال عنها بدعة) معناه أن السؤال عن كيفية الاستواء بدعة لأنه لم يكن معروفاً في عهد النبي ﷺ وأصحابه.

وهذا الذي ذكره الإمام مالك رحمه الله في الاستواء ميزان عام لجميع الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فإن معناها معلوم لنا وأما كيفيتها فمجهولة لنا لأن الله أخبرنا عنها ولم يخبر عن كيفيتها[1] ولأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فإذا كنا نثبت ذات الله تعالى من غير تكييف لها فكذلك إثبات صفاته من غير تكييف.

---

(١) راجع ص ٦٥ في بيان الطرق التي تعلم بها الكيفية.

قال بعض أهل العلم: إذا قال لك الجهمي: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فكيف ينزل؟ فقل له: إن الله أخبرنا أنه ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل.

وقال آخر: إذا قال لك الجهمي في صفة من صفات الله كيف هي؟ فقل له: كيف هو بذاته؟ فإنه لا يمكن أن يكيف ذاته فقل له: إذا كان لا يمكن تكييف ذاته فكذلك لا يمكن تكييف صفاته لأن الصفات تابعة للموصوف.

فإن قال قائل: إذا كان استواء الله على عرشه بمعنى العلو عليه لزم من ذلك أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساوياً وهذا يقتضي أن يكون جسماً والجسم ممتنع على الله.

فجوابه أن يقال: لا ريب أن الله أكبر من العرش وأكبر من كل شيء ولا يلزم على هذا القول شيء من اللوازم الباطلة التي ينزه الله عنها.

وما قوله: (إن الجسم ممتنع على الله) فجوابه: أن الكلام في الجسم وإطلاقه على الله نفياً أو إثباتاً من البدع التي لم ترد في الكتاب والسنة وأقوال السلف وهو من الألفاظ المجملة التي تحتاج إلى تفصيل.

فإن أريد بالجسم الشيء المحدث المركب المفتقر كل جزء منه إلى الآخر فهذا ممتنع على الرب الحي القيوم.

وإن أريد بالجسم ما يقوم بنفسه ويتصف بما يليق به فهذا غير ممتنع على الله تعالى فإن الله قائم بنفسه متصف بالصفات الكاملة التي تليق به.

لكن لما كان لفظ الجسم يحتمل ما هو حق وباطل بالنسبة إلى الله صار إطلاق لفظه نفياً أو إثباتاً ممتنعاً على الله.

وهذه اللوازم التي يذكرها أهل البدع ليتوصلوا بها إلى نفي ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال على نوعين:

الأول: لوازم صحيحة لا تنافي ما وجب لله من الكمال فهذه حق يجب القول بها وبيان أنها غير ممتنعة على الله.

الثاني: لوازم فاسدة تنافي ما وجب لله من الكمال فهذه باطلة يجب نفيها وأن يبين أنها غير لازمة لنصوص الكتاب والسنة لأن الكتاب والسنة حق ومعانيهما حق والحق لا يمكن أن يلزم منه باطل أبداً.

فإن قال قائل: إذا فسرتم استواء الله على عرشه بعلوه عليه أوهم ذلك أن يكون الله محتاجاً إلى العرش ليقله.

فالجواب: أن كل من عرف عظمة الله تعالى وكمال قدرته وقوته وغناه فإنه لن يخطر بباله أن يكون الله محتاجاً إلى العرش ليقله، كيف والعرش وغيره من المخلوقات مفتقر إلى الله ومضطر إليه لا قوام له إلا به ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره؟

فإن قيل: هل يصح تفسير استواء الله على عرشه باستيلائه عليه كما فسره به المعطلة فراراً من هذه اللوازم.

فالجواب: أنه لا يصح وذلك لوجوه منها:

١ - إن هذه اللوازم إن كانت حقاً فإنها لا تمنع من تفسير الاستواء بمعناه الحقيقي، وإن كانت باطلاً فإنه لا يمكن أن تكون من لوازم نصوص الكتاب والسنة، ومن ظن أنها لازمة لها فهو ضال.

٢ - أن تفسيره بالإستيلاء يلزم عليه لوازم باطلة لا يمكن دفعها كمخالفة إجماع السلف، وجواز أن يقال: إن الله مستوٍ على الأرض ونحوها مما ينزه الله عنه، وكون الله تعالى غير مستول على العرش حين خلق السمٰوات والأرض.

٣ - أن تفسيره بالإستيلاء غير معروف في اللغة فهو كذب عليها والقرآن نزل بلغة العرب فلا يمكن أن نفسره بما لا يعرفونه في لغتهم.

٤ - أن الذين فسروه بالإستيلاء كانوا مقرين بأن هذا معنى مجازي والمعنى المجازي لا يقبل إلا بعد تمام أربعة أمور:

الأول: الدليل الصحيح المقتضي لصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه.

الثاني: احتمال اللفظ للمعنى المجازي الذي ادعاه من حيث اللغة.

الثالث: احتمال اللفظ للمعنى المجازي الذي ادعاه في ذلك السياق المعين فإنه لا يلزم من احتمال اللفظ لمعنى من المعاني من حيث الجملة أن يكون محتملاً له في كل سياق لأن قرائن الألفاظ والأحوال قد تمنع بعض المعاني التي يحتملها اللفظ في الجملة.

الرابع: أن يبين الدليل على أن المراد من المعاني المجازية هو ما ادعاه لأنه يجوز أن يكون المراد غيره فلا بد من دليل على التعيين والله أعلم.

فصل

والعرش في اللغة سرير الملك، قال الله تعالى عن يوسف: ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ وقال عن ملكة سبأ: ﴿ولها عرش عظيم﴾.

وأما عرش الرحمٰن الذي استوى عليه فهو عرش عظيم محيط بالمخلوقات وهو أعلاها وأكبرها كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة».

قال المؤلف رحمه الله في الرسالة العرشية: والحديث له طرق وقد رواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه وأحمد في المسند وغيرهم أهـ.

والكرسي في اللغة السرير وما يقعد عليه.

أما الكرسي الذي أضافه الله إلى نفسه فهو موضع قدميه تعالى، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل. رواه الحاكم في المستدرك وقال إنه على شرط الشيخين وقد روي مرفوعاً والصواب أنه موقوف.

وهذا المعنى الذي ذكره ابن عباس رضي الله عنهما في الكرسي هو المشهور بين أهل السنة وهو المحفوظ عنه وما روي عنه أنه العلم فغير محفوظ وكذلك ما روي عن الحسن أنه العرش ضعيف لا يصح عنه قاله ابن كثير رحمه الله تعالى.

الباب الحادي عشر
في المعية

أثبت الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أنه مع خلقه.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ﴿والله مع المؤمنين﴾، ﴿إنني معكما﴾.

ومن أدلة السنة قوله ﷺ: «أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت»، وقوله ﷺ لصاحبه أبي بكر وهما في الغار: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾.

وقد أجمع على ذلك سلف الأمة وأئمتها.

والمعية في اللغة: مطلق المقارنة والمصاحبة لكن مقتضاها ولازمها يختلف باختلاف الإضافة وقرائن السياق والأحوال.

فتارة تقتضي إختلاطاً كما يقال: جعلت الماء مع اللبن.

وتارة تقتضي تهديداً وإنذاراً كما يقول المؤدب للجاني: اذهب فأنا معك، وتارة تقتضي نصراً وتأييداً كمن يقول لمن يستغيث به: أنا معك أنا معك إلى غير ذلك من اللوازم والمقتضيات المختلفة باختلاف الإضافة والقرائن والأحوال ومثل هذا اللفظ الذي يتفق في أصل معناه ويختلف مقتضاه وحكمه باختلاف الإضافات والقرائن يسميه بعض الناس مشككاً لتشكيك المستمع هل هو من قبيل المشترك الذي اتحد لفظه واختلف معناه نظراً لاختلاف مقتضاه وحكمه، أو هو من قبيل المتواطىء الذي اتحد لفظه ومعناه نظراً لأصل المعنى؟

والتحقيق أنه نوع من المتواطىء لأن واضع اللغة وضع هذا اللفظ بإزاء القدر المشترك، واختلاف حكمه ومقتضاه إنما هو بحسب الإضافات والقرائن لا بأصل الوضع لكن لما كانت نوعاً خاصاً من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ، إذا تبين ذلك فقد اتضح أن لفظ المعية المضاف إلى الله مستعمل في حقيقته لا في مجازه، غير أن معية الله لخلقه معية تليق به فليس كمعية المخلوق للمخلوق بل هي أعلى وأكمل ولا يلحقها من اللوازم والخصائص ما يلحق معية المخلوق للمخلوق.

هذا وقد فسر بعض السلف معية الله لخلقه بعلمه بهم وهذا تفسير للمعية ببعض لوازمها وغرضهم به الرد على حلولية الجهمية الذين قالوا: إن الله بذاته في كل مكان واستدلوا بنصوص المعية فبين هؤلاء السلف أنه لا يراد من المعية كون الله معنا بذاته فإن هذا محال عقلاً وشرعاً لأنه ينافي ما وجب من علوه ويقتضي أن تحيط به مخلوقاته وهو محال.

أقسام معية الله لخلقه:

تنقسم معية الله لخلقه إلى قسمين: عامة، وخاصة:

فالعامة هي التي تقتضي الإحاطة بجميع الخلق من مؤمن وكافر وبر وفاجر في العلم والقدرة والتدبير والسلطان وغير ذلك من معاني الربوبية.

وهذه المعية توجب لمن آمن بها كمال المراقبة لله عز وجل ولذلك قال النبي ﷺ: «أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت».

ومن أمثلة هذا القسم قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾، ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾.

وأما الخاصة فهي التي تقتضي النصر والتأييد لمن أضيفت له وهي مختصة بمن يستحق ذلك من الرسل واتباعهم.

وهذه المعية توجب لمن آمن بها كمال الثبات والقوة.

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿إن الله مع المؤمنين﴾، ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾، وقوله عن نبيه ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا».

فإن قيل: هل المعية من صفات الله الذاتية أو من صفاته الفعلية؟

فالجواب: أن المعية العامة من الصفات الذاتية لأن مقتضياتها ثابتة لله تعالى أزلاً وأبداً وأما المعية الخاصة فهي من الصفات الفعلية لأن مقتضياتها تابعة لأسبابها توجد بوجودها وتنتفي بانتفائها.

الباب الثاني عشر
في الجمع بين نصوص علو الله بذاته ومعيته

قبل أن نذكر الجمع بينهما نحب أن نقدم قاعدة نافعة أشار إليها المؤلف رحمه الله في كتاب (العقل والنقل) ص ٤٣ ـ ٤٤ ج ١ وخلاصتها:

أنه إذا قيل بالتعارض بين دليلين فإما أن يكونا قطعيين أو ظنيين أو أحدهما قطعياً والآخر ظنياً فهذه ثلاثة أقسام:

الأول: القطعيان وهما ما يقطع العقل بثبوت مدلولهما، فالتعارض بينهما محال لأن القول بجواز تعارضهما يستلزم إما وجوب ارتفاع أحدهما وهو محال لأن القطعي واجب الثبوت وإما ثبوت كل منهما مع التعارض وهو محال أيضاً لأنه جمع بين النقيضين.

فإن ظن التعارض بينهما فإما أن لا يكونا قطعيين وإما أن لا يكون بينهما تعارض بحيث يحمل أحدهما على وجه والثاني على وجه آخر ولا يرد على ذلك ما يثبت نسخه من نصوص الكتاب والسنة القطعية لأن الدليل المنسوخ غير قائم فلا معارض للناسخ.

الثاني: أن يكونا ظنيين إما من حيث الدلالة وإما من حيث الثبوت فيطلب الترجيح بينهما ثم يقدم الراجح.

الثالث: أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً فيقدم القطعي باتفاق العقلاء لأن اليقين لا يدفع بالظن.

إذ تبين هذا فنقول: لا ريب أن النصوص قد جاءت بإثبات علو الله

بذاته فوق خلقه وأنه معهم، وكل منهما قطعي الثبوت والدلالة وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾.

ففي هذه الآية أثبت الله تعالى استواءه على العرش الذي هو أعلى المخلوقات وأثبت أنه معنا وليس بينهما تعارض فإن الجمع بينهما ممكن وبيان إمكانه من وجوه:

الأول: أن النصوص جمعت بينهما فيمتنع أن يكون اجتماعهما محالاً لأن النصوص لا تدل على محال ومن ظن دلالتها عليه فقد أخطأ فليعد النظر مرة بعد أخرى مستعيناً بالله سائلاً منه الهداية والتوفيق باذلاً جهده في الوصول إلى معرفة الحق فإن تبين له الحق فليحمد الله على ذلك وإلا فليكل الأمر إلى عالمه وليقل: آمنا به كل من عند ربنا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العلم الحكيم.

الثاني: أنه لا منافاة بين معنى العلو والمعية فإن المعية لا تستلزم الاختلاط والحلول في المكان كما تقدم فقد يكون الشيء عالياً بذاته وتضاف إليه المعية كما يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا مع أن القمر في السماء ولا يعد ذلك تناقضاً لا في اللفظ ولا في المعنى فإن المخاطب يعرف معنى المعية هنا وأنه لا يمكن أن يكون مقتضاها أن القمر في الأرض فإذا جاز اجتماع العلو والمعية في حق المخلوق ففي حق الخالق أولى.

الثالث: أنه لو فرض أن بين معنى العلو والمعية تناقضاً وتعارضاً في حق المخلوق فإن ذلك لا يلزم في حق الخالق لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع صفاته فلا تقاس معيته بمعية خلقه ولا تقتضي معيته لهم أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم لوجوب علوه بذاته ولأنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته بل هو بكل شيء محيط.

وبنحو هذه الوجوه يمكن الجمع بين ما ثبت من علو الله بذاته وكونه

قبل وجه المصلي فيقال الجمع بينهما من وجوه:

الأول: أن النصوص جمعت بينهما والنصوص لا تأتي بالمحال.

الثاني: أنه لا منافاة بين معنى العلو والمقابلة فقد يكون الشيء عالياً وهو مقابل لأن المقابلة لا تستلزم المحاذاة ألا ترى أن الرجل ينظر إلى الشمس حال بزوغها فيقول: إنها قبل وجهي مع أنها في السماء ولا يعد ذلك تناقضاً في اللفظ ولا في المعنى فإذ جاز هذا في حق المخلوق ففي حق الخالق أولى.

الثالث: أنه لو فرض أن بين معنى العلو والمقابلة تناقضاً وتعارضاً في حق المخلوق فإن ذلك لا يلزم في حق الخالق لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع صفاته فلا يقتضي كونه قبل وجه المصلي أن يكون في المكان أو الحائط الذي يصلي إليه لوجوب علوه بذاته ولأنه لا يحيط به شيء من المخلوقات بل هو بكل شيء محيط.

الباب الثالث عشر
في نزول الله إلى السماء الدنيا

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له.

وقد روى هذا الحديث عن النبي ﷺ نحو ثمان وعشرين نفساً من الصحابة رضي الله عنهم واتفق أهل السنة على تلقي ذلك بالقبول.

ونزوله تعالى إلى السماء الدنيا من صفاته الفعلية التي تتعلق بمشيئته وحكمته وهو نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته.

ولا يصح تحريف معناه إلى نزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته فإن هذا باطل لوجوه:

الأول: أنه خلاف ظاهر الحديث لأن النبي ﷺ أضاف النزول إلى الله والأصل أن الشيء إنما يضاف إلى من وقع منه أو قام به فإذا صرف إلى غيره كان ذلك تحريفاً يخالف الأصل.

الثاني: أن تفسيره بذلك يقتضي أن يكون في الكلام شيء محذوف والأصل عدم الحذف.

الثالث: أن نزول أمره أو رحمته لا يختص بهذا الجزء من الليل بل أمره ورحمته ينزلان كل وقت، فإن قيل: المراد نزول أمر خاص ورحمة خاصة وهذا لا يلزم أن يكون كل وقت فالجواب: أنه لو فرض صحة هذا

التقدير والتأويل فإن الحديث يـدل على أن منتهى نزول هـذا الشيء هو السماء الدنيا وأي فائدة لنا في نزول رحمة إلى السماء الدنيا حتى يخبرنا النبي ﷺ عنها؟

الـرابع: ن الحـديث دل على أن الذي ينـزل يقول: من يـدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، ولا يمكن أن يقول ذلك أحد سوى الله تعالى.

فصل
في الجمع بين نصوص علو الله تعالى بذاته ونزوله إلى السماء الدنيا

علو الله تعالى من صفاته الذاتية التي لا يمكن أن ينفك عنها وهو لا ينافي ما جاءت به النصوص من نزوله إلى السماء الدنيا والجمع بينهما من وجهين:

الأول: أن النصوص جمعت بينهما والنصوص لا تأتي بالمحال كما تقدم.

الثاني: أن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته فليس نزوله كنزول المخلوقين حتى يقال إنه ينافي علوه ويناقضه والله أعلم.

الباب الرابع عشر
في إثبات الوجه لله تعالى

مذهب أهل السنة والجماعة أن لله وجهاً حقيقياً يليق به موصوفاً بالجلال والإكرام. وقد دل على ثبوته لله الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾.

ومن أدلة السنة قول النبي ﷺ في الدعاء المأثور: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك».

فوجه الله تعالى من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به.

ولا يصح تحريف معناه إلى الثواب لوجوه منها:

الأول: أنه خلاف ظاهر النص وما كان مخالفاً لظاهر النص فإنه يحتاج إلى دليل ولا دليل على ذلك.

ثانياً: أن هذا الوجه ورد في النصوص مضافاً إلى الله تعالى إما أن يكون شيئاً قائماً بنفسه وإما أن يكون غير قائماً بنفسه فإن كان قائماً بنفسه فهو مخلوق وليس من صفاته كبيت الله وناقة الله وإنما أضيف إليه إما للتشريف وإما من باب إضافة المملوك والمخلوق إلى مالكه وخالقه. وإن كان غير قائم بنفسه فهو من صفات الله وليس بمخلوق كعلم الله وقدرته وعزته وكلامه ويده وعينه ونحو ذلك والوجه بلا ريب من هذا النوع فإضافه

إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

ثالثاً: إن الثواب مخلوق بائن عن الله تعالى والوجه صفة من صفات الله غير مخلوق ولا بائن فكيف يفسر هذا بهذا؟

رابعاً: إن ذلك الوجه وصف في النصوص بالجلال والإكرام وبأن له نوراً يستعاذ به وسبحات تحرق ما انتهى إليه بصر الله من خلقه كل هذه الأوصاف تمنع أن يكون المراد به الثواب. والله أعلم.

الباب الخامس عشر
في يدي الله عز وجل

مـذهب أهل السنـة والجماعـة أن لله تعالى يـدين اثنتين مبسوطتين بالعطاء والنعم. وهما من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به.

وقد دل على ثبوتهما الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب قـوله تعـالى: ﴿ما منعـك أن تسجد لمـا خلقت بيدي﴾.

ومن أدلة السنة قوله ﷺ: «يد الله ملآى سحاء الليل والنهار رأيتم ما أنفق منذ خلق السمٰوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه».

وقد أجمع أهل السنة على أنهما يدان حقيقيتـان لا تشبهان أيـدي المخلوقين ولا يصح تحريف معناهما إلى القوة أو النعمة أو نحو ذلك لوجوه منها:

أولاً: إنه صرف للكلم عن حقيقته إلى مجازه بلا دليل.

ثانياً: إنه معنى تأباه اللغة في مثل السياق الذي جاءت به مضافـة إلى الله تعـالى فإن الله قـال: ﴿لما خلقت بيـدي﴾، ولا يصح أن يكـون المعنى لما خلقت بنعمتي أو قوتي.

ثالثاً: إنه ورد إضافة اليد إلى الله بصيغة التثنية ولم يرد في الكتاب والسنة ولا في موضع واحد إضافة النعمة والقوة إلى الله بصيغة التثنية فكيف يفسر هذا بهذا؟

رابعاً: أنه لو كان المراد بهما القوة لصح أن يقال: إن الله خلق إبليس بيده ونحو ذلك وهذا ممتنع ولو كان جائزاً لاحتج به إبليس على ربه حين قال له: **﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾**.

خامساً: أن اليد التي أضافها الله إلى نفسه تصرفت تصرفاً يمنع أن يكون المراد بها النعمة أو القوة فجاءت بلفظ اليد والكف وجاء إثبات الأصابع لله تعالى والقبض والهز كقوله ﷺ: «يقبض الله سمواته بيده والأرض باليد الأخرى ثم يهزهن ويقول: أنا الملك».

وهذه التصرفات تمنع أن يكون المراد بها النعمة أو القوة.

الباب السادس عشر
في عيني الله تعالى

مذهب أهل السنة والجماعة أن لله عينين اثنتين ينظر بهما حقيقة على الوجه اللائق به.

وهما من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿تجري بأعيننا﴾.

ومن أدلة السنة قول النبي ﷺ: «إن ربكم ليس بأعور - ينظر إليكم أزلين قنطين - حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

فهما عينان حقيقيتان لا تشبهان أعين المخلوقين. ولا يصح تحريف معناهما إلى العلم والرؤية لوجوه منها:

أولاً: إنه صرف للكلام عن حقيقته إلى مجازه بلا دليل.

ثانياً: إن في النصوص ما يمنع ذلك مثل قوله ﷺ: «ينظر إليكم» «لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، «وإن ربكم ليس بأعور».

الباب السابع عشر
في الوجوه التي وردت عليها
صفتا اليدين والعينين

وردت صفتا اليدين والعينين في النصوص مضافة إلى الله تعالى على ثلاثة أوجه: الإفراد والتثنية والجمع.

فمن أمثلة الإفراد قوله تعالى: **﴿تبارك الذي بيده الملك﴾**، **﴿ولتصنع على عيني﴾**.

ومن أمثلة الجمع قوله تعالى: **﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً﴾**، **﴿تجري بأعيننا﴾**.

ومن أمثلة التثنية قوله تعالى: **﴿بل يداه مبسوطتان﴾** وقول النبي ﷺ: «إذا قام العبد في الصلاة قام بين عيني الرحمٰن» هكذا هو في مختصر الصواعق عن عطاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولم يعزه ولم ترد صفة العينين في القرآن بصورة التثنية.

هذه هي الوجوه الثلاثة التي وردت عليها صفتا اليدين والعينين.

والجمع بين هذه الوجوه أن يقال:

إن الإفراد لا ينافي التثنية ولا الجمع لأن المفرد المضاف يعم فيتناول كل ما ثبت لله من يد أو عين واحدة كانت أو أكثر.

وأما الجمع بين ما جاء بلفظ التثنية وبلفظ الجمع: فإن قلنا أقل الجمع إثنان فلا منافاة أصلاً بين صيغتي التثنية والجمع لاتحاد مدلوليهما

وإن قلنا أقل الجمع ثلاثة وهو المشهور فالجمع بينهما أن يقال: أنه لا يراد من صيغة الجمع مدلولها الذي هو ثلاثة فأكثر وإنما أريد بها ـ والله أعلم ـ التعظيم والمناسبة أعني مناسبة المضاف للمضاف إليه فإن المضاف إليه وهو «نا» يراد به هنا التعظيم قطعاً فناسب أن يؤتى بالمضاف بصيغة الجمع ليناسب المضاف إليه فإن الجمع أدل على التعظيم من الإفراد والتثنية وإذا كان كل من المضاف والمضاف إليه دالاً على التعظيم حصل من بينهما تعظيم أبلغ.

الباب الثامن عشر
في كلام الله سبحانه وتعالى

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الله يتكلم وأن كلامه صفة حقيقية ثابتة له على الوجه اللائق به.

وهو سبحانه يتكلم بحرف وصوت كيف يشاء متى شاء فكلامه صفة ذات باعتبار جنسه وصفة فعل باعتبار آحاده.

وقد دل على هذا القول الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: **﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾**، وقوله: **﴿وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ﴾**، وقوله: **﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا﴾**.

ففي الآية الأولى إثبات أن الكلام يتعلق بمشيئته وأن آحاده حادثة.

وفي الآية الثانية دليل على أنه بحرف فإن مقول القول فيها حروف.

وفي الآية الثالثة دليل على أنه بصوت إذ لا يعقل النداء والمناجاة إلا بصوت.

ومن أدلة السنة قول النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار».

وكلامه سبحانه هو اللفظ والمعنى جميعاً ليس هو اللفظ وحده أو المعنى وحده هذا هو قول أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى أما أقوال غيرهم فإليك ملخصها من مختصر الصواعق المرسلة:

١ ـ قول الكرامية وهو كقول أهل السنة إلا أنهم قالوا: إنه حادث بعد أن لم يكن فراراً من إثبات حوادث لا أول لها.

٢ ـ قول الكلابية إنه معنى قائم بذاته لازم لها كلزوم الحياة والعلم فلا يتعلق بمشيئته والحروف والأصوات حكاية عنه خلقها الله لتدل على ذلك المعنى القائم بذاته وهو أربعة معانٍ أمر ونهي وخبر واستخبار.

٣ ـ قول الأشعرية وهو كقول الكلابية إلا أنهم يخالفونهم في شيئين:

أحدهما: في معاني الكلام فالكلابية يقولون: إنه أربعة معانٍ والأشعرية يقولون: إنه معنى واحد فالخبر والإستخبار والأمر والنهي كل واحد منها هو عين الآخر وليست أنواعاً للكلام بل صفات له بل التوراة والإنجيل والقرآن كل واحد منها عين الآخر لا تختلف إلا بالعبارة.

الثاني: أن الكلابية قالوا: إن الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله وأما الأشعرية فقالوا: إنها عبارة عن كلام الله.

٤ ـ قول السالمية أنه صفة قائمة بذاته لازمة لها كلزوم الحياة والعلم فلا يتعلق بمشيئته وهو حروف وأصوات متقارنة لا يسبق بعضها بعضاً فالباء والسين والميم في البسملة مثلاً كل حرف منها مقارن للآخر في آن واحد ومع ذلك لم تزل ولا تزال موجودة.

٥ ـ قول الجهمية والمعتزلة إنه مخلوق من المخلوقات وليس من صفات الله.

ثم من الجهمية من صرح بنفي الكلام عن الله ومنهم من أقر به وقال: إنه مخلوق.

٦ ـ قول فلاسفة المتأخرين اتباع أرسطو أنه فيض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها وقبولها فيوجب لها تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه وهذه التصورات والتصديقات المتخيلة تقوى حتى تصور الشيء المعقول صوراً نورانية تخاطبها بكلام تسمعه الآذان.

٧ ـ قول الإتحادية القائلين بوحدة الوجود إن كل كلام في الوجود كلام الله كما قال قائلهم:

وكـل كـلام من الـوجـود كـلامـه ‏ ‏ ‏ ‏ سـواء عـليـنـا نـثـره ونـظامـه

وكل هذه الأقوال مخالفة لما دل عليه الكتاب والسنة والعقل ومن رزقه الله علماً وحكمة فهم ذلك.

فصل
في أن القرآن كلام الله

مذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود تكلم به حقيقة وألقاه إلى جبريل فنزل به على قلب محمد ﷺ.

وقد دل على هذا القول الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾**، يعني القرآن وقوله: **﴿كتاب أنزلناه إليك﴾**، **﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾**.

ومن أدلة السنة قوله ﷺ وهو يعرض نفسه على الناس في الموقف: «ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل»، وقوله ﷺ للبراء بن عازب: «إذا أويت إلى فراشك فقل اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا مخبأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت».

وقال عمرو بن دينار: أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود أهـ.

ومعنى قوله منه بدأ: أن الله تكلم به ابتداء وفيه رد على الجهمية القائلين بأن خلقه في غيره.

وأما قولهم وإليه يعود فيحتمل معنيين:

أحدهما: أنه تعود صفة الكلام بالقرآن إليه بمعنى أن أحداً لا يوصف بأنه تكلم به غير الله لأنه هو المتكلم به والكلام صفة للمتكلم.

الثاني: أنه يرفع إلى الله تعالى كما جاء في بعض الآثار أنه يسري به من المصاحف والصدور وذالك إنما يقع ـ والله أعلم ـ حين يعرض الناس عن العمل بالقرآن إعراضاً كلياً فيرفع عنهم تكريماً له والله المستعان.

فصل
في اللفظ والملفوظ

الكلام في هذا الفصل يتعلق بالقرآن فإنه قد سبق أن القرآن كلام الله غير مخلوق لكن اللفظ بالقرآن هل يصح أن نقول: أنـه مخلوق أو غير مخلوق أو يجب السكوت؟

فالجواب أن يقال: إن إطلاق القول في هذا نفياً أو إثباتاً غير صحيح وأما عند التفصيل فيقال: إن أريد باللفظ التلفظ الذي هو فعل العبد فهو مخلوق، لأن العبد وفعله مخلوقـان، وإن أريـد باللفظ الملفـوظ به فهـو كلام الله غير مخلوق، لأن كلام الله من صفاته وصفاته غير مخلوقة، ويشير إلى هذا التفصيل قـول الإمام أحمـد رحمه الله: من قـال لفظي بـالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو جهمي فقوله يريد به القرآن يدل على أنه إن أراد به غير القرآن وهو التلفظ الذي هو فعل فليس بجهمي والله أعلم.

الباب التاسع عشر
في ظهور مقالة التعطيل واستمدادها

شاعت مقالة التعطيل بعد القرون المفضلة الصحابة والتابعين وتابعيهم وإن كان أصلها قد نبغ في أواخر عصر التابعين.

وأول من تكلم بالتعطيل الجعد بن درهم فقال: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً فقتله خالد بن عبد الله القسري الذي كان والياً على العراق لهشام بن عبد الملك خرج به إلى مصلى العيد بوثاقه ثم خطب الناس وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ثم نزل وذبحه وذلك في عيد الأضحى سنة ١١٩ هـ.

لأجل ذا ضحى بجعد الـ	ـقسري يوم ذبائح القران
إذ قال: إبراهيم ليس خليله	كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة	لله درك من أخي قربان

ثم أخذها عن الجعد رجل يقال له الجهم بن صفوان وهو الذي ينسب إليه مذهب الجهمية المعطلة لأنه نشره فقتله سالم بن أحوز صاحب شرطة نصر بن سيار وذلك في مرو سنة ١٢٨ هـ.

وفي حدود المئة الثانية عربت الكتب اليونانية والرومانية فازداد الأمر بلاء وشدة.

ثم في حدود المئة الثالثة انتشرت مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته الذين أجمع الأئمة على ذمهم وأكثرهم كفروهم أو

ضللّوهم. وصنف عثمان بن سعيد الدارمي كتاباً رد به على المريسي سماه (نقض عثمان بن سعيد على الكافر العنيد فيما افترى على الله من التوحيد) من طالع هذا الكتاب بعلم وعدل تبين له ضعف حجة هؤلاء المعطلة بل بطلانها وأن هذه التأويلات التي توجد في كلام كثير من المتأخرين كالرازي والغزالي وابن عقيل وغيرهم هي بعينها تأويلات بشر.

وأما استمداد مقالة التعطيل فكان من اليهود والمشركين وضلال الصابئين والفلاسفة.

فإن الجعد بن درهم أخذ مقالته على ما قيل من أبان بن سمعان عن طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ.

ثم إن الجعد كان ـ على ما قيل ـ من أرض حران وفيها خلق كثير من الصابئة والفلاسفة ولا ريب أن للبيئة تأثيراً قوياً في عقيدة الإنسان وأخلاقه.

وكان مذهب النفاة من هؤلاء أن الله ليس له صفات ثبوتية لأن ثبوت الصفات يقتضي ـ على زعمهم ـ أن الله مشابه لخلقه وإنما يثبتون له صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما.

فالسلبية ما كان مدلولها عدم أمر لا يليق بالله عز وجل مثل قولهم: إن الله واحد بمعنى أنه مسلوب عنه القسمة بالكم أو القول ومسلوب عنه الشريك.

والإضافية هي التي لا يوصف الله بها على أنها صفة ثابتة له ولكن يوصف بها باعتبار إضافتها إلى الغير كقولهم عن الله تعالى: أنه مبدأ وعلة فهو مبدأ وعلة باعتبار أن الأشياء صدرت منه لا باعتبار صفة ثابتة له هي البداء والعلية.

والمركبة منها هي: التي تكون سلبية باعتبار وإضافية باعتبار كقولهم عن الله تعالى: أنه أول فهي سلبية باعتبار أنه مسلوب عنه الحدوث إضافية باعتبار أن الأشياء بعده. فإذا كان هذا هو ما تستمد منه طريقة النفاة فكيف تطيب نفس مؤمن أو عاقل أن يأخذ به ويترك سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

الباب العشرون
في طريقة النفاة فيما يجب إثباته أو نفيه من صفات الله

اتفق النفاة على أن يثبتوا لله من الصفات ما اقتضت عقولهم إثباته وأن ينفوا عنه ما اقتضت عقولهم نفيه سواء وافق الكتاب والسنة أم خالفهما فطريق إثبات الصفات لله أو نفيها عنه عندهم هو العقل.

ثم اختلفوا فيما لا يقتضي العقل إثباته أو نفيه فأكثرهم نفوه وخرجوا ما جاء منه على المجاز وبعضهم توقف فيه وفوض علمه إلى الله مع نفي دلالته على شيء من الصفات.

وهم يزعمون أنهم وفقوا بهذه الطريقة بين الأدلة العقلية والنقلية ولكنهم كذبوا في ذلك لأن الأدلة العقلية والنقلية متفقة على إثبات صفات الكمال لله وكل ما جاء في الكتاب والسنة من صفات الله فإنه لا يخالف العقل وإن كان العقل يعجز عن إدراك التفصيل في ذلك.

وقد شابه هؤلاء النفاة في طريقتهم طريقة من قال الله فيهم: «ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً».

ووجه مشابهتهم لهم من وجوه:

الأول: أن كل واحد من الفريقين يزعم أنه مؤمن بما أنـزل على النبي ﷺ مع أنهم لا يقبلون كل ما جاء به.

الثاني: أن هؤلاء النفاة إذا دعوا إلى ما جاء به الكتاب والسنة من إثبات صفات الكمال لله أعرضوا وامتنعوا كما أن أولئك المنافقين إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صدوا وأعرضوا.

الثالث: أن هؤلاء النفاة لهم طواغيت يقلدونهم ويقدمونهم على ما جاءت به الرسل ويريدون أن يكون التحاكم عند النزاع إليهم لا إلى الكتاب والسنة كما أن أولئك المنافقين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به.

الرابع: أن هؤلاء النفاة زعموا أنهم أرادوا بطريقتهم هذه عملاً حسناً وتوفيقاً بين العقل والسمع كما أن أولئك المنافقين يحلفون أنهم، ما أرادوا إلا إحساناً وتوفيقاً.

وكل مبطل يتستر في باطله ويتظاهر بالحق فإنه يأتي بالدعاوي الباطلة التي يروج بها باطله ولكن من وهبه الله علماً وفهماً وحكمة وحسن قصد فإنه لا يلتبس عليه الباطل ولا تروج عليه الدعاوى الكاذبة والله المستعان.

فصل
فيما يلزم على طريقة النفاة من اللوازم الباطلة

يلزم على طريقة النفاة لوازم باطلة منها:

أولاً: أن الكتاب والسنة صرحا بالكفر والدعوة إليه لأنهما مملوءان من إثبات صفات الله التي زعم هؤلاء النفاة أن إثباتها تشبيه وكفر.

ثانياً: أن الكتاب والسنة لم يبينا الحق لأن الحق عند هؤلاء هو نفي الصفات وليس في الكتاب ولا في السنة ما يدل على نفي صفات الكمال عن الله لا نصاً ولا ظاهراً.

وغاية المتحذلق من هؤلاء أن يستنتج ذلك[1] من مثل قوله تعالى: **﴿هل تعلم له سميا﴾**، **﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾**.

ومن المعلوم لكل عاقل أن المقصود من أمثال هذه النصوص إثبات كمال الله تعالى وأنه لا شبيه له في صفاته ولا يمكن أن يراد بها بيان انتفاء الصفات عنه إذ لا ريب أن من دل الناس على انتفاء الصفات عن الله بمثل هذا الكلام فهو إما ملغز في كلامه أو مدلس أو عاجز عن البيان، وكل هذه الأمور ممتنعة في كلام الله وكلام رسوله ﷺ فإن كلامهما قد تضمن كمال البيان والإرادة فليس المقصود به إرادة ضلال الخلق والتعمية عليهم وليس فيه نقص في البيان والفصاحة.

ثالثاً: أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم

---

(١) أي ما يدعيه من نفي الصفات.

بإحسان كانوا قائلين بالباطل وكاتمين للحق أو جاهلين به فإنه قد تواتر النقل عنهم بإثبات صفات الكمال لله الذي زعم هؤلاء أنه باطل ولم يتكلموا مرة واحدة بنفي الصفات الذي زعم هؤلاء أنه الحق وهذا اللازم ممتنع على خير القرون وأفضل الأمة.

رابعاً: أنه إذا انتفت صفة الكمال عن الله لزم أن يكون متصفاً بصفات النقص فإن كل موجود في الخارج لا بد له من صفة فإذا انتفت عنه صفات الكمال لزم أن يكون متصفاً بصفات النقص وبهذا ينعكس الأمر على هؤلاء النفاة ويقعون في شر مما فروا منه.

فصل
فيما يعتمد عليه النفاة من الشبهات

يعتمد نفاة الصفات على شبهات باطلة[1] يعرف بطلانها كل من رزقه الله علماً صحيحاً وفهماً سليماً.

وغالب ما يعتمدون عليه ما يأتي:

١ ـ دعوى كاذبة مثل أن يدعي الإجماع على قوله أو أنه هو التحقيق أو أنه قول المحققين أو أن قول خصمه خلاف الإجماع ونحو ذلك.

٢ ـ شبهة مركبة من قياس فاسد مثل قولهم: إثبات الصفات لله يستلزم التشبيه لأن الصفات إعراض والعرض لا يقوم إلا بجسم والأجسام متماثلة.

٣ ـ تمسك بألفاظ مشتركة بين معانٍ يصح نسبتها إلى الله تعالى ومعانٍ لا يصح نسبتها إليه مثل الجسم والحيز والجهة فهذه الألفاظ المجملة يتوصلون لإطلاق نفيها عن الله إلى نفي صفاته عنه[2].

ثم هم يصوغون هذه الشبهات بعبارات مزخرفة طويلة غريبة يحسبها الجاهل بها حقاً بما كسيته من زخارف القول فإذا حقق الأمر تبين له أنها شبهات باطلة كما قيل:

---

(١) ومنها ما تقدم من قوله تعالى: ﴿هل تعلم له سميا﴾، ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾.

(٢) انظر الكلام في الجهة ص ٦٨ الباب التاسع والكلام في الجسم ص ٧١ الباب العاشر وأما الحيز فينفصل فيه فإن أريد أن الله تحوزه المخلوقات فهو ممتنع وإن أريد أنه منحاز عن المخلوقات مباين لها فصحيح.

حجج تهافتت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

والرد على هؤلاء من وجوه:

الأول: نقض شبهاتهم وحججهم وأنه يلزمهم فيما أثبتوه نظير ما فروا منه فيما نفوه.

الثاني: بيان تناقض أقوالهم واضطرابها حيث كان كل طائفة منهم تدعي أن العقل يوجب ما تدعي الأخرى أنه يمنعه ونحو ذلك بل الواحد منهم ربما يقول قولاً يدعي أن العقل يوجبه ثم ينقضه في محل آخر وتناقض الأقوال من أقوى الأدلة على فسادها.

الثالث: بيان ما يلزم على نفيهم من اللوازم الباطلة فإن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم.

الرابع: أن النصوص الواردة في الصفات لا تحتمل التأويل ولئن احتمله بعضها فليس فيه ما يمنع إرادة الظاهر فتعين المصير إليه.

الخامس: أن عامة هذه الأمور من الصفات يعلم بالضرورة من دين الإسلام أن الرسول ﷺ جاء بها، فتأويلها بمنزلة تأويل القرامطة والباطنية للصلاة والصوم والحج ونحو ذلك.

السادس: أن العقل الصريح ـ أي السالم من الشبهات والشهوات ـ لا يحيل ما جاءت به النصوص من صفات الله، بل إنه يدل على ثبوت صفات الكمال لله في الجملة وإن كان في النصوص من التفاصيل في هذا الباب ما تعجز العقول عن إدراكه والإحاطة به.

وقد اعترف الفحول من هؤلاء أن العقل لا يمكنه الوصول إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية وعلى هذا فالواجب تلقي ذلك من النبوات على ما هو عليه من غير تحريف والله أعلم.

الباب الحادي والعشرون
في أن كل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل قد جمع بين التعطيل والتمثيل

المعطل: هو من نفى شيئاً من أسماء الله أو صفاته كالجهمية والمعتزلة والأشعرية ونحوهم.

والممثل: هو من أثبت الصفات لله ممثلاً له بخلقه كمتقدمي الرافضة ونحوهم.

وحقيقة الأمر أن كل معطل ممثل وكل ممثل معطل.

أما المعطل فتعطيله ظاهر وأما تمثيله فوجهه: أنه إنما عطل لأنه اعتقد أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه فأخذ ينفي الصفات فراراً من ذلك فمثل أولاً وعطل ثانياً.

وأما الممثل فتمثيله ظاهر وأما تعطيله فمن وجوه ثلاثة:

أحدها: أنه عطل نفس النص الذي أثبت به الصفة حيث صرفه عن مقتضى ما يدل عليه، فإن النص دال على إثبات صفة تليق بالله لا على مشابهة الله لخلقه.

الثاني: أنه إذا مثل الله بخلقه فقد عطل كل نص يدل على نفي مشابهته لخلقه مثل قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شي﴾، ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾.

الثالث: أنه إذا مثل الله بخلقه فقد عطله عن كماله الواجب حيث شبه الرب الكامل من جميع الوجوه بالمخلوق الناقص.

الباب الثاني والعشرون
في تحذير السلف عن علم الكلام

علم الكلام هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها وأعرضوا بها عما جاء الكتاب والسنة به، وقد تنوعت عبارات السلف في التحذير عن الكلام وأهله لما يفضي إليه من الشبهات والشكوك حتى قال الإمام أحمد: لا يفلح صاحب كلام أبداً وقال الشافعي: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام أهـ.

وهم مستحقون لما قاله الإمام الشافعي من وجه، ليتوبوا إلى الله ويرتدع غيرهم عن اتباع مذهبهم، وإذا نظرنا إليهم من وجه آخر وقد استولت عليهم الحيرة واستحوذ عليهم الشيطان فإننا نرحمهم ونرق لهم ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاهم به.

فلنا فيهم نظران، نظر من جهة الشرع نؤدبهم ونمنعهم به من نشر مذهبهم، ونظر من جهة القدر نرحمهم ونسأل الله لهم العافية ونحمد الله الذي عافانا من حالهم.

وأكثر من يخاف عليهم الضلال هم الذين دخلوا في علم الكلام ولم يصلوا إلى غايته. ووجه ذلك أن من لم يدخل فيه فهو في عافية ومن وصل إلى غايته فقد تبين له فساده ورجع إلى الكتاب والسنة كما جرى لبعض كبارهم[1] فيبقى الخطر على من خرج عن الصراط المستقيم ولم يتبين له حقيقة الأمر.

---

(١) راجع ص ٥٩ من الباب الرابع.

وقد نقل المؤلف رحمه الله في هذه الفتوى كثيراً من كلام من تكلم في هذا الباب من المتكلمين قال: وإن كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام ولكن كثيراً من الناس قد صار منتسباً إلى بعض طوائف المتكلمين ومحسناً للظن بهم دون غيرهم ومتوهماً أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم فلو أتى بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم. ثم قال: وليس كل من ذكرنا قوله من المتكلمين وغيرهم نقول بجميع ما يقوله في هذا وغيره ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به أهـ.

فبين رحمه الله أن الغرض من نقله بيان الحق من أي إنسان وإقامة الحجة على هؤلاء من كلام أئمتهم والله أعلم.

الباب الثالث والعشرون
في أقسام المنحرفين عن الإستقامة
في باب الإيمان بالله واليوم الآخر

طريقة النبي ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان على الصراط المستقيم علماً وعملاً يعرف ذلك من تتبعها بعلم وعدل فقد حققوا الإيمان بالله واليوم الآخر وأقروا بأن ذلك حق على حقيقته وهم في عملهم مخلصون لله متبعون لشرعه فلا شرك ولا ابتداع ولا تحريف ولا تكذيب.

وأما المنحرفون عن طريقتهم فهم ثلاث طوائف:

أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

فأما أهل التخييل: فهم الفلاسفة والباطنية ومن سلك سبيلهم من المتكلمين وغيرهم. وحقيقة مذهبهم أن ما جاءت به الأنبياء مما يتعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر أمثال وتخييلات لا حقيقة لها في الواقع وإنما المقصود بها انتفاع العامة وجمهور الناس لأن الناس إذا قيل لهم إن لكم رباً عظيماً قادراً رحيماً قادراً وأمامكم يوماً عظيماً تبعثون فيه وتجازون بأعمالكم ونحو ذلك استقاموا على الطريقة المطلوبة منهم وإن كان هذا لا حقيقة له على زعم هؤلاء.

ثم إن هؤلاء على قسمين: غلاة وغير غلاة.

فأما الغلاة فيزعمون أن الأنبياء لا يعلمون حقائق هذه الأمور وأن من المتفلسفة الإلهية ومن يزعمونهم أولياء من يعلم هذه الحقائق، فزعموا أن

من الفلاسفة من هو أعلم بالله واليـوم الآخر من النبيين الـذين هم أعلم الناس بذلك.

وأما غير الغلاة فيزعمون أن الأنبياء يعلمون حقائق هذه الأمور ولكنهم ذكروا للناس أموراً تخييلية لا تطابق الحق لتقوم مصلحة الناس، فزعموا أن مصلحة العباد لا تقوم إلا بهذه الطريقة التي تتضمن كذب الأنبياء في أعظم الأمور وأهمها.

فالطائفة الأولى حكمت على الرسل بالجهل. والطائفة الثانية حكمت عليهم بالخيانة والكذب.

هذا هو قول أهل التخييل فيما يتعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر، أما في الأعمال فمنهم من يجعلها حقائق يؤمر بها كل أحد ومنهم من يجعلها تخييلات ورموزاً يؤمـر بها العـامة دون الخـاصة فيؤولـون الصلاة بمعـرفة أسرارهم والصيام بكتمانها والحج بالسفر إلى شيوخهم ونحو ذلك. وهؤلاء الملاحدة من الإسماعيلية والباطنية ونحوهم.

وفساد قول هؤلاء معلوم بضرورة الحس والعقل والشرع فإننا نشاهد من الآيات الدالة على وجود الله وكمال صفاته ما لا يمكن حصره:

وفـي كــل شـيءٍ لــه آيــة تــدل عــلى أنــه واحــد

فإن هذه الحوادث المنتظمة لا يمكن أن تحدث إلا بمدبر حكيم قادر على كل شيء.

والإيمان باليوم الآخر دلت عليه جميع الشـرائع واقتضتـه حكمة الله البالغة ولا ينكره إلا مكابر أو مجنون وأهل التخييل لا يحتاجون في الرد عليهم إلى شيء كثير لأن نفور الناس عنهم معلوم ظاهر. وأما أهل التأويل: فهم المتكلمون من الجهمية والمعتزلة وأتباعهم.

وحقيقة مذهبهم أن مـا جاء بـه النبي ﷺ من نصوص الصفـات لم يقصد به ظاهره، وإنما المقصود به معانٍ تخالفه يعلمها النبي ﷺ لكنه تركها

للناس يستنتجونها بعقولهم ثم يحاولون صرف ظواهر النصوص إليها، وغرضه بذلك امتحان عقولهم وكثرة الثواب بما يعانونه من محاولة صرف الكلام عن ظاهره وتنزيله على شواذ اللغة وغرائب الكلام.

وهؤلاء هم أكثر الناس اضطراباً وتناقضاً لأنهم ليس لهم قدم ثابت في ما يمكن تأويله وما لا يمكن ولا في تعيين المعنى المراد.

ثم إن غالب ما يزعمونه من المعاني يعلم من حال المتكلم وسياق كلامه أنه لم يرده في ذلك الخطاب المعين الذي أولوه.

وهؤلاء كانوا يتظاهرون بنصر السنة ويتسترون بالتنزيه ولكن الله تعالى هتك أستارهم برد شبهاتهم ودحض حججهم فلقد تصدى شيخ الإسلام وغيره للرد عليهم أكثر من غيرهم[1] لأن الاغترار بهم أكثر من الاغترار بغيرهم لما يتظاهرون به من نصر السنة.

---

(١) انظر الرد عليهم ص ٩٥ في الباب العشرين.

فصل

مذهب أهل التأويل في نصوص المعاد الإيمان بها على حقيقتها من غير تأويل ولما كان مذهبهم في نصوص الصفات صرفها عن حقائقها إلى معاني مجازية تخالف ظاهرها استطال عليهم أهل التخييل فألزموهم القول بتأويل نصوص المعاد كما فعلوا في نصوص الصفات فقال أهل التأويل لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسول ﷺ جاء بإثبات المعاد وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه فلزم القول بثبوته أهـ.

وهذا جواب صحيح وحجة قاطعة تتضمن الدفاع عنهم في عدم تأويلهم نصوص المعاد وإلزامهم أهل التخييل أن يقولوا بإثبات المعاد وإجراء نصوصه على حقائقها لأنه إذا قام الدليل وانتفى المانع وجب ثبوت المدلول.

وقد احتج أهل السنة على أهل التأويل بهذه الحجة نفسها ليقولوا بثبوت الصفات وإجراء نصوصها على حقيقتها فقالوا لأهل التأويل: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسول ﷺ جاء بإثبات الصفات لله وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه فلزم القول بثبوتها، وهذا إلزام صحيح وحجة قائمة لا محيد لأهل التأويل عنها فإن من منع صرف الكلام عن حقيقته في نصوص المعاد يلزمه أن يمنعه في نصوص الصفات التي هي أعظم وأكثر إثباتاً في الكتب الإلهية من إثبات المعاد وإن لم يفعل فقد تبين تناقضه وفساد عقله.

فصل

وأما أهل التجهيل فهم كثير من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف.

وحقيقة مذهبهم أن ما جاء به النبي ﷺ من نصوص الصفات ألفاظ مجهولة لا يعرف معناها حتى النبي ﷺ يتكلم بأحاديث الصفات ولا ألفاظ معناها.

ثم هم مع ذلك يقولون ليس للعقل مدخل في باب الصفات فيلزم على قولهم أن لا يكون عند النبي ﷺ وأصحابه وأئمة السلف في هذا الباب علوم عقلية ولا سمعية وهذا من أبطل الأقوال.

وطريقتهم في نصوص الصفات إمرار لفظها مع تفويض معناها ومنهم من يتناقض فيقول: تجري على ظاهرها مع أن لها تأويلاً يخالفه لا يعلمه إلا الله. وهذا ظاهر التناقض فإنه إذا كان المقصود بها التأويل الذي يخالف الظاهر وهو لا يعلمه إلا الله فكيف يمكن إجراؤها على ظاهرها؟

وقد قال الشيخ رحمه الله عن طريقة هؤلاءفي كتاب (العقل والنقل) ص ١٢١ ج ١: (فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد) أهـ.

والشبهة التي احتج بها أهل التجهيل هي وقف أكثر السلف على «إلا الله» من قوله تعالى: **﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾**.

وقد بنوا شبهتهم على مقدمتين:

الأولى: أن آيات الصفات من المتشابهة.

الثانية: أن التأويل المذكور في الآية: هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يخالف الظاهر فتكون النتيجة أن لآيات الصفات معنى يخالف ظاهرها لا يعلمه إلا الله.

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن نسألهم ماذا يريدون بالتشابه الذي أطلقوه على آيات الصفات. أيريدون اشتباه المعنى وخفاءه أم يريدون اشتباه الحقيقة وخفاءها؟

فإن أرادوا المعنى الأول ـ وهو مرادهم ـ فليست آيات الصفات منه لأنها ظاهرة المعنى، وإن أرادوا المعنى الثاني فآيات الصفات منه لأنه لا يعلم حقيقتها وكيفيتها إلا الله تعالى. وبهذا عرف أنه لا يصح إطلاق التشابه على آيات الصفات بل لا بد من التفصيل السابق.

الثاني: إن قولهم: إن التأويل المذكور في الآية هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يخالف الظاهر غير صحيح، فإن هذا المعنى للتأويل اصطلاح حادث لم يعرفه العرب والصحابة الذين نزل القرآن بلغتهم وإنما المعروف عندهم أن التأويل يراد به معنيان:

إما التفسير ويكون التأويل على هذا معلوماً لأولى العلم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنا من الراسخين في العلم الذي يعلمون تأويله وعليه يحمل وقف كثير من السلف على قوله تعالى: ﴿**والراسخون في العلم**﴾ من الآية السابقة.

وإما حقيقة الشيء ومآله وعلى هذا يكون تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر غير معلوم لنا لأن ذلك هو الحقيقة والكيفية التي هو عليها وهو مجهول لنا كما قاله مالك وغيره في الاستواء وغيره وعليه يحمل

وقف جمهور السلف على قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ من الآية السابقة.

الوجه الثالث: إن الله أنزل القرآن للتدبر وحثنا على تدبره كله ولم يستثنِ آيات الصفات، والحث على تدبره يقتضي أنه يمكن الوصول إلى معناه وإلا لم يكن للحث على تدبره معنى، لأن الحث على شيء لا يمكن الوصول إليه لغو من القول ينزه كلام الله وكلام رسوله ﷺ عنه، وهذا أعني الحث على تدبره كله من غير استثناء يدل على أن لآيات الصفات معنى يمكن الوصول إليه بالتدبر، وأقرب الناس إلى فهم ذلك المعنى هو النبي ﷺ وأصحابه لأن القرآن نزل بلغتهم ولأنهم أسرع الناس إلى امتثال الحث على التدبر خصوصاً فيما هو أهم مقاصد الدين.

وقد قال أبو عبد الرحمٰن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لا يتجاوزونها حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قال: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً. فكيف يجوز مع هذا أن يكونوا جاهلين بمعاني نصوص الصفات التي هي أهم شيء في الدين؟

الرابع: إن قولهم يستلزم أن يكون الله قد أنزل في كتابه المبين ألفاظاً جوفاء لا يبين بها الحق، وإنما هي بمنزلة الحروف الهجائية والأبجدية، وهذا ينافي حكمة الله التي أنزل الله الكتاب وأرسل الرسول من أجلها.

تنبيه: علم مما سبق أن معاني التأويل ثلاثة:

أحدها: التفسير وهو إيضاح المعنى وبيانه، وهذا اصطلاح جمهور المفسرين ومنه قوله ﷺ لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، وهذا معلوم عند العلماء في آيات الصفات وغيرها.

الثاني: الحقيقة التي يؤول الشيء إليها وهذا هو المعروف من معنى التأويل في الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾، ﴿ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ فتأويل آيات الصفات بهذا المعنى هو الكنه

والحقيقة التي هي عليها وهذا لا يعلمه إلا الله.

الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يخالف الظاهر وهو اصطلاح المتأخرين من المتكلمين وغيرهم. وهذان نوعان: صحيح وفاسد:

فالصحيح ما دل الدليل عليه مثل تأويل قوله تعالى: ﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾ إلى أن المعنى إذا أردت أن تقرأ.

والفاسد ما لا دليل عليه كتأويل استواء الله على عرشه باستيلائه ويده بقوته ونعمته ونحو ذلك.

فصل

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه:

تفسير تعرفه العرب من كلامها. وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء. وتفسير لا يعلمه إلا الله فمن ادعى علمه فهو كاذب أهـ.

فالتفسير الذي تعرفه العرب من كلامها هو تفسير مفردات اللغة كمعرفة معنى القرء والنمارق والكهف ونحوها.

والتفسير الذي لا يعذر أحد بجهالته وهو تفسير الآيات المكلف بها اعتقاداً أو عملاً كمعرفة الله بأسمائه وصفاته ومعرفة اليوم الآخر والطهارة والصلاة والزكاة وغيرها.

والتفسير الذي يعلمه العلماء هو ما يخفى على غيرهم مما يمكن الوصول إلى معرفته كمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمحكم والمتشابه ونحو ذلك.

وأما التفسير الذي لا يعلمه إلا الله فهو حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر، فإن هذه الأشياء نفهم معناها، لكن لا ندرك حقيقة ما هي عليه في الواقع.

مثال ذلك: أننا نفهم معنى استواء الله على عرشه ولكننا لا ندرك كيفيته التي هي حقيقة ما هو عليه في الواقع. وكذلك نفهم معنى الفاكهة والعسل والماء واللبن وغيرها مما أخبر الله أنه في الجنة ولكن لا ندرك

حقيقته في الواقع كما قال تعالى: **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾** قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء.

وبهذا تبين أن في القرآن ما لا يعلم تأويله إلا الله كحقائق أسمائه وصفاته وما أخبر الله به عن اليوم الآخر، وأما معاني هذه الأشياء فإنها معلومة لنا وإلا لما كان للخطاب بها فائدة والله أعلم.

الباب الرابع والعشرون
في إنقسام أهل القبلة
في آيات الصفات وأحاديثها

المـراد بأهـل القبلة من يصلي إلى القبلة وهم كل من ينتسب إلى الإسلام.

وقد انقسم أهل القبلة في آيات الصفات وأحاديثها إلى ست طوائف:

طائفتان قالوا: تجري على ظاهرها، وطائفتان قـالوا: تجـري على خلاف ظاهرها، وطـائفتان واقفتـان، فالـطائفتان الـذين قالـوا تجري على ظاهرها هم:

١ ـ طائفة المشبهة الذين جعلوها من جنس صفات المخلوقين ومذهبهم باطل أنكره عليهم السلف.

٢ ـ طائفة السلف الذين أجروها على ظاهرها اللائق بالله عز وجل ومذهبهم هو الصواب المقطوع به لدلالة الكتاب والسنة والعقل عليه دلالة ظاهرة إما قطعية وإما ظنية، كما تقدم دليل وجوبها وصحتها في البابين الثالث والرابع.

والفرق بين هاتين الطائفتين أن الأولى تقول بالتشبيه والثانية تنكره.

فإن قال المشبه في علـم الله ونزوله ويده مثلاً: أنا لا أعقل من العلم والنزول واليد إلا مثل ما يكون للمخلوقين من ذلك فجوابه من وجوه:

الأول: أن العقـل والسمع قـد دل كل منهمـا على مباينـة الخـالق

للمخلوق في جميع صفاته، فصفات الخالق تليق به، وصفات المخلوق تليق به، فمن أدلة السمع على مباينة الخالق للمخلوق قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾، ومن أدلة العقل أن يقال: كيف يكون الخالق الكامل من جميع الوجوه، الذي الكمال من لوازم ذاته وهو معطي الكمال مشابهاً للمخلوق الناقص الذي النقص من لوازم ذاته وهو مفتقر إلى من يكمله.

الثاني: أن يقال له: ألست تعقل لله ذاتاً لا تشبه ذات المخلوقين؟ فسيقول بلى. فيقال له: فلتعقل إذن أن لله صفات لا تشبه صفات المخلوقين، فإن القول في الصفات كالقول في الذات ومن فرق بينهما فقد تناقض.

الثالث: أن يقال، نحن نشاهد من صفات المخلوقات صفات اتفقت في أسمائها وتباينت في كيفيتها فليست يد الإنسان كيد الحيوان الآخر فإذا جاز اختلاف الكيفية في صفات المخلوقات مع اتحادها في الإسم فاختلاف ذلك بين صفات الخالق والمخلوق من باب أولى، بل التباين بين صفات الخالق والمخلوق واجب كما تقدم.

وأما الطائفتان الذين قالوا تجري على خلاف ظاهرها وأنكروا أن يكون لله صفات ثبوتية أو أنكروا بعض الصفات أو أثبتوا الأحوال دون الصفات فهم:

١ - أهل التأويل من الجهمية وغيرهم الذين أولوا نصوص الصفات إلى معانٍ عينوها كتأويل اليد بالنعمة. والاستواء بالإستيلاء ونحو ذلك.

٢ - أهل التجهيل المفوضة الذين قالوا: الله أعلم بما أراد بنصوص الصفات لكننا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية له تعالى، وهذا القول متناقض فإن قولهم: نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية له يناقض التفويض لأن حقيقة التفويض أن لا يحكم المفوض بنفي ولا إثبات وهذا ظاهر.

والفرق بين هاتين الطائفتين أن الأولى أثبتوا لنصوص الصفات معنى

لكنه خلاف ظاهرها، وأما الثانية فيفوضون ذلك إلى الله من غير إثبات معنى مع قولهم: أنه لا يراد من تلك النصوص إثبات صفة لله عز وجل.

وأما الطائفتان الذين توقفوا فهم:

١ - طائفة جوزوا أن يكون المراد بنصوص الصفات إثبات صفة تليق بالله وأن لا يكون المراد ذلك وهؤلاء كثير من الفقهاء وغيرهم.

٢ - طائفة أعرضوا بقلوبهم وألسنتهم عن هذا كله ولم يزيدوا على قراءة القرآن والحديث.

والفرق بين هذه الطائفة والتي قبلها أو الأولى تحكم بتجويز الأمرين: الإثبات وعدمه، وأما الثانية: فلا تحكم بشيء أبداً والله أعلم.

الباب الخامس والعشرون
في ألقاب السوء التي وضعها المبتدعة على أهل السنة

من حكمة الله تعالى أن جعل لكل نبي عدواً من المجرمين يصدون عن الحق بما استطاعوا من قول وفعل بأنواع المكائد والشبهات والدعاوى الباطلة، ليتبين بذلك الحق، ويتضح ويعلو على الباطل، وقد لقي النبي ﷺ وأصحابه من هذا شيئاً كثيراً كما قال تعالى: ﴿**ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً**﴾، فقد وضع أولئك الظالمون المشركون للنبي ﷺ وأصحابه ألقاب التشنيع والسخرية مثل: ساحر، مجنون، كاهن، كذاب، ونحو ذلك.

ولما كان أهل العلم والإيمان هم ورثة النبي ﷺ لقوا من أهل الكلام والبدع، مثل ما لقيه النبي ﷺ وأصحابه من أولئك المشركين، فكانت كل طائفة من هذه الطوائف تلقب أهل السنة بما برأهم الله منه من ألقاب التشنيع والسخرية إما لجهلهم بالحق حيث ظنوا صحة ما هم عليه وبطلان ما عليه أهل السنة، وإما لسوء القصد حيث أرادوا بذلك التنفير عن أهل السنة والتعصب لآرائهم مع علمهم بفسادها.

فالجهمية ومن تبعهم من المعطلة سموا أهل السنة (مشبهة) زعماً منهم أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه.

والروافض سموا أهل السنة (نواصب) لأنهم يوالون أبا بكر وعمر كما كانوا يوالون آل النبي ﷺ، والروافض تزعم أن من والى أبا بكر وعمر فقد

نصب العداوة لآل البيت ولذلك كانوا يقولون: (لا ولاء إلا ببراء) أي لاولاية لآل البيت إلا بالبراءة من أبي بكر وعمر.

والقدرية النفاة قالوا: أهل السنة (مجبرة) لأن إثبات القدر جبر عند هؤلاء النفاة.

والمرجئة المانعون من الإستثناء في الإيمان يسمون أهل السنة (شكاكا)، لأن الإيمان عندهم هو إقرار القلب والإستثناء شك فيه عند هؤلاء المرجئة.

وأهل الكلام والمنطق يسمون أهل السنة (حشوية) من الجشو وهو ما لا خير فيه ويسمونهم (نوابت) ـ وهي بذور الزرع التي تنبت معه ولا خير فيها ـ ويسمونهم (غثاء) وهو ما تحمله الأودية من الأوساخ، لأن هؤلاء المناطقة زعموا أن من لم يحط علماً بالمنطق فليس على يقين من أمره بل هو من الرعاع الذين لا خير فيهم.

والحق أن هذا العلم الذي فخروا به لا يغني من الحق شيئاً كما قال الشيخ رحمه الله في كتابه (الرد على المنطقيين): إني كنت دائماً أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد أهـ.

الباب السادس والعشرون
في الإسلام والإيمان

الإسلام لغة: الإنقياد، وشرعاً: استسلام العبد لله ظاهراً وباطناً بفعل أوامره واجتناب نواهيه فيشمل الدين كله قال الله تعالى: ﴿**ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾، ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾، ﴿ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾.

وأما الإيمان فهو لغة: التصديق قال الله تعالى: ﴿**وما أنت بمؤمن لنا**﴾، **وفي الشرع**: إقرار القلب المستلزم للقول والعمل، فهو اعتقاد وقول وعمل، اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل القلب والجوارح.

والدليل على دخول هذه الأشياء كلها في الإيمان قوله ﷺ: (الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وخيره وشره»، وقوله: «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان».

فالإيمان بالله وملائكته إلخ اعتقاد القلب.

وقول: لا إله إلا الله قول اللسان.

وإماطة الأذى عن الطريق عمل الجوارح. والحياء عمل القلب.

وبذلك عرف أن الإيمان يشمل الدين كله، وحينئذ لا فرق بينه وبين الإسلام وهذا حينما ينفرد أحدهما عن الآخر، أما إذا اقترن أحدهما بالآخر فإن الإسلام يفسر بالإستسلام الظاهر الذي هو قول اللسان وعمل الجوارح

ويصدر من المؤمن كامل الإيمان وضعيف الإيمان قال الله تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾، ومن المنافق لكن يسمى مسلماً ظاهراً ولكنه كافر باطناً.

ويفسر الإيمان بالإستسلام الباطن الذي هو إقرار القلب وعمله ولا يصدر إلا من المؤمن حقاً كما قال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً**﴾.

وبهذا المعنى يكون الإيمان أعلى فكل مؤمن مسلم ولا عكس.

فصل
في زيادة الإيمان ونقصانه

من أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص وقد دل على ذلك الكتاب والسنة. فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿**ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم**﴾.

ومن أدلة السنة قوله ﷺ في النساء: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن».

ففي الآية إثبات زيادة الإيمان وفي الحديث إثبات نقص الدين.

وكل نص يدل على زيادة الإيمان فإنه يتضمن الدلالة على نقصه وبالعكس، لأن الزيادة والنقص متلازمان لا يعقل أحدهما بدون الآخر.

وقد ثبت لفظ الزيادة والنقص منه عن الصحابة ولم يعرف منهم مخالف فيه، وجمهور السلف على ذلك قال ابن عبد البر: وعلى أن الإيمان يزيد وينقص جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفتيا في الأمصار. وذكر عن مالك روايتين في إطلاق النقص إحداهما التوقف والثانية موافقة الجماعة.

وخالف في هذا الأصل طائفتان:

إحداهما: المرجئة الخالصة الذين يقولون: إن الإيمان إقرار القلب وزعموا أن إقرار القلب لا يتفاوت فالفاسق والعدل عندهم سواء في الإيمان.

الثانية: الوعيدية من المعتزلة والخوارج الذين أخرجوا أهل الكبائر من الإيمان وقالوا: إن الإيمان إما أن يوجد كله وإما أن يعدم كله ومنعوا من تفاضله، وكل من هاتين الطائفتين محجوج بالسمع والعقل.

أما السمع فقد تقدم في النصوص ما دل على إثبات زيادة الإيمان ونقصه.

وأما العقل فنقول للمرجئة: قولكم: إن الإيمان هو إقرار القلب، وإقرار القلب لا يتفاوت ممنوع في المقدمتين جميعاً.

أما المقدمة الأولى فتخصيصكم الإيمان بإقرار اقلب مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة من دخول القول والعمل في الإيمان.

وأما المقدمة الثانية فقولكم: إن إقرار القلب لا يتفاوت مخالف للحس، فإن من المعلوم لكل أحد أن إقرار القلب إنما يتبع العلم ولا ريب أن العلم يتفاوت بتفاوت طرقه فإن خبر الواحد لا يفيد ما يفيده خبر الإثنين وهكذا وما أدركه الإنسان بالخبر لا يساوي في العلم ما أدركه بالمشاهدة فاليقين درجات متفاوتة وتفاوت الناس في اليقين أمر معلوم بل الإنسان الواحد يجد من نفسه أن يكون في أوقات وحالات أقوى منه يقيناً في أوقات وحالات أخرى.

ونقول: كيف يصح لعاقل أن يحكم بتساوي رجلين في الإيمان أحدهما مثابر على طاعة الله تعالى فرضها ونفلها متباعد عن محارم الله وإذا بدرت منه المعصية بادر إلى الإقلاع عنها والتوبة منها، والثاني: مضيع لما أوجب الله عليه ومنهمك فيما حرم الله عليه غير أنه لم يأت ما يكفره كيف يتساوى هذا وهذا؟

وأما الوعيدية فنقول لهم: قولكم إن فاعل الكبيرة خارج من الإيمان مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة، فإذا تبين ذلك فكيف نحكم بتساوي رجلين في الإيمان أحدهما مقتصد فاعل للواجبات تارك للمحرمات، والثاني ظالم لنفسه يفعل ما حرم الله عليه ويترك ما أوجب الله عليه من غير أن يفعل ما يكفر به.

ونقول ثانياً: هب أننا أخرجنا فاعل الكبيرة من الإيمان، فكيف يمكن أن نحكم على رجلين بتساويهما في الإيمان وأحدهما مقتصد والآخر سابق بالخيرات بإذن الله؟

فصل

ولزيادة الإيمان أسباب منها:

١ ـ معرفة أسماء الله وصفاته فإن العبد كلما ازداد معرفة بها وبمقتضياتها وآثارها ازداد إيماناً بربه وحباً له وتعظيماً.

٢ ـ النظر في آيات الله الكونية والشرعية، فإن العبد كلما نظر فيها وتأمل ما اشتملت عليه من القدرة الباهرة والحكمة البالغة ازداد إيماناً ويقينه بلا ريب.

٣ ـ فعل الطاعة، فإن الإيمان يزداد به بحسب حسن العمل وجنسه وكثرته، فكلما كان العمل أحسن كانت زيادة الإيمان به أعظم وحسن العمل يكون بحسب الإخلاص والمتابعة.

وأما جنس العمل فإن الواجب أفضل من المسنون، وبعض الطاعات أوكد وأفضل من البعض الآخر، وكلما كانت الطاعة أفضل كانت زيادة الإيمان بها أعظم، وأما كثرة العمل فإن الإيمان يزداد بها لأن العمل من الإيمان فلا جرم أن يزيد بزيادته.

٤ ـ ترك المعصية خوفاً من الله عز وجل وكلما قوي الداعي إلى فعل المعصية كان زيادة الإيمان بتركها أعظم، لأن تركها مع قوة الداعي إليها دليل على قوة إيمان العبد وتقديمه ما يحبه الله ورسوله على ما تهواه نفسه.

وأما نقص الإيمان فله أسباب:

١ - الجهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته.

٢ - الغفلة والإعراض عن النظر في آيات الله وأحكامه الكونية والشرعية، فإن ذلك يوجب مرض القلب أو موته باستيلاء الشهوات والشبهات عليه.

٣ - فعل المعصية فينقص الإيمان بحسب جنسها وقدرها والتهاون بها وقوة الداعي إليها أو ضعفه.

فأما جنسها وقدرها فإن نقص الإيمان بالكبائر أعظم من نقصه بالصغائر، ونقص الإيمان بقتل النفس المحرمة أعظم من نقصه بأخذ مال محترم، ونقصه بمعصيتين أكثر من نقصه بمعصية واحدة وهكذا.

وأما التهاون بها فإن المعصية إذا صدرت من قلب متهاون بمن عصاه ضعيف الخوف منه كان نقص الإيمان بها أعظم من نقصه إذا صدرت من قلب معظم لله تعالى شديد الخوف منه لكن فرطت منه المعصية.

وأما قوة الداعي فإن المعصية إذا صدرت ممن ضعفت منه دواعيها كان نقص الإيمان بها أعظم من نقصه إذا صدرت ممن قويت منه دواعيها، ولذلك كان استكبار الفقير وزنى الشيخ أعظم إثماً من استكبار الغني وزنى الشاب كما في الحديث: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وذكر منهم الأشميط الزاني والعائل المستكبر لقلة داعي تلك المعصية فيهما».

٤ - ترك الطاعة فإن الإيمان ينقص به والنقص به على حسب تأكد الطاعة فكلما كانت الطاعة أوكد كان نقص الإيمان بتركها أعظم، وربما فقد الإيمان كله كترك الصلاة.

ثم إن نقص الإيمان بترك الطاعة على نوعين نوع يعاقب عليه وهو ترك الواجب بلا عذر، ونوع لا يعاقب وهو ترك الواجب لعذر شرعي أو حسي وترك المستحب، فالأول كترك المرأة الصلاة أيام الحيض، والثاني كترك صلاة الضحى والله أعلم.

فصل
في الاستثناء في الإيمان

الإستثناء في الإيمان: أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله.

وقد اختلف الناس فيه على ثلاثة أقوال:

أحدهما: تحريم الإستثناء، وهو قول المرجئة والجهمية ونحوهم. ومأخذ هذا القول: أن الإيمان شيء واحد يعلمه الإنسان من نفسه وهو التصديق الذي في القلب، فإذا استثنى فيه كان دليلاً على شكه، ولذلك كانوا يسمون الذين يستثنون في الإيمان (شكاكا).

والثاني: وجوب الإستثناء، وهذا القول له مأخذان:

١ ـ أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه فالإنسان إنما يكون مؤمناً وكافراً بحسب الموافاة وهذا شيء مستقبل غير معلوم فلا يجوز الجزم به، وهذا مأخذ كثير من المتأخرين من الكلابية وغيرهم، لكن هذا المأخذ لم يعلم أن أحداً من السلف علل به وإنما كانوا يعللون بالمأخذ الثاني وهو:

٢ ـ أن الإيمان المطلق يتضمن فعل جميع المأمورات وترك جميع المحظورات، وهذا لا يجزم به الإنسان من نفسه، ولو جزم لكان قد زكى نفسه وشهد لها بأنه من المتقين الأبرار، وكان ينبغي على هذا أن يشهد لنفسه بأنه من أهل الجنة وهذه لوازم ممتنعة.

القول الثالث: التفصيل فإن كان الإستثناء صادراً عن شك في وجود

أصل الإيمان فهذا محرم بل كفر لأن الإيمان جزم والشك ينافيه، وإن كان صادراً عن خوف تزكية النفس والشهادة لها بتحقيق الإيمـان قولاً وعمـلاً واعتقـاداً فهذا واجب خـوفاً من هـذا المحذور، وإن كـان المقصـود من الإستثناء التبرك بذكر المشيئة أو بيان التعلي وأن ما قام بقلبه من الإيمان بمشيئة الله فهذا جائز.

والتعليق بالمشيئة على هـذا الوجـه ـ أعني بيان التعليـل ـ لا ينافي تحقق المعلق فإنه قد ورد التعليق على هذا الوجه في الأمور المحققة كقوله تعـالى: ﴿لتـدخلن المسجـد الحرام إن شـاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون﴾.

وبهذا عرف أنه لا يصح إطلاق الحكم على الإستثناء، بل لا بد من التفصيل السابق والله أعلم وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آلـه وصحبه وسلم.

حرر في ٨ من ذي القعدة سنة ١٣٨٠ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

تـــم

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



الرسالة الثالثة

رسالة في الوصول إلى القمر



الوصول إلى القمر

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ونصلي ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فقد تواترت الأخبار بإنزال مركبة فضائية على سطح القمر بعد المحاولات العديدة التي استنفدت فيها الطاقات الفكرية والمادية والصناعية عدة سنوات وقد أثار هذا النبأ تساؤلات وأخذاً ورداً بين الناس.

فمن قائل أن هذا باطل مخالف للقرآن ومن قائل ان هذا ثابت والقرآن يؤيده فالذين ظنوا أنه مخالف للقرآن قالوا إن الله أخبر أن القمر في السماء فقال: **﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾**، وقال: **﴿وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾**، وإذا كان القمر في السماء فإنه لا يمكن الوصول إليه لأن الله جعل السماء سقفاً محفوظاً والنبي ﷺ أشرف الخلق ومعه جبرئيل أشرف الملائكة وكان يستأذن ويستفتح عند كل سماء ليلة المعراج ولا يحصل لهما دخول السماء إلا بعد أن يفتح لهما فكيف يمكن لمصنوعات البشر أن تنزل على سطح القمر وهو في السماء المحفوظ.

والذين ظنوا أن القرآن يؤيده قالوا ان الله قال في سورة الرحمٰن: **﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السمٰوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾**، وهؤلاء استطاعوا أن ينفذوا من أقطار الأرض بالعلم فكان عملهم هذا مطابقاً للقرآن وتفسيراً له، فمعنى السلطان هنا هو العلم.

وإذا صح ما تواترت به الأخبار من إنزال مركبة فضائية على سطح القمر فإن الذي يظهر لي أن القرآن لا يكذبه ولا يصدقه فليس في صريح القرآن ما يخالفه كما أنه ليس في القرآن ما يدل عليه ويؤيده.

١ - أما كون القرآن لا يخالفه فلأن القرآن كلام الله تعالى المحيط بكل شيء علماً فهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون من الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلة سواء منها ما كان من فعله أو من فعل خلقه فكل ما حدث أو يحدث في السمٰوات أو في الأرض من أمور صغيرة أو كبيرة ظاهرة أو خفية فإن الله تعالى عالم به ولم يحدث إلا بمشيئته وتدبيره لا جدال في ذلك.

فإذا كان كذلك فالقرآن كلامه وهو سبحانه أصدق القائلين ومن أصدق من الله قيلا، وكلامه أحسن الكلام وأبلغه في البيان ومن أحسن من الله حديثاً، فلا يمكن أن يقع في كلامه الصادر عن علمه والبالغ في الصدق والبيان غايته لا يمكن أن يقع في كلام هذا شأنه ما يخالف الواقع المحسوس أبداً ولا يقع في المحسوس ما يخالف صريحه أبداً.

ومن فهم أن في القرآن ما يخالف الواقع المحسوس ما يقع مخالفاً للقرآن ففهمه خطأ بلا ريب.

والآيات التي يظنها بعض الناس دالة على أن القمر في السماء نفسه ليس فيها التصريح بأنه مرصع في السماء نفسها التي هي السقف المحفوظ نعم ظاهر اللفظ أن القمر في السماء نفسها ولكن إن ثبت وصول السفن الفضائية إليه ونزولها على سطحه فإن ذلك دليل على أن القمر ليس في السماء الدنيا التي هي السقف المحفوظ وإنما هو في فلك بين السماء والأرض كما قال تعالى: ﴿**وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يدورون كما يدور المغزل في الفلكة، وذكر الثعلبي

والماوردي عن الحسن البصري أنه قال: الشمس والقمر بين السماء والأرض غير ملصقة به ولو كانت ملصقة به ما جرت. ذكره عنهما القرطبي في تفسير سورة يّس.

والقول بأن الشمس والقمر في فلك بين السماء والأرض لا ينافي ما ذكر الله من كونهما في السماء فإن السماء يطلق تارة على كل ما علا قال ابن قتيبة كل ما علاك فهو سماء فيكون معنى كونهما في السماء أي في العلو وعلى تقدير مضاف أي في جهة السماء.

وقد جاءت كلمة السماء في القرآن مراداً بها العلو كما في قوله تعالى: **﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً﴾**، يعني المطر والمطر ينزل من السحاب المسخر بين السماء والأرض.

وإذا ثبت ما ذكروا عن سطحية القمر فإن ذلك يزيدنا معرفة في آيات الله العظيمة حيث كان هذا الجرم العظيم وما هو أكبر منه وأعظم يجري بين السماء والأرض إلى الأجل الذي عينه الله تعالى لا يتغير ولا يتقدم ولا يتأخر عن السير الذي قدره له العزيز العليم، ومع ذلك فتارة يضيء كله فيكون بدراً وتارة يضيء بعضه فيكون قمراً أو هلالاً ذلك تقدير العزيز العليم.

وأما ما اشتهر بين الناس من كون القمر في السماء الدنيا وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة فإن هذا مما تلقى عن علماء الفلك والهيئة وليس فيه حديث صحيح عن النبي ﷺ ويدل على ذلك أن ابن كثير رحمه الله مع سعة اطلاعه لما تكلم على أن الشمس في الفلك الرابع قال: وليس في الشرع ما ينفيه بل في الحس وهو الكسوفات ما يدل عليه ويقتضيه أهـ.

٢ ـ وأما كون القرآن لا يدل على وصول السفن الفضائية إلى القمر فلأن الذين ظنوا ذلك استدلوا بقوله تعالى: **﴿يا معشر الجن والإنس إن**

استطعتم أن تنفذوا من أقطار السمٰوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾، وفسروا السلطان بالعلم.

وهذا الاستدلال مردود من وجوه:

الأول: أن سياق الآية يدل على أن هذا التحدي يكون يوم القيامة ويظهر ذلك جلياً لمن قرأ هذه السورة من أولها فإن الله ذكر فيها ابتداء خلق الإنسان والجان وما سخر للعباد في أفاق السمٰوات والأرض ثم ذكر فناء من عليها ثم قال: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾، وهذا الحساب ثم تحدي الجن بأنه لا مفر لهم ولا مهرب من أقطار السمٰوات والأرض فيستطيعون الهروب ولا قدرة لهم على التناصر فينظروا وينجوا من المرهوب ثم أعقب ذلك بذكر الجزاء لأهل الشر بما يستحقون ولأهل الخير بما يؤملون ويرجون.

ولا شك أن السياق يبين المعنى ويعينه فرب كلمة أو جملة صالحة المعنى في موضع ولا تصلح له في موضع آخر وأنت ترى أحياناً كلمة واحدة لها معنيان متضادان يتعين المراد منهما بواسطة السياق كما هو معروف في كلمات الأضداد في اللغة.

فلو قدر أن الآية الكريمة تصلح أن تكون في سياق ما خبرا لما سيكون في الدنيا فإنها في هذا الموضع لا تصلح له بل تتعين أن تكون للتهديد والتعجيز وذلك لما سبقها ولحقها من السياق.

الثاني: إن جميع المفسرين ذكروا إنها للتهديد يوم القيامة والتعجيز وجمهورهم على أن ذلك يوم القيامة وقد تكلم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي على هذه الآية في سورة الحجر عند قوله تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ ص ١٢٧ ج ٣ ووصف من

زعم انها تشير إلى السماء وصفه بأنه لا علم عنده بكتاب الله.

الثالث: أنه لو كان معناها الخبر عما سيحدث لكان معناها يا معشر الجن والإنس إنكم لن تنفذوا من أقطار السمٰوات والأرض إلا بعلم وهذا تحصيل حاصل فإن كل شيء لا يمكن إدراكه إلا بعلم أسباب إدراكه والقدرة على ذلك، ثم إن هذا المعنى يسلب الآية روعتها في معناها وفي مكانها فإن الآية سبقها الإنذار البليغ بقوله تعالى: ﴿**سنفرغ لكم أيها الثقلان**﴾، وتلاها الوعيد الشديد في قوله: ﴿**يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران**﴾.

الرابع: أن دلالة الآية على التحدي ظاهرة جداً، **أولاً**: لما سبقها ويتلوها من الآيات، **وثانياً**: أنه ذكر معشر الجن والأنس مجتمعين معشراً واحداً فهو قريب من مثل قوله تعالى: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**﴾، **وثالثاً**: أن قوله: ﴿**إن استطعتم**﴾ ظاهرة في التحدي خصوصاً وقد أتى بإن دون إذا لأن «إذا» تدل على وقوع الشرط بخلاف «إن».

الخامس: إنه لو كان معناها الخبر لكانت تتضمن التنويه بهؤلاء والمدح لهم حيث عملوا وبحثوا فيما سخر الله لهم حتى وصلوا إلى النفوذ وفاتت النبي ﷺ وأصحابه الذين هم أسرع الناس امتثالاً لما دعا إليه القرآن.

السادس: إن الآية الكريمة علقت الحكم بالجن والإنس ومن المعلوم أن الجن حين نزول القرآن كانوا يستطيعون النفوذ من أقطار السماء كما حكى الله عنهم ﴿**وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا**﴾، فكيف يعجزهم الله بشيء

كانوا يستطيعونه فإن قيل إنهم كانوا لا يستطيعون بعد بعثة النبي ﷺ قلنا هذا أدل على أن المراد بالآية التعجيز لا الخبر.

السابع: إن الآية علقت الحكم بالنفوذ من أقطار السمٰوات والأرض ومن المعلوم أنهم ما استطاعوا ولن يستطيعوا أن ينفذوا من أقطار السمٰوات مهما كانت قوتهم.

الثامن: أن الآية الكريمة أعقبت بقوله تعالى: ﴿**يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران**﴾، ومعناه والله أعلم أنكم يا معشر الجن والإنس لو حاولتما النفوذ من ذلك لكان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس، والمعروف أن هذه الصواريخ لم يرسل عليها شواظ من نار ولا نحاس فكيف تكون هي المقصود بالآية.

التاسع: إن تفسيرهم السلطان هنا بالعلم فيه نظر فإن السلطان ما فيه سلطة للواحد على ما يريد السيطرة عليه والغلبة ويختلف باختلاف المقام فإذا كان في مقام العمل ونحوه فالمراد القوة والقدرة ومنه قوله تعالى عن إبليس: ﴿**أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولون والذين هم به مشركون**﴾، فالسلطان في هذه الآية بمعنى القدرة ولا يصح أن يكون بمعنى العلم ومنه السلطان المذكور في الآية التي نحن بصددها فإن النفوذ عمل يحتاج إلى قوة وقدرة والعلم وحده لا يكفي، وهؤلاء لم يتوصلوا إلى ما ذكر عنهم بمجرد العلم ولكن بالعلم والقدرة والأسباب التي سخرها الله لهم. وإذا كان السلطان في مقام المحاجة والمجادلة كان المراد به البرهان والحجة التي يخصم بها خصمه ومنه قوله تعالى: ﴿**إن عندكم من سلطان بهذا**﴾، أي من حجة وبرهان ولم يأتِ السلطان في القرآن مراداً به مجرد العلم، والإشتقاق يدل على أن المراد بالسلطان ما به سلطة

للعبد وقدرة وغلبة. فتبين بهذا أن الآية الكريمة لا يراد بها الإشارة إلى ما ذكر عن السفن الفضائية وانزالها إلى القمر. وهذه الوجوه التي ذكرناها: منها ما هو ظاهر ومنها ما يحتاج إلى تأمل وإنما نبهنا على ذلك خوفاً من تفسير كلام الله بما لا يراد به لأن ذلك يتضمن محذورين:

أحدهما: تحريف الكلم عن مواضعه حيث أخرج عن معناها المراد له.

الثاني: التقول على الله بلا علم حيث زعم أن الله أراد هذا المعنى مع مخالفته للسياق وقد حرم الله على عباده أن يقولوا عليه ما لا يعلمون.

بقي أن يقال إذا صح ما ذكر من إنزال المركبة الفضائية على سطح القمر: هل بالإمكان إنزال إنسان على سطحه؟ فالجواب إن ظاهر القرآن عدم إمكان ذلك وإن بني آدم لا يحيون إلا في الأرض يقول الله تعالى: ﴿**فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون**﴾، فحصر الحياة في الأرض والموت فيها والإخراج منها وطريق الحصر فيها تقديم ما حققه التأخير نحو هذه الآية قوله تعالى: ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾ حيث حصر ابتداء الخلق من الأرض وأنها هي التي نعاد فيها بعد الموت ونخرج منها يوم القيامة، كما أن هناك آيات تدل على أن الأرض محل عيشة الإنسان ﴿**ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش**﴾.

فظاهر القرآن بلا شك يدل على أن لا حياة للإنسان إلا في هذه الأرض التي منها خلق وإليها يعاد ومنها يخرج، فالواجب أن نأخذ بهذا الظاهر وأن لا تبعد أوهامنا في تعظيم صناعة المخلوق إلى حد نخالف به ظاهر القرآن رجماً بالغيب، ولو فرض أن أحداً من بني آدم تمكن من النزول على سطح القمر وثبت ذلك ثبوتاً قطعياً أمكن حمل الآية على أن المراد بالحياة المذكورة الحياة المستقرة الجماعية كحياة الإنسان على الأرض وهذا مستحيل والله أعلم.

وبعد فإن هذا البحث في هذا الموضوع قد يكون من فضول العلم لولا ما دار حوله من البحث والمناقشات حتى بالغ بعض الناس في رده وإنكاره وغلا بعضهم في قبوله وإثباته فالأولون جعلوه مخالفاً للقرآن والآخرون جعلوه مطابقاً للقرآن فاحببت أن اكتب ما حررته هنا على حسب ما فهمته بفهمي القاصر وعلمي المحدود وأسأل الله أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه نافعاً لعباده والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

القواعد المثلى

في صفات الله وأسمائه الحسنى



بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فقد اطلعت على المؤلف القيم الذي كتبه صاحب الفضيلة العلامة أخونا الشيخ محمد بن صالح العثيمين في الأسماء والصفات وسماه «**القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**». وسمعته من أوله إلى آخره فألفيته كتاباً جليلاً قد اشتمل على بيان عقيدة السلف الصالح في أسماء الله وصفاته، كما اشتمل على قواعد عظيمة وفوائد جمة في باب الأسماء والصفات وأوضح معنى المعية الواردة في كتاب الله عز وجل الخاصة والعامة عند أهل السنة والجماعة وإنها حق على حقيقتها لا تقتضي امتزاجاً واختلاطاً بالمخلوقين بل هو سبحانه فوق عرشه كما أخبر عن نفسه وكما يليق بجلاله سبحانه وإنما تقتضي علمه واطلاعه وإحاطته بهم وسماعه لأقوالهم وحركاتهم وبصره بأحوالهم وضمائرهم وحفظه وكلاءته لرسله وأوليائه المؤمنين ونصره لهم وتوفيقه لهم إلى غير ذلك مما تقتضيه المعية العامة والخاصة من المعاني الجليلة والحقائق الثابتة لله سبحانه، كما اشتمل على إنكار قول أهل التعطيل والتشبيه والتمثيل وأهل الحلول والاتحاد فجزاه الله خيراً وضاعف مثوبته وزادنا وإياه علماً وهدى وتوفيقاً ونفع بكتابه القراء وسائر المسلمين انه ولي ذلك والقادر عليه قاله مُمليه الفقير إلى الله

تعالى عبد العزيز بن عبد الله بن باز سامحه الله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

٥/١١/١٤٠٤ هـ

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء

والدعوة والإرشاد

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

وبعد:

فإن الإيمان بأسماء الله وصفاته أحد أركان الإيمان بالله تعالى وهي الإيمان بوجود الله تعالى والإيمان بربوبيته والإيمان بألوهيته والإيمان بأسمائه وصفاته.

وتوحيد الله به أحد أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

فمنزلته في الدين عالية وأهميته عظيمة ولا يمكن أحداً أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى وصفاته ليعبده على بصيرة قال الله تعالى: **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾** وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسباً مثل أن تقول: يا غفور اغفر لي ويا رحيم ارحمني ويا حفيظ احفظني ونحو ذلك.

ودعاء العبادة أن تتعبد لله بمقتضى هذه الأسماء فتقوم بالتوبة إليه لأنه

التواب وتذكره بلسانك لأنه السميع وتتعبد له بجوارحك لأنه البصير. وتخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير وهكذا.

ومن أجل منزلته هذه ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارة وبالباطل الناشىء عن الجهل أو التعصب تارة أخرى أحببت أن أكتب فيه ما تيسر من القواعد راجياً من الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه موافقاً لمرضاته نافعاً لعباده.

وسميته «القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى».

قواعد في أسماء الله تعالى

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلها حسنى أي بالغة في الحسن غايته قال الله تعالى: **﴿ولله الأسماء الحسنى﴾**، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالاً ولا تقديراً.

مثال ذلك: «الحي» اسم من أسماء الله تعالى متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال. الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها.

ومثال آخر: **﴿العليم﴾** اسم من أسماء الله متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان قال الله تعالى: **﴿علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾**، العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه قال الله تعالى؛ **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾**. **﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾**. **﴿يعلم ما في السمٰوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور﴾**.

ومثال ثالث: **﴿الرحمٰن﴾** اسم من أسماء الله تعالى متضمن للرحمة

الكاملة التي قال عنها رسول الله ﷺ: «لله أرحم بعباده من هذه بـولدهـا» يعني أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته. ومتضمن أيضاً للرحمة الواسعة التي قال الله عنها: ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء**﴾، وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿**ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً**﴾.

والحسن في أسماء الله تعالى يكـون باعتبـار كل اسم على انفـراده ويكون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الإسم إلى الآخر كمال فوق كمال.

مثال ذلك: «العزيز الحكيم» فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيراً فيكون كل منهما دالاً على الكمال الخاص الذي يقتضيه وهو العزة في العزيز والحكم والحكمة في الحكيم والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة فعزته لا تقتضي ظلماً وجوراً وسوء فعل كما قد يكون من أعزاء المخلوقين فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف. وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل.

القاعدة الثانية: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف أعلام باعتبار دلالتها على الذات وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني وهي بالإعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد وهو الله عز وجل وبالإعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص فـ «الحي العليم القدير السميع البصير الرحمٰن الرحيم العزيز الحكيم»، كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى لكن معنى الحي غير معنى العليم ومعنى العليم غير معنى القدير وهكذا.

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لـدلالة القـرآن عليه كمـا في قولـه تعالى: ﴿**وهو الغفور الرحيم**﴾ وقوله: ﴿**وربك الغفور ذو الرحمة**﴾ فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال: عليم إلا لمن له علم ولا سميع إلا لمن له سمع ولا

بصير إلا لمن له بصر وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل.

وبهذا علم ضلال من سلبوا أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل وقالوا: إن الله تعالى سميع بلا سمع وبصير بلا بصر وعزيز بلا عزة وهكذا... وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء. وهذه العلة عليلة بل ميتة لدلالة السمع[1] والعقل على بطلانها.

أما السمع فلأن الله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنه الواحد الأحد. فقال تعالى: **﴿إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدىء ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد﴾**. وقال تعالى: **﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى﴾**، ففي هذه الآيات الكريمة أوصاف كثيرة لموصوف واحد ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء.

وأما العقل فلأن الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حتى يلزم من ثبوتها التعدد وإنما هي من صفات من اتصف بها فهي قائمة به وكل موجود فلا بد له من تعدد صفاته ففيه صفة الوجود وكونه واجب الوجود أو ممكن الوجود وكونه عيناً قائماً بنفسه أو وصفاً في غيره.

وبهذا أيضاً علم أن «الدهر» ليس من أسماء الله تعالى لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى ولأنه اسم للوقت والزمن قال الله تعالى عن منكري البعث: **﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾** يريدون مرور الليالي والأيام.

فأما قوله ﷺ: قال الله عز وجل: **﴿يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار﴾** فلا يدل على أن الدهر من أسماء الله تعالى وذلك أن الذين يسبون الدهر إنما يريدون الزمان الذي هو محل الحوادث لا يريدون الله تعالى فيكون معنى قوله: وأنا الدهر ما فسره

---

(١) السمع هو القرآن والسنة وسيمر بك هذا التعبير كثيراً فانتبه له.

بقوله بيدي الأمر أقلب الليل والنهار فهو سبحانه خالق الدهر وما فيه وقد بين أنه يقلب الليل والنهار وهما الدهر ولا يمكن أن يكون المقلِّب (بكسر اللام) هو المقلَّب (بفتحها) وبهذا تبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مراداً به الله تعالى.

القاعدة الثالثة: أسماء الله إن دلت على وصف متعدٍ تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الإسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها الله عز وجل.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها. ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿**إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم**﴾ لأن مقتضى هذين الإسمين أن يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم ورحمهم بإسقاط الحد عنهم.

مثال ذلك: ﴿**السميع**﴾ يتضمن إثبات السميع إسماً لله تعالى وإثبات السمع صفة له وإثبات حكم ذلك ومقتضاه وهو أنه يسمع السر والنجوى كما قال تعالى: ﴿**والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير**﴾، وإن دلت على وصف غير متعدٍ تضمنت أمرين:

أحدهما: ثبوت ذلك الإسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

مثال ذلك: ﴿**الحي**﴾ يتضمن إثبات الحي إسماً لله عز وجل وإثبات الحياة صفة له.

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة وبالتضمن وبالإلتزام.

مثال ذلك: ﴿**الخالق**﴾ يدل على ذات الله وعلى صفة الخلق

بالمطابقة ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن ويدل على صفتي العلم والقدرة بالإلتزام.

ولهذا لما ذكر الله خلق السمٰوات والأرض قال: **﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾** ودلالة الإلتزام مفيدة جداً لطالب العلم إذا تدبر المعنى ووفقه الله تعالى فهما للتلازم فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة.

واعلم أن اللازم من قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ إذا صح أن يكون لازماً فهو حق وذلك لأن كلام الله ورسوله حق ولازم الحق حق ولأن الله تعالى عالم بما يكون لازماً من كلامه وكلام رسوله فيكون مراداً.

وأما اللازم من قول أحد سوى قول الله ورسوله فله ثلاث حالات:

الحال الأولى: أن يذكر للقائل ويلتزم به مثل أن يقول من ينفي الصفات الفعلية لمن يثبتها يلزم من إثباتك الصفات الفعلية لله عز وجل أن يكون من أفعاله ما هو حادث فيقول المثبت نعم وأنا ألتزم بذلك فإن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد ولا نفاد لأقواله وأفعاله كما قال تعالى: **﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾**، وقال: **﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾**، وحدوث آحاد فعله تعالى لا يستلزم نقصاً في حقه.

الحال الثانية: أن يذكر له ويمنع التلازم بينه وبين قوله مثل أن يقول النافي للصفات لمن يثبتها يلزم من إثباتك أن يكون الله تعالى مشابهاً للخلق في صفاته فيقول المثبت لا يلزم ذلك لأن صفات الخالق مضافة إليه لم تذكر مطلقة حتى يمكن ما ألزمت به وعلى هذا فتكون مختصة به لائقة به كما أنك أيها النافي للصفات تثبت لله تعالى ذاتاً وتمنع أن يكون مشابهاً للخلق في ذاته فأي فرق بين الذات والصفات؟

وحكم اللازم في هاتين الحالين ظاهر.

الحال الثالثة: أن يكون اللازم مسكوتاً عنه فلا يذكر بالتزام ولا منع فحكمه في هذه الحال أن لا ينسب إلى القائل لأنه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم ويحتمل لو ذكر له فتبين له لزومه وبطلانه أن يرجع عن قوله لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم.

ولو ورد هذين الإحتمالين لا يمكن الحكم بأن لازم القول قول.

فإن قيل: إذا كان هذا اللازم لازماً من قوله لزم أن يكون قولاً له لأن ذلك هو الأصل لا سيما مع قرب التلازم قلنا هذا مدفوع بأن الإنسان بشر وله حالات نفسية وخارجية توجب الذهـول عن اللازم فقد يغفل أو يسهو أو ينغلق فكره أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير تفكير في لوازمه ونحو ذلك.

القاعدة الخامسة: أسما الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾**، وقوله: **﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾**. ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك والإقتصار على ما جاء به النص.

القاعدة السادسة: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين لقوله ﷺ في الحديث المشهور: أسألك بكل إسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك. الحديث رواه أحمد وابن حبان والحاكم وهو صحيح.

وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن أحداً حصـره ولا الإحاطة به.

فأما قوله ﷺ إن لله تسعة وتسعين إسماً مائة إلا واحداً من أحصاها[1] دخل الجنة فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون إسماً من أحصاها دخل الجنة أو نحو ذلك.

إذاً فمعنى الحديث أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة وعلى هذا فيكون قوله ـ من أحصاها دخل الجنة ـ جملة مكملة لما قبلها وليست مستقلة ونظير هذا أن تقول عندي مئة درهم أعددتها للصدقة فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة.

ولم يصح عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء. والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ص ٣٨٢ جـ ٦ من مجموع ابن قاسم: تعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه وقال قبل ذلك ص ٣٧٩ إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه أهـ وقال ابن حجر في فتاوى الباري ص ٢١٥ جـ ١١ ط السلفية: ليست العلة عند الشيخين (البخاري ومسلم) تفرد الوليد فقط بل الاختلاف فيه والإضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج أهـ.

ولما لم يصح تعيينها عن النبي ﷺ اختلف السلف فيه وروى عنهم في ذلك أنواع. وقد جمعت تسعة وتسعين إسماً مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

فمن كتاب الله تعالى:

الله	الأحد	الأعلى	الأكرم	الإله	الأول
والآخر	والظاهر	والباطن	البارىء	البَر	البصير
التواب	الجبار	الحافظ	الحسيب	الحفيظ	الحفي

(١) إحصاؤها حفظها لفظاً وفهمها معنى وتمامه أن يتعبد لله تعالى بمقتضاها.

الحق المبين الحكيم الحليم الحميد الحي
القيوم الخبير الخالق الخلاق الرؤوف الرحمٰن
الرحيم الرزاق الرقيب السلام السميع الشاكر
الشكور الشهيد الصمد العالم العزيز العظيم
العفُوَ العليم العلي الغفار الغفور الغني
الفتاح القادر القاهر القدوس القدير القريب
القوي القهار الكبير الكريم اللطيف المؤمن
المتعالي المتكبر المتين المجيب المجيد المحيط
المصور المقتدر المقيت الملك المليك المولى
المهيمن النصير الواحد الوارث الواسع الودود
الوكيل الولي الوهاب

ومن سنة رسول الله ﷺ:

الجميل[١] الجواد[٢] الحكم[٣] الحيي[٤] الرب[٥] الرفيق[٦] السُّبُّوح[١] السيد[٧] الشافي[٨] الطيب[١] القابض[٩] الباسط[٩] المقدم[٦] المؤخر[٦] المحسن[١٠] المعطي[٦] المنان[١١] الوتر[٦].

هذا ما اخترناه بالتتبع واحد وثمانون إسماً في كتاب الله تعالى

(١) مسلم.
(٢) أحمد والترمذي وحسنه والبيهقي في الشعب.
(٣) أبو داود.
(٤) أحمد وأبو داود والترمذي.
(٥) أحمد والنسائي.
(٦) البخاري ومسلم.
(٧) أحمد وأبو داود.
(٨) البخاري.
(٩) أبو داود.
(١٠) الطبراني في الأوسط قال الهيثمي رجاله ثقات.
(١١) أبو داود والترمذي والنسائي.

وثمانية عشر إسماً في سنة رسول الله ﷺ وإن كان عندنا تردد في إدخال (الحفي) لأنه إنما ورد مقيداً في قوله تعالى عن إبراهيم «إنه كان بي حفيا» وكذلك (المحسن) لأننا لم نطلع على رواته في الطبراني وقد ذكره شيخ الإسلام من الأسماء.

ومن أسماء الله تعالى ما يكون مضافاً مثل: مالك الملك ذي الجلال والإكرام.

القاعدة السابعة: الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها. وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئاً منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم. وإنما كان ذلك إلحاداً لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين كما فعل أهل التشبيه وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص بل هي دالة على بطلانه فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه كتسمية النصارى له: (الأب) وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة) وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة ينزه الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين فسموا بها أصنامهم وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به لقوله تعالى: **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾**، وقوله: **﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء**

الحسنى﴾، وقوله: ﴿**له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض**﴾، فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحق وبأنه يسبح له ما في السمٰوات والأرض فهو مختص بالأسماء الحسنى فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله عز وجل ميل بها عما يجب فيها.

والإلحاد بجميع أنواعه محرم لأن الله تعالى هدد الملحدين بقوله: ﴿**وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون**﴾.

ومنه ما يكون شركاً أو كفراً حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

قواعد في صفات الله تعالى

القاعدة الأولى: صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والرحمة والعزة والحكمة والعلو والعظمة وغير ذلك. وقد دل على هذا السمع والعقل والفطرة.

أما السمع فمنه قوله تعالى: ﴿**للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى في السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم**﴾، **والمثل الأعلى** هو الوصف الأعلى.

وأما العقل فوجهه أن كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز فقال تعالى: ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون**﴾، وقال تعالى: ﴿**والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون**﴾، وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿**يا أبتِ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً**﴾، وعلى قومه: ﴿**أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون**﴾.

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال وهي من الله تعالى فمعطي الكمال أولى به.

وأما الفطرة فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟

وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى كالموت والجهل والنسيان والعجز والعمى والصمم ونحوها لقوله تعالى: ﴿**وتوكل على الحي الذي لا يموت**﴾، وقوله عن موسى: ﴿**في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى**﴾، وقوله: ﴿**وما كان الله ليعجزه من شيء في السمٰوات ولا في الأرض**﴾، وقوله: ﴿**أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون**﴾، وقال النبي ﷺ في الدجال: «إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور»، وقال: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً».

وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص كما في قوله تعالى: ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**﴾، وقوله: ﴿**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق**﴾.

ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص فقال سبحانه: ﴿**سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين**﴾، وقال تعالى: ﴿**ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون**﴾.

وإذا كانت الصفة كمالاً في حال ونقصاً في حال لم تكن جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق فلا تثبت له إثباتاً مطلقاً ولا تنفي عنه نفياً مطلقاً بل لا بد من التفصيل فتجوز في الحال التي تكون كمالاً

وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً وذلك كالمكر والكيد والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد وتكون نقصاً في غير هذه الحال ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها كقوله تعالى: **﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾**، وقوله: **﴿إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيدا﴾**، وقوله: **﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم أن كيدي متين﴾**، وقوله: **﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾**، وقوله: **﴿قالوا إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم﴾**.

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه فقال تعالى: **﴿وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾**، فقال: فأمكن منهم ولم يقل فخانهم لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان وهي صفة ذم مطلقاً.

وبذا عرف أن قول بعض العوام خان الله من يخون منكر فاحش يجب النهي عنه.

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى وأفعاله لا منتهى لها كما أن أقواله لا منتهى لها قال الله تعالى: **﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾**.

ومن أمثلة ذلك أن من صفات الله تعالى المجيء والإتيان والأخذ والإمساك والبطش إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى كما قال تعالى: **﴿وجاء ربك﴾**، وقال: **﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾**، وقال: **﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾**، وقال: **﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾**، وقال: **﴿إن بطش ربك لشديد﴾**، وقال:

﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ وقال النبي ﷺ: **﴿ينزل ربنا إلى السماء الدنيا﴾**.

فنصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد ولا نسميه بها فلا نقول إن من أسمائه الجائي والآتي والآخذ والممسك والباطش والمريد والنازل ونحو ذلك وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

القاعدة الثالثة: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

ثبوتية وسلبية.

فالثبوتية ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والإستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا والوجه واليدين ونحو ذلك.

فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به بدليل السمع والعقل.

أما السمع فمنه قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾**، فالإيمان بالله يتضمن الإيمان بصفاته والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله يتضمن الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله وكون محمد ﷺ رسوله يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله وهو الله عز وجل.

وأما العقل فلأن الله تعالى أخبر بها عن نفسه وهو أعلم بها من غيره وأصدق قيلا وأحسن حديثاً من غيره فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد فإن التردد في الخبر إنما يتأتى حين يكون الخبر صادراً ممن يجوز عليه الجهل أو الكذب أو العيّ بحبث لا يفصح بما يريد وكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله عز وجل فوجب قبول خبره على ما أخبر به.

وهكذا نقول فيما أخبر به النبي ﷺ عن الله تعالى فإن النبي ﷺ أعلم الناس بربه وأصدقهم خبراً وأنصحهم إرادة وأفصحهم بياناً فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه.

والصفات السلبية ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات نقص في حقه كالموت والنوم والجهل والنسيان والعجز والتعب.

فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال وذلك لأن النفي عدم والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالاً كما لو قلت: الجدار لا يظلم. وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصاً كما في قول الشاعر:

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

مثال آخر قوله تعالى: ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

مثال ثالث قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض﴾، فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته ولهذا قال بعده: **﴿إنه كان عليماً قديرا﴾** لأن العجز سببه إما الجهل بأسباب الإيجاد وإما قصور القدرة عنه فلكمال علم الله تعالى وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال.

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية كما هو معلوم.

أما الصفات السلبية فلم تذكر غالباً إلا في الأحوال التالية:

الأولى: بيان عموم كماله كما في قوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾، ﴿**ولم يكن له كفواً أحد**﴾.

الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون كما في قوله: ﴿**أن دعوا للرحمٰن ولداً وما ينبغي للرحمٰن أن يتخذ ولدا**﴾.

الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعيّن كما في قوله: ﴿**وما خلقنا السمٰوات والأرض وما بينهما لاعبين**﴾، وقوله: ﴿**ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب**﴾.

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين:

ذاتية وفعلية:

فالذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالإستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً. وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية لأن الكلام يتعلق بمشيئته يتكلم متى شاء بما شاء كما في قوله

تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾. وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته. وقد تكون الحكمة معلومة لنا وقد نعجز عن إدراكها لكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق للحكمة كما يشير إليه قوله تعالى: **﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾**.

القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين:

أحدهما: التمثيل، **والثاني**: التكييف.

فأما التمثيل فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع فمنه قوله تعالى: **﴿ليس كمثله شيء﴾** وقوله: **﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾**، وقوله: **﴿هل تعلم له سميا﴾**، وقوله: **﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾**.

وأما العقل فمن وجوه:

الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات لأن صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرة فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى.

الثاني: أن يقال كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهاً في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله وهو اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصاً.

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في

الحقيقة والكيفية فنشاهد أن للإنسان يداً ليست كيد الفيل وله قوة ليست كقوة الجمل مع الإتفاق في الإسم فهذه يد وهذه يد وهذه قوة وهذه قوة وبينهما تباين في الكيفية والوصف فعلم بذلك أن الإتفاق في الإسم لا يلزم منه الإتفاق في الحقيقة.

والتشبيه كالتمثيل وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات والتشبيه التسوية في أكثر الصفات لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾.

وأما التكييف فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع فمنه قوله تعالى: ﴿**ولا يحيطون به علماً**﴾ وقوله: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا**﴾، ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها فيكون تكييفنا قفواً لما ليس لنا به علم وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته أو العلم بنظيره المساوي له أو بالخبر الصادق عنه وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل فوجب بطلان تكييفها.

وأيضاً فإننا نقول: أي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟

إن أي كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك.

وأي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذباً فيها لأنه لا علم لك بذلك.

وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديراً بالجنان أو تقريراً باللسان أو تحريراً بالبنان.

ولهذا لما سئل مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: ﴿**الرحمٰن على**

العرش استوى﴾، كيف استوى؟ أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرحضاء (العرق) ثم قال: الإستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وروى عن شيخه ربيعة أيضاً الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول. وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان. وإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي فوجب الكف عنه.

فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته فالجأ إلى ربك فإنه معاذك وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك قال الله تعالى: **﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾**.

القاعدة السابعة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث (انظر القاعدة الخامسة في الأسماء).

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين ونحوها.

الثاني: تضمن الإسم لها مثل: الغفور متضمن للمغفرة والسميع متضمن للسمع ونحو ذلك (انظر القاعدة الثالثة في الأسماء).

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها كالإستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة والإنتقام من المجرمين الدال عليها ـ على الترتيب ـ قوله تعالى: **﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾** وقول النبي ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا» الحديث. وقول الله تعالى: **﴿وجاء ربك والملك صفاً صفا﴾** وقوله: **﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾**.

قواعد في أدلة الأسماء والصفات

القاعدة الأولى: الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما.

وعلى هذا فما ورد إثباته لله تعالى من ذلك في الكتاب والسنة وجب إثباته.

وما ورد نفيه فيهما وجب نفيه مع إثبات كمال ضده.

وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه فلا يثبت ولا ينفي لعدم ورود الإثبات والنفي فيه.

وأما معناه فيفصل فيه فإن أريد به حق يليق بالله تعالى فهو مقبول. وإن أريد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده.

فمما ورد إثباته لله تعالى: كل صفة دل عليها اسم من أسماء الله تعالى دلالة مطابقة أو تضمن أو التزام.

ومنه كل صفة دل عليها فعل من أفعاله كالإستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا والمجيء للفصل بين عباده يوم القيامة ونحو ذلك من أفعاله التي لا تحصى أنواعها فضلاً عن أفرادها ﴿**ويفعل الله ما يشاء**﴾.

ومنه: الوجه والعينان واليدان ونحوها.

ومنه الكلام والمشيئة والإرادة بقسميها الكوني والشرعي. فالكونية بمعنى المشيئة والشرعية بمعنى المحبة.

ومنه: الرضا والمحبة والغضب والكراهة ونحوها(١).

ومما ورد نفيه عن الله سبحانه لانتفائه وثبوت كمال ضده: الموت

---

(١) أدلة هذه مذكورة في مواضعها من كتب العقائد.

والنوم والسِّنَة والعجز والإعياء والظلم والغفلة عن أعمال العباد وأن يكون له مثيل أو كفؤ ونحو ذلك[1] (*).

ومما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ (الجهة) فلو سأل سائل هل نثبت لله تعالى جهة؟ قلنا له: لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتاً ولا نفياً ويغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء. وأما معناه فإما أن يراد به جهة سفل أو جهة علو تحيط بالله أو جهة علو لا تحيط به.

فالأول باطل: لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع.

والثاني باطل أيضاً: لأن الله تعالى أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

والثالث حق: لأن الله تعالى العليّ فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

ودليل هذه القاعدة السمع والعقل.

فأما السمع فمنه قوله تعالى: **﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾**، وقوله: **﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾**، وقوله: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**، وقوله: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾**، وقوله: **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾**، وقوله: **﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾**.

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنة.

وكل نص يدل على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن فهو دال على

---

(١) * أدلة هذه مذكورة في مواضعها من كتب العقائد.

وجوب الإيمان بما جاء في السنة لأن مما جاء في القرآن الأمر باتباع النبي ﷺ والرد إليه عند التنازع. والرد إليه يكون إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته.

فأين الإيمان بالقرآن لمن استكبر عن اتباع الرسول ﷺ أمر الله به في القرآن؟

وأين الإيمان بالقرآن لمن لم يرد النزاع إلى النبي ﷺ وقد أمر الله به في القرآن؟

وأين الإيمان بالرسول الذي أمر به القرآن لمن لم يقبل ما جاء في سنته؟

ولقد قال الله تعالى: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾** ومن المعلوم أن كثيراً من أمور الشريعة العلمية والعملية جاء بيانها بالسنة فيكون بيانها بالسنة من تبيان القرآن.

وأما العقل فنقول: إن تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حق الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل فوجب الرجوع فيه إلى ما جاء في الكتاب والسنة.

والقاعدة الثانية: الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف لا سيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها.

ودليل ذلك السمع والعقل.

أما السمع فقوله تعالى: **﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾**، وقوله: **﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾**، وقوله: **﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾**، وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.

وقد ذم الله تعالى اليهود على تحريفهم وبيّن أنهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان فقال: **﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون﴾**، وقال تعالى:

﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا﴾ الآية.

وأما العقل فلأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره وقد خاطبنا باللسان العربي المبين فوجب قبوله على ظاهره وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة.

القاعدة الثالثة: ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر فباعتبار المعنى هي معلومة وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

وقد دل على ذلك السمع والعقل.

أما السمع فمنه قوله تعالى: **﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾**، وقوله تعالى: **﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾**، وقوله جل ذكره: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾**.

والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه.

وكون القرآن عربياً ليعقله من يفهم العربية يدل على أن معناه معلوم وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.

وبيان النبي ﷺ القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه.

وأما العقل فلأن من المحال أن ينزل الله تعالى كتاباً أو يتكلم رسوله ﷺ بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى وقد قال الله تعالى عن كتابه: **﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾**.

هذه دلالة السمع والعقل على علمنا بمعاني نصوص الصفات

وأما دلالتهما على جهلنا لها باعتبار الكيفية فقد سبقت في القاعدة السادسة من قواعد الصفات.

وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات ويدعون أن هذا مذهب السلف. والسلف بريئون من هذا المذهب وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحياناً وتفصيلاً أحياناً وتفويضهم الكيفية إلى علم الله عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه المعروف بـ(العقل والنقل) ص ١١٦ جـ ١ المطبوع على هامش (منهاج السنة) وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله إلى أن قال ص ١١٨ وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه قال ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبياناً للناس وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين وأن يبين للناس ما نزل إليهم وأمر بتدبر القرآن وعقله ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته. . . لا يعلم أحد معناه فلا يعقل ولا يتدبر ولا يكون الرسول بيّن للناس ما نزل إليهم ولا بلغ البلاغ المبين وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي وليس في النصوص ما يناقض ذلك لأن تلك النصوص مشكلة مشابهة ولا يعلم أحد معناها وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد أهـ. كلام الشيخ وهو كلام سديد من ذي رأي

رشيد وما عليه مزيد رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجمعنا بـه في جنات النعيم.

القاعدة الرابعة: ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني وهو يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق. وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه.

فلفظ (القرية) مثلاً يراد به القوم تارة ومساكن القوم تارة أخرى.

فمن الأول قوله تعالى: **﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً﴾**.

ومن الثاني قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: **﴿إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾**.

وتقول: صنعت هذا بيدي فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى: **﴿لما خلقت بيدي﴾** لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق أو بالعكس.

وتقول: ما عندك إلا زيد وما زيد إلا عندك فتفيد الجملة الثانية معنى غير ما تفيده الأولى مع اتحاد الكلمات لكن اختلف التركيب فتغير المعنى به.

إذا تقرر هذا فظاهر نصوص الصفات ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني.

وقد انقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من جعلوا الظاهر المتبادر منها معنى حقاً يليق بالله عز وجل وأبقوا دلالتها على ذلك وهؤلاء هم السلف الذين اجتمعوا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والذين لا يصدق لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم.

وقد أجمعوا على ذلك كما نقله ابن عبد البر فقال: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة أهـ، وقال القاضي أبو يعلى في كتاب إبطال التأويل: لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق ولا يعتقد التشبيه فيها لكن على ما روى عن الإمام أحمد وسائر الأئمة أهـ نقل ذلك عن ابن عبد البر والقاضي شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص ٨٧ ـ ٨٩ جـ ٥ من مجموع الفتاوى لابن القاسم.

وهذا هو المذهب الصحيح والطريق القويم الحكيم وذلك لوجهين:

الأول: أنه تطبيق تام لما دل عليه الكتاب والسنة من وجوب الأخذ بما جاء فيهما من أسماء الله وصفاته كما يعلم ذلك من تتبعه بعلم وإنصاف.

الثاني: أن يقال إن الحق إما أن يكون فيما قاله السلف أو فيما قاله غيرهم والثاني باطل لأنه يلزم منه أن يكون السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان تكلموا بالباطل تصريحاً أو ظاهراً ولم يتكلموا مرة واحدة لا تصريحاً ولا ظاهراً بالحق الذي يجب اعتقاده. وهذا يستلزم أن يكونوا إما جاهلين بالحق وإما عالمين به لكن كتموه وكلاهما باطل وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم فتعين أن يكون الحق فيما قاله السلف دون غيرهم.

القسم الثاني: من جعلوا الظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله وهو التشبيه وأبقوا دلالتها على ذلك. وهؤلاء هم المشبهة ومذهبهم باطل محرم من عدة أوجه.

الأول: أنه جناية على النصوص وتعطيل لها عن المراد بها فكيف يكون المراد بها التشبيه وقد قال الله تعالى: ﴿**ليس كمثله شي**﴾؟

الثاني: أن العقل دل على مباينة الخالق للمخلوق في الذات

والصفات فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما؟

الثالث: أن هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها فيكون باطلاً.

فإن قال المشبه أنا لا أعقل من نزول الله ويده إلا مثل ما للمخلوق من ذلك والله تعالى لم يخاطبنا إلا بما نعرفه ونعقله فجوابه من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الذي خاطبنا بذلك هو الذي قال عن نفسه: **﴿ليس كمثله شيء﴾**، ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال أو يجعلوا له أنداداً فقال: **﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾**، وقال: **﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾**. وكلامه تعالى كله حق يصدق بعضه بعضاً ولا يتناقض.

ثانيها: أن يقال له: ألست تعقل لله ذاتاً لا تشبه الذوات فسيقول: بلى، فيقال له: فلتعقل له صفات لا تشبه الصفات فإن القول في الصفات كالقول في الذات ومن فرق بينهما فقد تناقض.

ثالثها: أن يقال ألست تشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية فسيقول بلى فيقال له إذا عقلت التباين بين المخلوقات في هذا فلماذا لا تعقله بين الخالق والمخلوق مع أن التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق كما سبق في القاعدة السادسة من قواعد الصفات.

القسم الثالث: من جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله وهو التشبيه ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنى اللائق بالله وهم أهل التعطيل سواء كان تعطيلهم عاماً في الأسماء والصفات أم خاصاً فيهما أو في أحدهما فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معاني عينوها بعقولهم واضطربوا في تعيينها اضطراباً كثيراً وسموا ذلك تأويلاً وهو في الحقيقة تحريف.

ومذهبهم باطل من وجوه:

أحدها: أنه جناية على النصوص حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

الثاني: أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ عن ظاهره. والله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي والنبي ﷺ خاطبهم بأفصح لسان البشر فوجب حمل كلام الله ورسوله على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله عز وجل.

الثالث: أن صرف كلام الله ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قول على الله بلا علم وهو محرم لقوله تعالى: **﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾**، ولقوله سبحانه: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾**.

فالصارف لكلام الله تعالى ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفا ما ليس له به علم وقال على الله ما لا يعلم من وجهين:

الأول: أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله كذا مع أنه ظاهر الكلام.

الثاني: أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يدل عليه ظاهر الكلام.

وإذا كان من المعلوم أن تعيين أحد المعنيين المتساويين في الاحتمال قولاً بلا علم فما ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام؟

مثال ذلك قوله تعالى لإبليس: **﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ﴾** فإذا صرف الكلام عن ظاهره وقال لم يرد باليدين اليدين الحقيقيتين وإنما أراد كذا وكذا قلنا له ما دليلك على ما نفيت وما دليلك على ما أثبت فإن أتى بدليل ـ وأنى له ذلك ـ وإلا كان قائلاً على الله بلا علم في نفيه وإثباته.

الوجه الرابع: في إبطال مذهب أهل التعطيل أن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها فيكون باطلاً لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها.

الوجه الخامس: أن يقال للمعطل:

هل أنت أعلم بالله من نفسه؟ فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل ما أخبر الله به عن نفسه صدق وحق؟ فسيقول: نعم.

ثم يقال له: هل تعلم كلاماً أفصح وأبين من كلام الله تعالى؟ فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل تظن أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعمي الحق على الخلق في هذه النصوص ليستخرجوه بعقولهم؟ فسيقول: لا.

هذا ما يقال له باعتبار ما جاء في القرآن.

أما باعتبار ما جاء في السنة فيقال له:

هل أنت أعلم بالله من رسوله ﷺ؟ فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل ما أخبر به رسول الله عن الله صدق وحق؟ فسيقول: نعم.

ثم يقال له: هل تعلم أن أحداً من الناس أفصح كلاماً وأبين من رسول الله ﷺ؟ فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل تعلم أن أحداً من الناس أنصح لعباد الله من رسول الله؟ فسيقول: لا.

فيقال له: إذا كنت تقر بذلك فلماذا لا يكون عندك الإقدام والشجاعة في إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ على حقيقته وظاهره

اللائق بالله؟ وكيف يكون عندك الإقدام والشجاعة في نفي حقيقته تلك وصرفه إلى معنى يخالف ظاهره بغير علم؟

وماذا يضيرك إذا أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه أو سنة نبيه على الوجه اللائق به فأخذت بما جاء في الكتاب والسنة إثباتاً ونفياً؟

أفليس هذا أسلم لك وأقوم لجوابك إذا سئلت يوم القيامة: ﴿ماذا أجبتم المرسلين﴾.

أوليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها وتعيين معنى آخر مخاطرة منك فلعل المراد يكون ـ على تقدير جواز صرفها ـ غير ما صرفتها إليه.

الوجه السادس: في إبطال مذهب أهل التعطيل: أنه يلزم عليه لوازم باطلة وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

فمن هذه اللوازم:

أولاً: أن أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها إلا حيث اعتقدوا أنه مستلزم أو موهم لتشبيه الله تعالى بخلقه وتشبيه الله تعالى بخلقه كفر لأنه تكذيب لقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ قال نعيم بن حماد الخزاعي أحد مشايخ البخاري رحمهما الله: من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً أهـ.

ومن المعلوم أن من أبطل الباطل أن يجعل ظاهر كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ تشبيهاً وكفراً أو موهماً لذلك.

ثانياً: أن كتاب الله تعالى الذي أنزله تبياناً لكل شيء وهدى للناس وشفاء لما في الصدور ونوراً مبيناً وفرقاناً بين الحق والباطل لم يبين الله تعالى فيه ما يجب على العباد اعتقاده في أسمائه وصفاته وإنما جعل ذلك موكولاً إلى عقولهم يثبتون لله ما يشاؤن وينكرون ما لا يريدون. وهذا ظاهر البطلان.

ثالثاً: أن النبي ﷺ وخلفاءه الراشدين وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها كانوا قاصرين أو مقصرين في معرفة وتبيين ما يجب لله تعالى من الصفات أو يمتنع عليه أو يجوز إذ لم يرد عنهم حرف واحد فيما ذهب إليه أهل التعطيل في صفات الله تعالى وسموه تأويلاً.

وحينئذ إما أن يكون النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون وسلف الأمة وأئمتها قاصرين لجهلهم بذلك وعجزهم عن معرفته أو مقصرين لعدم بيانهم للأمة وكلا الأمرين باطل.

رابعاً: أن كلام الله ورسوله ليس مرجعاً للناس فيما يعتقدونه في ربهم وإلههم الذي معرفتهم بـه من أهم ما جاءت به الشـرائع بـل هو زبـدة الرسالات وإنما المرجع تلك العقول المضطربة المتناقضة وما خالفها فسبيله التكذيب إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً أو التحريف الذي يسمونه تأويلاً إن لم يتمكنوا من تكذيبه.

خامساً: أنه يلزم منه جواز نفي ما أثبته الله ورسوله فيقال في قـوله تعالى: ﴿**وجاء ربك**﴾ إنه لا يجيء وفي قوله ﷺ ينزل ربنا إلى السمـاء الدنيا إنه لا ينزل لأن إسناد المجيء والنزول إلى الله مجاز عندهم، وأظهر علامات المجاز عند القائلين به صحة نفيه ونفي ما أثبته الله ورسـوله من أبطل الباطل ولا يمكن الإنفكاك عنه بتأويله إلى أمره لأنه ليس في السياق ما يدل عليه.

ثم إن من أهل التعطيل من طرد قاعدته في جميع الصفات أو تعدى إلى الأسمـاء أيضاً ومنهم من تنـاقض فـأثبت بعض الصفـات دون بعض كالأشعرية والماتريدية. أثبتوا ما أثبتوه بحجة أن العقل يدل عليه ونفوا ما نفوه بحجة أن العقل ينفيه أو لا يدل عليه.

مُقول لهم نفيكم لما نفيتموه بحجة أن العقل لا يدل عليه يمكن إثباته بالطريق العقلي الذي أثبتم به ما أثبتموه كما هو ثابت بالدليل السمعي.

مثال ذلك أنهم أثبتوا صفة الإرادة ونفوا صفة الرحمة.

أثبتوا صفة الإرادة لدلالة السمع والعقل عليها.

أما السمع فمنه قوله تعالى: ﴿**ولكن الله يفعل ما يريد**﴾.

وأما العقل فإن اختلاف المخلوقات وتخصيص بعضها بما يختص به من ذات أو وصف دليل على الإرادة.

ونفوا الرحمة قالوا لأنها تستلزم لين الراحم ورقته للمرحوم وهذا محال في حق الله تعالى.

وأولوا الأدلة السمعية المثبتة للرحمة إلى الفعل أو إرادة الفعل ففسروا الرحيم بالمنعم أو مريد الإنعام.

فنقول لهم الرحمة ثابتة لله تعالى بالأدلة السمعية وأدلة ثبوتها أكثر عدداً وتنوعاً من أدلة الإرادة. فقد وردت بالإسم مثل: ﴿**الرحمٰن الرحيم**﴾، والصفة مثل: ﴿**وربك الغفور ذو الرحمة**﴾ والفعل مثل: ﴿**ويرحم من يشاء**﴾.

ويمكن إثباتها بالعقل فإن النعم التي تترى على العباد من كل وجه والنقم التي تدفع عنهم في كل حين دالة على ثبوت الرحمة لله عز وجل ودلالتها على ذلك أبين وأجلى من دلالة التخصيص على الإرادة لظهور ذلك للخاصة والعامة بخلاف دلالة التخصيص على الإرادة فإنه لا يظهر إلا لأفراد من الناس.

وأما نفيها بحجة أنها تستلزم اللين والرقة فجوابه أن هذه الحجة لو كانت مستقيمة لأمكن نفي الإرادة بمثلها فيقال: الإرادة ميل المريد إلى ما يرجو به حصول منفعة أو دفع مضرة وهذا يستلزم الحاجة والله تعالى منزه عن ذلك.

فإن أجيب بأن هذه إرادة المخلوق أمكن الجواب في الرحمة بأن الرحمة المستلزمة للنقص هي رحمة المخلوق.

وبهذا تبين بطلان مذهب أهل التعطيل سواء كان تعطيلاً عاماً أم خاصاً.

وبه علم أن طريق الأشاعرة والماتريدية في أسماء الله وصفاته وما احتجوا به لذلك لا تندفع به شبه المعتزلة والجهمية وذلك من وجهين:

أحدهما: أنه طريق مبتدع لم يكن عليه النبي ﷺ ولا سلف الأمة وأئمتها والبدعة لا تدفع بالبدعة وإنما تدفع بالسنة.

الثاني: أن المعتزلة والجهمية يمكنهم أن يحتجوا لما نفوه على الأشاعرة والماتريدية بمثل ما احتج به الأشاعرة والماتريدية لما نفوه على أهل السنة فيقولون لقد أبحتم لأنفسكم نفي ما نفيتم من الصفات بما زعمتموه دليلاً عقلياً وأولتم دليله السمعي فلماذا تحرمون علينا نفي ما نفيناه بما نراه دليلاً عقلياً ونؤل دليله السمعي فلنا عقول كما أن لكم عقولاً فإن كانت عقولنا خاطئة فكيف كانت عقولكم صائبة وإن كانت عقولكم صائبة فكيف كانت عقولنا خاطئة وليس لكم حجة في الإنكار علينا سوى مجرد التحكم واتباع الهوى.

وهذه حجة دامغة وإلزام صحيح من الجهمية والمعتزلة للأشعرية والماتريدية ولا مدفع لذلك ولا محيص عنه إلا بالرجوع لمذهب السلف الذين يطردون هذا الباب ويثبتون لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه أو كتابه أو على لسان رسوله ﷺ إثباتاً لا تمثيل فيه ولا تكييف وتنزيهاً لا تعطيل فيه ولا تحريف ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

تنبيه: علم مما سبق أن كل معطل ممثل وكل ممثل معطل.

أما تعطيل المعطل فظاهر وأما تمثيله فلأنه إنما عطل لاعتقاده أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه فمثَّل أولاً وعطل ثانياً كما أنه بتعطيله مثله بالناقص.

وأما تمثيل الممثل فظاهر وأما تعطيله فمن ثلاثة أوجه:

الأول: أنه عطل نفس النص الذي أثبت به الصفة حيث جعله دالاً على التمثيل مع أنه لا دلالة فيه عليه وإنما يدل على صفة تليق بالله عز وجل.

الثاني: أنه عطل كل نص يدل على نفي مماثلة الله لخلقه.

الثالث: أنه عطل الله تعالى عن كماله الواجب حيث مثله بالمخلوق الناقص.

فصل

اعلم أن بعض أهل التأويل أورد على أهل السنة شبهة في نصوص من الكتاب والسنة في الصفات أدعى أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها ليلزم أهل السنة بالموافقة على التأويل أو المداهنة فيه وقال: كيف تنكرون علينا تأويل ما أولناه مع ارتكابكم لمثله فيما أولتموه؟

نحن نجيب ـ بعون الله تعالى ـ عن هذه الشبهة بجوابين مجمل ومفصل.

أما المجمل فيتلخص في شيئين:

أحدهما: أن لا نسلم أن تفسير السلف لها صرف عن ظاهرها فإن ظاهر الكلام ما يتبادر منه من المعنى وهو يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام فإن الكلمات يختلف معناها بحسب تركيب الكلام والكلام مركب من كلمات وجمل يظهر معناها ويتعين بضم بعضها إلى بعض.

ثانيهما: أننا لو سلمنا أن تفسيرهم صرف عن ظاهرها فإن لهم في ذلك دليلاً من الكتاب والسنة إما متصلاً وإما منفصلاً وليس لمجرد شبهات يزعمها الصارف براهين وقطعيات يتوصل بها إلى نفي ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

وأما المفصل فعلى كل نص ادعى أن السلف صرفوه عن ظاهره.

ولنمثل بالأمثلة التالية فنبدأ بما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنبلية أنه قال إن أحمد لم يتأول إلا في ثلاثة أشياء: الحجر الأسود

يمين الله في الأرض. وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمٰن. وإني أجد نفس الرحمٰن من قبل اليمن.

نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٩٨ جـ ٥: من مجموع الفتاوى وقال: هذه الحكاية كذب على أحمد.

المثال الأول: الحجر الأسود يمين الله في الأرض.

والجواب عنه أنه حديث باطل لا يثبت عن النبي ﷺ قال ابن الجوزي في العلل المتناهية: هذا حديث لا يصح وقال ابن العربي: حديث باطل فلا يلتفت إليه، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: روى عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت أهـ وعلى هذا فلا حاجة للخوض في معناه.

لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والمشهور يعني في هذا الأثر إنما هو عن ابن عباس قال الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبّل يمينه. ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه فإنه قال: يمين الله في الأرض ولم يطلق فيقول: يمين الله وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم المطلق ثم قال: فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً ولكن شبه بمن يصافح الله فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله تعالى كما هو معلوم عند كل عاقل أهـ ص ٣٩٨ مج ١ مجموع الفتاوى.

المثال الثاني: قلوب العباد بين أصبعين[1] من أصابع الرحمٰن.

والجواب أن هذا الحديث صحيح رواه مسلم في الباب الثاني من كتاب القدر عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمٰن كقلب واحد يصرفه

---

(١) أصبع مثلث الهمزة والباء ففيه تسع لغات والعاشرة أصبوع كما قيل:
وهمز أنملة ثلث وثالثة التسع في أصبع واختم بأصبوع. أصبوع بضم الهمزة.

حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك».

وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث وقالوا إن لله تعالى أصابع حقيقة نثبتها له كما أثبتها رسوله ﷺ ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين أصبعين منها أن تكون مماسة لها حتى يقال إن الحديث موهم للحلول فيجب صرفه عن ظاهره. فهذا السحاب مسخر بين السماء والأرض وهو لا يمس السماء ولا الأرض ويقال: بدر بين مكة والمدينة مع تباعد ما بينها وبينهما فقلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمٰن حقيقة ولا يلزم من ذلك مماسة ولا حلول.

المثال الثالث: إني أجد نَفَسَ الرحمٰن من قبل اليمن.

والجواب أن هذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال قال النبي ﷺ: «ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية وأجد نفس ربكم من قبل اليمن». قال في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح غير شبيب وهو ثقة قلت: وكذا قال في التقريب عن شبيب ثقة من الثالثة وقد روى البخاري نحوه في التاريخ الكبير.

وهذا الحديث على ظاهره والنفس فيه اسم مصدّر ينفس تنفيساً مثل فرَج يفرج تفريجاً وفرجاً هكذا قال أهل اللغة كما في النهاية والقاموس ومقاييس اللغة قال في مقاييس اللغة: النَّفس كل شيء يفرج به عن مكروب فيكون معنى الحديث أن تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة وفتحوا الأمصار فبهم نفس الرحمٰن عن المؤمنين الكربات أهـ ص ٣٩٨ جـ ٦ مجموع فتاوى شيخ الإسلام لابن قاسم.

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾.

والجواب أن لأهل السنة في تفسيرها قولين:

أحدهما: أنها بمعنى ارتفع إلى السماء وهو الذي رجحه ابن جرير

قال في تفسيره بعد أن ذكر الخلاف: وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن﴾ علا عليهم وارتفع فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات أهـ وذكره البغوي في تفسيره قول ابن عباس وأكثر مفسري السلف. وذلك تمسكاً بظاهر لفظ «استوى» وتفويضاً لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله عز وجل.

القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة والبغوي في تفسير سورة فصلت قال ابن كثير: أي قصد إلى السماء والاستواء ههنا ضمن معنى القصد والإقبال لأنه عدي بإلى. وقال البغوي: أي عمد إلى خلق السماء.

وهذا القول ليس صرفاً للكلام عن ظاهره وذلك لأن الفعل «استوى» اقترن بحرف يدل على الغاية والإنتهاء فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿عيناً يشرب بها عباد الله﴾ حيث كان معناها يروى بها عباد الله لأن الفعل (يشرب) اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يروي فالفعل يضمن معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام.

المثال الخامس والسادس: قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾، وقوله في سورة المجادلة: ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾.

والجواب: أن الكلام في هاتين الآيتين حق على حقيقته وظاهره. ولكن ما حقيقته وظاهره؟

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم؟

أو يقال: إن ظاهره وحقيقته أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وتدبيراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه؟

ولا ريب أن القول الأول لا يقتضيه السياق ولا يدل عليه بوجه من الوجوه وذلك لأن المعية هنا أضيفت إلى الله عز وجل وهو أعظم وأجل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته ولأن المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة في المكان وإنما تدل على مطلق مصاحبة ثم تفسر في كل موضع بحسبه.

وتفسير معية الله تعالى لخلقه بما يقتضي الحلول والاختلاط باطل من وجوه:

الأول: أنه مخالف لإجماع السلف فما فسرها أحد منهم بذلك بل كانوا مجمعين على إنكاره.

الثاني: أنه منافٍ لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف وما كان منافياً لما ثبت بدليل كان باطلاً بما ثبت به ذلك المنافي وعلى هذا فيكون تفسير معية الله لخلقه بالحلول والإختلاط باطلاً بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف.

الثالث: أنه مستلزم للوازم باطلة لا تليق بالله سبحانه وتعالى.

ولا يمكن لمن عرف الله تعالى وقدره حق قدره وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن يقول إن حقيقة معية الله لخلقه تقتضي أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم فضلاً عن أن تستلزم ذلك ولا يقول ذلك إلا جاهل باللغة جاهل بعظمة الرب جل وعلا.

فإذا تبين بطلان هذا القول تعين أن يكون الحق هو القول الثاني وهو أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وتدبيراً وسلطاناً وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه.

وهذا هو ظاهر الآيتين بلا ريب لأنهما حق ولا يكون ظاهر الحق إلا حقاً ولا يمكن أن يكون الباطل ظاهر القرآن أبداً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص ١٠٣ جـ ٥ من مجموع الفتاوى لابن قاسم: ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال: ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها﴾ إلى قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾، دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم وهذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. وكذلك في قوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾، إلى قوله: ﴿هو معهم أينما كانوا﴾ الآية.

ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: «لا تحزن إن الله معنا»، كان هذا أيضاً حقاً على ظاهره ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد.

ثم قال: فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها وإن امتاز كل موضع بخاصية فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها أهـ.

ويدل على أنه ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق أن الله تعالى ذكرها في آية المجادلة بين ذكر عموم علمه في أول الآية وآخرها فقال: ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾.

---

(١) كان هذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه لأنه إذا كان معلوماً أن الله تعالى معنا مع علوه لم يبقَ إلا أن يكون مقتضى هذه المعية أنه تعالى عالم بنا مطلع شهيد مهيمن لا أنه معنا بذاته في الأرض.

فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم لا أنه سبحانه مختلط بهم ولا أنه معهم في الأرض.

أما في آية الحديد فقد ذكرها الله تعالى مسبوقة بذكر استوائه على عرشه وعموم علمه متلوة ببيان أنه بصير بما يعمل العباد فقال: **﴿هو الذي خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾**.

فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علوه عليهم واستوائه على عرشه لا أنه سبحانه مختلط بهم ولا أنه معهم في الأرض وإلا لكان آخر الآية مناقضاً لأولها الدال على علوه واستوائه على عرشه.

فإذا تبين ذلك علمنا أن مقتضى كونه تعالى مع عباده أنه يعلم أحوالهم ويسمع أقوالهم ويرى أفعالهم ويدبر شؤونهم فيحيي ويميت ويغني ويفقر ويؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه لا يحجبه عن خلقه شيء ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص١٤٢ جـ٣ من مجموع الفتاوى لابن قاسم في فصل الكلام عن المعية قال: وكل هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة أهـ.

وقال في الفتوى الحموية ص١٠٢ ـ ١٠٣ جـ٥ من المجموع

---

(١) وقد سبق أن المعية في اللغة العربية لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة في المكان.

المذكور: وجماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته.

ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً ألبتة مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله: ﴿وهو معكم﴾ وقوله ﷺ: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه» ونحو ذلك فإن هذا غلط.

وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وتعالى: **﴿هو الذي خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾**.

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال: والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه. أهـ.

واعلم أن تفسير المعية بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله تعالى لا يناقض ما ثبت من علو الله تعالى بذاته على عرشه وذلك من وجوه ثلاثة:

الأول: أن الله تعالى جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزه عن التناقض وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما.

وكل شيء في القرآن تظن فيه التناقض فيما يبدو لك فتدبره حتى يتبين لك لقوله تعالى: **﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾** فإن لم يتبين لك فعليك بطريق الراسخين في العلم الذين يقولون: **﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾**. وكل الأمر إلى منزله الذي يعلمه واعلم أن القصور في علمك أو في فهمك وأن القرآن لا تناقض فيه.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام في قوله فيما سبق: كما جمع الله بينهما.

وكذلك ابن القيم كما في مختصر الصواعق لابن الموصلي ص ٤١٠ ط الإمام في سياق كلامه على المثال التاسع مما قيل إنه مجاز قال: وقد أخبر الله أنه مع خلقه مع كونه مستوياً على عرشه وقرن بين الأمرين كما قال تعالى: ﴿وذكر آية سورة الحديد﴾ ثم قال فأخبر أنه خلق السمٰوات والأرض وأنه استوى على عرشه وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه كما في حديث الأوعال: الله فوق العرش يرى ما أنتم عليه فعلوه لا يناقض معيته ومعيته لا تبطل علوه بل كلاهما حق. أهـ.

الوجه الثاني: أن حقيقة معنى المعية لا يناقض العلو فالإجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا ولا يعد ذلك تناقضاً ولا يفهم منه أحد أن القمر نزل في الأرض فإذا كان هذا ممكناً في حق المخلوق ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع علوه سبحانه من باب أولى وذلك لأن حقيقة المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص ١٠٣ المجلد الخامس من مجموع الفتاوى لابن قاسم حيث قال: وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا اطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة. أهـ.

وصدق رحمه الله تعالى فإن من كان عالماً بك مطلعاً عليك مهيمناً عليك يسمع ما تقول ويرى ما تفعل ويدبر جميع أمورك فهو معك حقيقة وإن كان فوق عرشه حقيقة لأن المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

الوجه الثالث: أنه لو فرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق

المخلوق لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعاً في حق الخالق الذي جمع لنفسه بينهما لأن الله تعالى لا يماثله شيء من مخلوقاته كما قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص ١٤٣ جـ٣ من مجموع الفتاوى حيث قال: وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو عليّ في دنوه قريب في علوه. أهـ.

(تتمة) انقسم الناس في معية الله تعالى لخلقه ثلاثة قسام:

القسم الأول يقولون: إن معية الله تعالى لخلقه مقتضاها العلم والإحاطة في المعية العامة ومع النصر والتأييد في المعية الخاصة مع ثبوت علوه بذاته واستوائه على عرشه.

وهؤلاء هم السلف ومذهبهم هو الحق كما سبق تقريره.

القسم الثاني: يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض مع نفي علوه واستوائه على عرشه.

وهؤلاء هم الحلولية من قدماء الجهمية وغيرهم ومذهبهم باطل منكر أجمع السلف على بطلانه وإنكاره كما سبق.

القسم الثالث: يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض مع ثبوت علوه فوق عرشه. ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٢٩ جـ ٥ من مجموع الفتاوى.

وقد زعم هؤلاء أنهم أخذوا بظاهر النصوص في المعية والعلو. وكذبوا في ذلك فضلوا فإن نصوص المعية لا تقتضي ما ادعوه من الحلول لأنه باطل ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله باطلاً.

تنبيه: اعلم أن تفسير السلف لمعية الله تعالى لخلقه بأنه معهم بعلمه لا يقتضي الاقتصار على العلم بل المعية تقتضي أيضاً إحاطته بهم سمعاً

وبصراً وقدرة وتدبيراً ونحو ذلك من معاني ربوبيته.

تنبيه آخر: أشرت فيما سبق إلى أن علو الله تعالى ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع أما الكتاب فقد تنوعت دلالته على ذلك.

فتارة بلفظ العلو والفوقية والإستواء على العرش وكونه في السماء كقوله تعالى: **﴿وهو العلي العظيم﴾**، **﴿وهو القاهر فوق عباده﴾**، **﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾**، **﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾**.

وتارة بلفظ صعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه كقوله: **﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾**، **﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾**، **﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ﴾**.

وتارة بلفظ نزول الأشياء منه ونحو ذلك كقوله تعالى: **﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾**، **﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾**.

وأما السنة فقد دلت عليه بأنواعها القولية والفعلية والإقرارية في أحاديث كثيرة تبلغ حد التواتر وعلى وجوه متنوعة كقوله ﷺ في سجوده: «سبحان ربي الأعلى»، وقوله: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي»، وقوله: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»، وثبت عنه أنه رفع يديه وهو على المنبر يوم الجمعة يقول: «اللهم أغثنا». وأنه رفع يده إلى السماء وهو يخطب الناس يوم عرفة حين قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال: «اللهم اشهد». وأنه قال للجارية: «أين الله» قالت في السماء فأقرها وقال لسيدها: «اعتقها فإنها مؤمنة».

وأما العقل فقد دل على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص. والعلو صفة كمال والسفل نقص فوجب لله تعالى صفة العلو وتنزيهه عن ضده.

وأما الفطرة فقد دلت على علو الله تعالى دلالة ضرورية فطرية فما من

داع أو خائف فزع إلى ربه تعالى إلا وجد في قلبه ضرورة الإتجاه نحو العلو لا يلتفت عن ذلك يمنة ولا يسرة.

واسأل المصلين يقول الواحد منهم في سجوده: سبحان ربي الأعلى أين تتجه قلوبهم حينذاك.

وأما الإجماع فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على أن الله تعالى فوق سمواته مستوٍ على عرشه وكلامهم مشهور في ذلك نصاً وظاهراً قال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم ومحال أن يقع في مثل ذلك خلاف وقد تطابقت عليه هذه الأدلة العظيمة التي لا يخالفها إلا مكابر طمس على قلبه واجتالته الشياطين عن فطرته نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

فعلو الله تعالى بذاته وصفاته من أبين الأشياء وأظهرها دليلاً وأحق الأشياء وأثبتها واقعاً.

تنبيه ثالث: اعلم أيها القارىء الكريم أنه صدر مني كتابة لبعض الطلبة تتضمن ما قلته في بعض المجالس في معية الله تعالى لخلقه ذكرت فيها: أن عقيدتنا أن لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به وتقتضي إحاطته بكل شيء علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً وأنه سبحانه منزه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم بل هو العلي بذاته وصفاته وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها وإنه مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله وأن ذلك لا ينافي معيته لأنه تعالى: **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**.

وأردت بقولي (ذاتية) توكيد حقيقة معيته تبارك وتعالى.

وما أردت أنه مع خلقه سبحانه في الأرض كيف وقد قلت في نفس هذه الكتابة كما ترى إنه سبحانه منزه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم وأنه العلي بذاته وصفاته وأن علوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك

عنها وقلت فيها أيضاً ما نصه بالحرف الواحد:

(ونرى أن من زعم أن الله بذاته في كل مكان فهو كافر أو ضال إن اعتقده وكاذب إن نسبه إلى غيره من سلف الأمة أو أئمتها) أهـ.

ولا يمكن لعاقل عرف الله وقدره حق قدره أن يقول إن الله مع خلقه في الأرض وما زلت ولا أزال أنكر هذا القول في كل مجلس من مجالسي جرى فيه ذكره. وأسأل الله تعالى أن يثبتني وإخواني المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

هذا وقد كتبت بعد ذلك مقالاً نشر في مجلة (الدعوة) التي تصدر في الرياض نشر يوم الإثنين الرابع من شهر محرم سنة ١٤٠٤ هـ أربع وأربعمائة وألف برقم ٩١١ قررت فيه ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من أن معية الله تعالى لخلقه حق على حقيقتها وأن ذلك لا يقتضي الحلول والاختلاط بالخلق فضلاً عن أن يستلزمه ورأيت من الواجب استبعاد كلمة (ذاتية) [1] وبينت أوجه الجمع بين علو الله تعالى وحقيقة المعية.

واعلم أن كل كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض أو اختلاطه بمخلوقاته أو نفي استوائه على عرشه أو غير ذلك مما لا يليق به تعالى فإنها كلمة باطلة يجب إنكارها على قائلها كائناً من كان وبأي لفظ كانت.

وكل كلام يوهم ـ ولو عند بعض الناس ـ ما لا يليق بالله تعالى فإن الواجب تجنبه لئلا يظن بالله تعالى ظن السوء لكن ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فالواجب إثباته وبيان بطلان وهم من توهم فيه ما لا يليق بالله عز وجل.

المثال السابع والثامن: قوله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾، وقوله: ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ حيث فسر القرب فيهما بقرب الملائكة.

---

(١) انظر سبب ذلك في المقال المنشور.

والجواب: أن تفسير القرب فيهما بقرب الملائكة ليس صرفاً للكلام عن ظاهره لمن تدبره.

أما الآية الأولى فإن القرب مقيد فيها بما يدل على ذلك حيث قال: **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** ففي قوله: **﴿إذ يتلقى﴾** دليل على أن المراد به قرب الملكين المتلقيين.

وأما الآية الثانية فإن القرب فيها مقيد بحال الاحتضار والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة لقوله تعالى: **﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾** ثم إن في قوله: **﴿وأنتم لا تبصرون﴾** دليلاً بيناً على أنهم الملائكة إذ يدل على أن هذا القريب في نفس المكان ولكن لا نبصره وهذا يعين أن يكون المراد قرب الملائكة لاستحالة ذلك في حق الله تعالى.

بقي أن يقال فلماذا أضاف الله القرب إليه وهل جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة؟

فالجواب: أضاف الله تعالى قرب ملائكته إليه لأن قربهم بأمره وهم جنوده ورسله.

وقد جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة كقوله تعالى: **﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾** فإن المراد به قراءة جبريل القرآن على رسول الله ﷺ مع أن الله تعالى أضاف القراءة إليه لكن لما كان جبريل يقرؤه على النبي ﷺ بأمر الله تعالى صحت إضافة القراءة إليه تعالى. وكذلك جاء في قوله تعالى: **﴿ولما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط﴾** وإبراهيم إنما كان يجادل الملائكة الذين هم رسل الله تعالى.

المثال التاسع والعاشر: قوله تعالى عن سفينة نوح: **﴿تجري بأعيننا﴾** وقوله لموسى: **﴿ولتصنع على عيني﴾**.

والجواب: أن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا؟

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله أو أن موسى عليه الصلاة والسلام يربى فوق عين الله تعالى.

أو يقال: إن ظاهره أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يراه ويكلؤه بها.

ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين:

الأول: أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي والقرآن إنما نزل بلغة العرب قال الله تعالى: ﴿**إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾، وقال تعالى: ﴿**نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين**﴾. ولا أحد يفهم من قول القائل: فلان يسير بعيني أن المعنى أنه يسير داخل عينه ولا من قول القائل: فلان تّخرج على عيني أن تخرجه كان وهو راكب على عينه ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء.

الثاني: أن هذا ممتنع غاية الامتناع ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى لأن الله تعالى مستوٍ على عرشه بائن من خلقه لا يحل فيه شيء من مخلوقاته ولا هو حال في شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها. وهذا معنى قول بعض السلف بمرأى مني فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه ولازم المعنى الصحيح جزء منه كما هو معلوم من دلالة اللفظ حيث تكون بالمطابقة والتضمن والإلتزام.

المثال الحادي عشر: قوله تعالى في الحديث القدسي: «وما يزال

عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه».

والجواب أن هذا الحديث صحيح رواه البخاري في باب التواضع الثامن والثلاثين من كتاب الرقاق.

وقد أخذ السلف أهل السنة والجماعة بظاهر الحديث وأجروه على حقيقته.

ولكن ما ظاهر هذا الحديث؟

هل يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يكون سمع الولي وبصره ويده ورجله؟

أو يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يسدد الولي في سمعه وبصره ويده ورجله بحيث يكون إدراكه وعمله لله وبالله وفي الله؟

ولا ريب أن القول الأول ليس ظاهر الكلام بل ولا يقتضيه الكلام لمن تدبر الحديث فإن في الحديث ما يمنعه من وجهين:

الأول: أن الله تعالى قال: ﴿وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه وقال: ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه﴾، فأثبت عبداً ومعبوداً ومتقرباً ومتقرباً إليه ومحباً ومحبوباً وسائلاً ومسؤولاً ومعطياً ومعطى ومستعيذاً ومستعاذاً به ومعيذاً ومعاذاً. فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين كل واحد منهما غير الآخر وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفاً في الآخر أو جزءاً من أجزائه.

الوجه الثاني: أن سمع الوليّ وبصره ويده ورجله كلها أوصاف أو أجزاء في مخلوق حادث بعد أن لم يكن ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي ليس قبله شيء يكون سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً لمخلوق بل إن هذا المعنى تشمئز منه النفس أن تتصوره ويحسر اللسان أن ينطق به

ولو على سبيل الفرض والتقدير فكيف يسوغ أن يقال إنه ظاهر الحديث القدسي وأنه قد صرف عن هذا الظاهر سبحانك اللهم وبحمدك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

وإذا تبين بطلان القول الأول وامتناعه تعين القول الثاني وهو أن الله تعالى يسدد هذا الولي في سمعه وبصره وعمله بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره وعمله بيده ورجله كله لله تعالى إخلاصاً وبالله تعالى استعانة وفي الله تعالى شرعاً واتباعاً فيتم له بذلك كمال الإخلاص والإستعانة والمتابعة وهذا غاية التوفيق وهذا ما فسره به السلف وهو تفسير مطابق لظاهر اللفظ موافق لحقيقته متعين بسياقه وليس فيه تأويل ولا صرف للكلام عن ظاهره ولله الحمد والمنة.

المثال الثاني عشر: قوله ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال: «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة».

وهذا الحديث صحيح رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء من حديث أبي ذر رضي الله عنه وروى نحوه من حديث أبي هريرة أيضاً وكذلك روى البخاري نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التوحيد الباب الخامس عشر.

وهذا الحديث كغيره من النصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى وأنه سبحانه فعال لما يريد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾، وقوله: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفا﴾، وقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾، وقوله: ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾، وقوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر»، وقوله ﷺ: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمٰن بيمينه» إلى غير ذلك من

الآيات والأحاديث الدالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى.

فقوله في هذا الحديث: تقربت منه وأتيته هرولة من هذا الباب.

والسلف أهل السنة والجماعة يجرون هذه النصوص على ظاهرها وحقيقة معناها اللائق بالله عز وجل من غير تكييف ولا تمثيل قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول ص ٤٦٦ جـ ٥ من مجموع الفتاوى: وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستواءه على العرش وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر أهـ.

فأيّ مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف يشاء مع علوه؟

وأيّ مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيل؟

وهل هذا إلا من كماله أن يكون فعالاً لما يريد على الوجه الذي به يليق؟

وذهب بعض الناس إلى أن قوله تعالى في هذا الحديث القدسي: أتيته هرولة. يرد به سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرب إليه المتوجه بقلبه وجوارحه وأن مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العامل. وعلل ما ذهب إليه بأن الله تعالى قال: «ومن أتاني «يمشي» ومن المعلوم أن المتقرب إلى الله عز وجل الطالب للوصول إليه لا يتقرب ويطلب الوصول إلى الله تعالى بالمشي فقط بل تارة يكون بالمشي كالسير إلى المساجد ومشاعر الحج والجهاد في سبيل الله ونحوها وتارة بالركوع والسجود ونحوهما وقد ثبت عن النبي ﷺ أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد بل قد يكون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه كما قال الله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾، وقال النبي ﷺ لعمران بن حصين: «صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب».

قال فإذا كان كذلك صار المراد بالحديث بيان مجازاة الله تعالى العبد على عمله وأن من صدق في الإقبال على ربه وإن كان بطيئاً جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفضل. وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه.

وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية لم يكن تفسيره به خروجاً به عن ظاهره ولا تأويلاً كتأويل أهل التعطيل فلا يكون حجة لهم على أهل السنة ولله الحمد.

وما ذهب إليه هذا القائل له حظ من النظر لكن القول الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف.

ويجاب عما جعله قرينة من كون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه لا يختص بالمشي بأن الحديث خرج مخرج المثال لا الحصر فيكون المعنى من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي لتوقفها عليه بكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة أو من ماهيتها كالطواف والسعي والله تعالى أعلم.

المثال الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً﴾.

والجواب: أن يقال ما هو ظاهر هذه الآية وحقيقتها حتى يقال إنها صرفت عنه؟

هل يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام بيده كما خلق آدم بيده؟

أو يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها لم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد والمراد صاحبها معروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

أما القول الأول فليس هو ظاهر اللفظ لوجهين:

أحدهما: أن اللفظ لا يقتضيه بمقتضى اللسان العربي الذي نزل القرآن به ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم**﴾، وقوله: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**﴾، وقوله: ﴿**ذلك بما قدمت أيديكم**﴾، فإن المراد ما كسبه الإنسان نفسه وما قدمه وإن عمله بغير يده بخلاف ما إذا قال عملته بيدي كما في قوله تعالى: ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله**﴾، فإنه يدل على مباشرة الشيء باليد.

الثاني: أنه لو كان المراد أن الله تعالى خلق هذه الأنعام بيده لكان لفظ الآية خلقنا لهم بأيدينا أنعاماً كما قال الله تعالى في آدم: ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**﴾. لأن القرآن نزل بالبيان لا بالتعمية لقوله تعالى: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾.

وإذا ظهر بطلان القول الأول تعين أن يكون الصواب هو القول الثاني وهو أن ظاهر اللفظ أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها ولم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد كإضافته إلى النفس بمقتضى اللغة العربية بخلاف ما إذا أضيف إلى النفس وعدي بالباء إلى اليد فتنبه للفرق فإن التنبه للفروق بين المتشابهات من أجود أنواع العلم وبه يزول كثير من الإشكالات.

المثال الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾.

والجواب: أن يقال: هذه الآية تضمنت جملتين:

الجملة الأولى: قوله تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾. وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهرها وحقيقتها وهي صريحة في أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبايعون النبي ﷺ نفسه كما في قوله تعالى: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾.

ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله تعالى: ﴿إنما يبايعون الله﴾ أنهم يبايعون الله نفسه ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ لمنافاته لأول الآية والواقع واستحالته في حق الله تعالى.

وإنما جعل الله تعالى مبايعة الرسول ﷺ مبايعة له لأنه رسوله وقد بايع الصحابة على الجهاد في سبيل الله تعالى ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله لأنه رسوله المبلغ عنه كما أن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله لقوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾.

وفي إضافة مبايعتهم الرسول ﷺ إلى الله تعالى من تشريف النبي ﷺ وتأييده وتوكيد هذه المبايعة وعظمها ورفع شأن المبايعين ما هو ظاهر لا يخفى على أحد.

الجملة الثانية: قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾. وهذه أيضاً على ظاهرها وحقيقتها فإن يد الله تعالى فوق أيدي المبايعين لأن يده من صفاته وهو سبحانه فوقهم على عرشه فكانت يده فوق أيديهم. وهذا ظاهر اللفظ وحقيقته وهو لتوكيد كون مبايعة النبي ﷺ مبايعة لله عز وجل ولا يلزم منها أن تكون يد الله جل وعلا مباشرة لأيديهم ألا ترى أنه يقال: السماء فوقنا مع أنها مباينة لنا بعيدة عنا. فيد الله عز وجل فوق أيدي المبايعين لرسوله ﷺ مع مباينته تعالى لخلقه وعلوه عليهم.

ولا يمكن لأحد أن يفهم أن المراد بقوله: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ يد النبي ﷺ ولا أن يدعى أن ذلك ظاهر اللفظ لأن الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه ووصفها بأنها فوق أيديهم. ويد النبي ﷺ عند مبايعة الصحابة لم تكن فوق أيديهم بل كان يبسطها إليهم فيمسك بأيديهم كالمصافح لهم فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم.

المثال الخامس عشر: قوله تعالى في الحديث القدسي: «يابن آدم مرضت فلم تعدني» الحديث.

وهذا الحديث رواه مسلم في باب فضل عيادة المريض من كتاب البر

والصلة والآداب رقم ٤٣ ص ١٩٩٠ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة يابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

والجواب أن السلف أخذوا بهذا الحديث ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم وإنما فسروه بما فسره به المتكلم به فقوله تعالى: مرضت واستطعمتك واستسقيتك بينه الله تعالى بنفسه حيث قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض وأنه استطعمك عبدي فلان. واستسقاك عبدي فلان وهو صريح في أن المراد به مرض عبد من عباد الله واستطعام عبد من عباد الله واستسقاء عبد من عباد الله والذي فسره بذلك هو الله المتكلم به وهو أعلم بمراده فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله والإستطعام المضاف إليه والإستسقاء المضاف إليه بمرض العبد واستطعامه واستسقائه لم يكن في ذلك صرف للكلام عن ظاهره لأن ذلك تفسير المتكلم به فهو كما لو تكلم بهذا المعنى ابتداء. وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولاً للترغيب والحث كقوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾.

وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل الذين يحرفون نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله ﷺ وإنما يحرفونها بشبه باطلة هم فيها متناقضون مضطربون. إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها كما يقولون لبينه الله تعالى ورسوله ولو كان ظاهرها ممتنعاً على الله ـ كما زعموا ـ لبينه الله ورسوله كما في هذا الحديث. ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعاً على الله لكان في الكتاب

والسنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه ما لا يحصى إلا بكلفة وهذا من أكبر المحال.

ولنكتفِ بهذا القدر من الأمثلة لتكون نبراساً لغيرها وإلا فالقاعدة عند أهل السنة والجماعة معروفة وهي إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في قواعد نصوص الصفات والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخاتمة

إذا قال قائل: قد عرفنا بطلان مذهب أهل التأويل في باب الصفات ومن المعلوم أن الأشاعرة من أهل التأويل لأكثر الصفات فكيف يكون مذهبهم باطلاً وقد قيل إنهم يمثلوه اليوم خمسة وتسعين بالمئة من المسلمين.

وكيف يكون باطلاً وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري؟

وكيف يكون باطلاً وفيهم فلان وفلان من العلماء المعروفين بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؟

قلنا الجواب عن السؤال الأول: أننا لا نسلم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين فإن هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق.

ثم لو سلمنا أنهم بهذا القدر أو أكثر فإنه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ لأن العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر.

ثم نقول إن إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التأويل فإن السلف الصالح من صدر هذه الأمة وهم الصحابة الذين هم خير القرون والتابعون لهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم كانوا مجمعين على إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات وإجراء النصوص على ظاهرها اللائق بالله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وهم خير القرون بنص الرسول ﷺ وأجماعهم حجة ملزمة لأنه مقتضى الكتاب والسنة وقد سبق نقل الإجماع عنهم في القاعدة الرابعة من قواعد نصوص الصفات.

والجواب عن السؤال الثاني: أن أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمة المسلمين لا يدعون لأنفسهم العصمة من الخطأ بل لم ينالوا الإمامة في الدين إلا حين عرفوا قدر أنفسهم ونزلوها منزلتها وكان في قلوبهم من تعظيم الكتاب والسنة ما استحقوا به أن يكونوا أئمة قال الله تعالى: **﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾**، وقال عن إبراهيم: **﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم﴾**.

ثم إن هؤلاء المتأخرين الذين ينتسبون إليه لم يقتدوا به الاقتداء الذي ينبغي أن يكونوا عليه وذلك أن أبا الحسن كان له مراحل ثلاث في العقيدة:

المرحلة الأولى ـ مرحلة الاعتزال: اعتنق مذهب المعتزلة أربعين عاماً يقرره ويناظر عليه ثم رجع عنه وصرح بتضليل المعتزلة وبالغ في الرد عليهم(١).

المرحلة الثانية: مرحلة بين الاعتزال المحض والسنة المحضة سلك فيها طريق أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤٧١ من المجلد السادس عشر من مجموع الفتاوى لابن قاسم:

والأشعري وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية أخذوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً ومن هؤلاء أصولاً عقلية ظنوها صحيحة وهي فاسدة أهـ.

المرحلة الثالثة: مرحلة اعتناق مذهب أهل السنة والحديث مقتدياً بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كما قرره في كتابه: (الإبانة عن أصول الديانة) وهو من آخر كتبه أو آخرها.

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٧٢ جـ ٤.

(٢) مجموع الفتاوى ص ٥٥٦ جـ ٥.

قال في مقدمته:

(جاءنا ـ يعني النبي ﷺ ـ بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد جمع فيه علم الأولين وأكمل به الفرائض والدين فهو صراط الله المستقيم وحبله المتين من تمسك به نجا ومن خالفه ضل وغوى وفي الجهل تردى وحث الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله ﷺ فقال عز وجل: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ إلى أن قال: فأمرهم بطاعة رسوله كما أمرهم بطاعته ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه ﷺ كما أمرهم بالعمل بكتابه فنبذ كثير ممن غلبت شقوته واستحوذ عليهم الشيطان سنن نبي الله ﷺ وراء ظهورهم وعدلوا إلى أسلاف لهم قلدوهم بدينهم ودانوا بديانتهم وأبطلوا سنن رسول الله ﷺ ورفضوها وأنكروها وجحدوها افتراء منهم على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين».

ثم ذكر رحمه الله أصولاً من أصول المبتدعة وأشار إلى بطلانها ثم قال:

فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون. قيل له قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا ﷺ وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل ثم أثنى عليه بما أظهر الله على يده من الحق وذكر ثبوت الصفات ومسائل في القدر والشفاعة وبعض السمعيات وقرر ذلك بالأدلة النقلية والعقلية.

والمتأخرون الذين ينتسبون إليه أخذوا بالمرحلة الثانية من مراحل عقيدته والتزموا طريق التأويل في عامة الصفات ولم يثبتوا إلا الصفات السبع المذكورة في هذا البيت:

حي عليم قدير والكلام له   إرادة وكذاك السمع والبصر

على خلاف بينهم وبين أهل السنة في كيفية إثباتها.

ولما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ما قيل في شأن الأشعرية ص ٣٥٩ من المجلد السادس من مجموع الفتاوى لابن قاسم قال:

ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية وأما من قال منهم بكتاب (الإبانة) الذي صنفه الأشعري في آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة وقال قبل ذلك في ص ٣١٠: وأما الأشعرية فعكس هؤلاء وقولهم يستلزم التعطيل وأنه لا داخل العالم ولا خارجه وكلامه معنى واحد ومعنى آية الكرسي وآية الدَّين والتوراة والإنجيل واحد وهذا معلوم الفساد بالضرورة أهـ.

وقال تلميذه ابن القيم في النونية ص ٣١٢ من شرح الهراس ط الإمام:

واعلم بأن طريقهم عكس الـ   طريق المستقيم لمن له عينان

إلى أن قال:

فاعجب لعميان البصائر أبصروا   كون المقلد صاحب البرهان
ورأوه بالتقليد أولى من سوا   ه بغير ما بصر ولا برهان
وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا   معناهما عجباً لذي الحرمان

وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان ص ٣١٩ جـ٢ على تفسير آية استواء الله تعالى على عرشه التي في سورة الأعراف: اعلم أنه غلط في هذا خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين فزعموا أن الظاهر المتبادل السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلاً في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعاً قال ولا يخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم

الكفر بالله تعالى والقول فيه بما لا يليق به جل وعلا. والنبي ﷺ الذي قيل له: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾، لم يبين حرفاً واحداً من ذلك مع إجماع من يعتد به من العلماء على أنه ﷺ لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه وأحرى في العقائد لا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق والنبي ﷺ كتم أن ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه وكل هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة سبحانك هذا بهتان عظيم ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال ومن أعظم الافتراء على الله جل وعلا ورسوله ﷺ.

والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل وصف وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فالظاهر المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث. قال وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم المتبادر لكل عاقل هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته لا والله لا ينكر ذلك إلا مكابر.

والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله لأنه كفر وتشبيه إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله جل وعلا وعدم الإيمان بها مع أنه جل وعلا هو الذي وصف بها نفسه فكان هذا الجاهل مشبهاً أولاً ومعطلاً ثانياً فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء ولو كان قلبه عارفاً بالله كما ينبغي معظماً لله كما ينبغي طاهراً من أقذار التشبيه لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه أن وصف الله تعالى بالغ في الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين فيكون قلبه مستعداً للإيمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق على نحو قوله: ﴿ليس كمثله شيء

وهو السميع البصير﴾. أهـ كلامه رحمه الله.

والأشعري أبو الحسن رحمه الله كان في آخر عمره على مذهب أهل السنة والحديث وهو إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. ومذهب الإنسان ما قاله أخيراً إذا صرح بحصر قوله فيه كما هي الحال في أبي الحسن كما يعلم من كلامه في الإبانة. وعلى هذا فتمام تقليده اتباع ما كان عليه أخيراً وهو التزام مذهب أهل الحديث والسنة لأنه المذهب الصحيح الواجب الاتباع الذي التزم به أبو الحسن نفسه.

والجواب عن السؤال الثالث من وجهين:

الأول: أن الحق لا يوزن بالرجال وإنما يوزن الرجال بالحق هذا هو الميزان الصحيح وإن كان لمقام الرجال ومراتبهم أثر في قبول أقوالهم كما نقبل خبر العدل ونتوقف في خبر الفاسق لكن ليس هذا هو الميزان في كل حال فإن الإنسان بشر يفوته من كمال العلم وقوة الفهم ما يفوته فقد يكون الرجل ديناً وذا خلق ولكن يكون ناقص العلم أو ضعيف الفهم فيفوته من الصواب بقدر ما حصل له من النقص والضعف أو يكون قد نشأ على طريق معين أو مذهب معين لا يكاد يعرف غيره فيظن أن الصواب منحصر فيه ونحو ذلك.

الثاني: أننا إذا قابلنا الرجال الذين على طريق الأشاعرة بالرجال الذين هم على طريق السلف وجدنا في هذه الطريق من هم أجل وأعظم وأهدى وأقوم من الذين على طريق الأشاعرة فالأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة ليسوا على طريق الأشاعرة.

وإذا ارتقيت إلى من فوقهم من التابعين لم تجدهم على طريق الأشاعرة.

وإذا علوت إلى عصر الصحابة والخلفاء الأربعة الراشدين لم تجد

فيهم من حذا حذو الأشاعرة في أسماء الله تعالى وصفاته وغيرهما مما خرج به الأشاعرة عن طريق السلف.

ونحن لا ننكر أن لبعض العلماء المنتسبين إلى الأشعري قدم صدق في الإسلام والذب عنه والعناية بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ﷺ رواية ودراية والحرص على نفع المسلمين وهدايتهم ولكن هذا لا يستلزم عصمتهم من الخطأ فيما أخطئوا فيه ولا قبول قولهم في كل ما قالوه ولا يمنع من بيان خطئهم ورده لما في ذلك من بيان الحق وهداية الخلق.

ولا ننكر أيضاً أن لبعضهم قصداً حسناً فيما ذهب إليه وخفي عليه الحق فيه ولكن لا يكفي لقبول القول حسن قصد قائله بل لا بد أن يكون موافقاً لشريعة الله عز وجل فإن كان مخالفاً لها وجب رده على قائله كائناً من كان لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

ثم إن كان قائله معروفاً بالنصيحة والصدق في طلب الحق اعتذر عنه في هذه المخالفة وإلا عومل بما يستحقه بسوء قصده ومخالفته.

فإن قال قائل: هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟

قلنا: الحكم بالتكفير والتفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله تعالى ورسوله ﷺ فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة فيجب التثبت فيه غاية التثبت فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه.

والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي. ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

الثاني: الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالماً منه ففي صحيح مسلم

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما. وفي رواية: إن كان كما قال وإلا رجعت عليه»، وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه».

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافراً أو فاسقاً لقوله تعالى: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾**، وقوله: **﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم إن الله له ملك السمٰوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾**.

ولهذا قال أهل العلم: لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يبين له.

ومن الموانع أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه ولذلك صور:

منها: أن يكره على ذلك فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئناناً به فلا يكفر حينئذ لقوله تعالى: **﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾**.

ومنها أن يغلق عليه فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك.

ودليله ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «للَّهُ أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ص ١٨٠ جـ١٢ مجموع الفتاوى لابن قاسم:

وأما التكفير أن من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطؤه ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاق الرسول من بعدما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب ثم قد يكون فاسقاً وقد يكون له حسنات ترجح على سيئاته أهـ.

وقال في ص ٢٢٩ جـ٣ من المجموع المذكور في كلام له: (هذا مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني أنى من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى وأني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية. وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية. وذكر أمثلة ثم قال:

وكنت أبين أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين إلى أن قال:

والتكفير هو من الوعيد فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً.

وكنت دائماً أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في اليم فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين ففعلوا به ذلك فقال الله: ما حملك على ما فعلت قال خشيتك فغفر له.

فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذرى بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك.

والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول ﷺ أولى بالمغفرة من مثل هذا. أهـ.

وبهذا علم الفرق بين القول والقائل وبين الفعل والفاعل فليس كل قول أو فعل يكون فسقاً أو كفراً يحكم على قائله أو فاعله بذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ص ١٦٥ جـ ٣٥ من مجموع الفتاوى.

وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفر قولاً يطلق كما دل على ذلك الدلائل الشرعية فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه مثل من قال إن الخمر أو الربا حلال لقرب عهده بالإسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة أو سمع كلاماً أنكره ولم يعتقد أنه من القرآن ولا أنه من أحاديث رسول الله ﷺ كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى يثبت عنده أن النبي ﷺ قالها. إلى أن قال: فإن

هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال الله تعالى: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾، وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان». أهـ كلامه.

وبهذا علم أن المقالة أو الفعلة قد تكون كفراً أو فسقاً ولا يلزم من ذلك أن يكون القائم بها كافراً أو فاسقاً إما لانتفاء شرط التكفير أو التفسيق أو وجود مانع شرعي يمنع منه. ومن تبين له الحق فأصر على مخالفته تبعاً لاعتقاد كان يعتقده أو متبوع كان يعظمه أو دنيا كان يؤثرها فإنه يستحق ما تقتضيه تلك المخالفة من كفر أو فسوق. فعلى المؤمن أن يبني معتقده وعمله على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فيجعلهما إماماً له يستضيء بنورهما ويسير على منهاجهما فإن ذلك هو الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى به في قوله: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذالكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾.

وليحذر ما يسلكه بعض الناس من كونه يبني معتقده أو عمله على مذهب معين فإذا رأى نصوص الكتاب والسنة على خلافه حاول صرف هذه النصوص إلى ما يوافق ذلك المذهب على وجوه متعسفة فيجعل الكتاب والسنة تابعين لا متبوعين وما سواهما إماماً لا تابعاً وهذه طريق من طرق أصحاب الهوى لا أتباع الهدى وقد ذم الله هذه الطريق في قوله: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾.

والناظر في مسالك الناس في هذا الباب يرى العجب العجاب ويعرف شدة افتقاره إلى اللجوء إلى ربه في سؤال الهداية والثبات على الحق والإستعاذة من الضلال والإنحراف.

ومن سأل الله تعالى بصدق وافتقار إليه عالماً بغنى ربه عنه وافتقاره هو إلى ربه فهو حري أن يستجيب الله تعالى له سؤله يقول الله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾.

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن رأى الحق حقاً واتبعه ورأى الباطل باطلاً واجتنبه وأن يجعلنا هداة مهتدين وصلحاء مصلحين وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب. والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبي الرحمة وهادي الأمة إلى صراط العزيز الحميد بإذن ربهم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تم في اليوم الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٤٠٤ هـ

بقلم مؤلفه الفقير إلى الله

محمد الصالح العثيمين

نص الكلمة التي نشرناها
في مجلة الدعوة السعودية
في عدد ٩١١ الصادر يوم الإثنين
الموافق ٤/١/١٤٠٤ هـ
بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد كنا تكلمنا في بعض مجالسنا على معنى معية الله تعالى لخلقه ففهم بعض النـاس من ذلك ما ليس بمقصود لنا ولا معتقد لنا فكثر سؤال الناس وتساؤلهم ماذا يقال في معية الله لخلقه؟

وإننا:

أ - لئلا يعتقد مخطىء أو خاطىء في معية الله ما لا يليق به.

ب - ولئلا يتقول علينا متقول ما لم نقله أو يتوهم واهم فيما نقوله ما لم نقصده.

جـ - ولبيان معنى هذه الصفة العظيمة التي وصف الله بها نفسه في عدة آيات من القرآن ووصفه بها نبيه محمد ﷺ.

نقرر ما يأتي:

أولاً: معية الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف قال الله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ وقال تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ وقال تعالى لموسى وهـرون حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾، وقال عن رسوله محمد ﷺ: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾، وقال النبي ﷺ: «أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت»، حسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية وضعفه بعض أهل العلم وسبق قريباً ما قاله الله تعالى عن نبيه من إثبات المعية له.

وقد أجمع السلف على إثبات معية الله تعالى لخلقه.

ثانياً: هذه المعية حق على حقيقتها لكنها معية تليق بالله تعالى ولا تشبه معية أي مخلوق لمخلوق لقوله تعالى عن نفسه: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾، وقوله: ﴿هل تعلم له سميا﴾، وقوله: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾، وكسائر صفاته الثابتة له حقيقة على وجه يليق به ولا تشبه صفات المخلوقين.

قال ابن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محدودة أهـ. نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص ٨٧. من المجلد الخامس من مجموع الفتاوى لابن قاسم.

وقال شيخ الإسلام في هذه الفتوى ص ١٠٢ من المجلد المذكور: ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك ـ يعني مما جاء في الكتاب والسنة ـ يناقض بعضه بعضاً ألبتة مثل أن يقول القائل ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾

وقوله ﷺ: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه»، ونحو ذلك فإن هذا غلط وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله: ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾، فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال: «والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه».

وذلك أن كلمة ـ مع ـ في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا ويقال هذا المتاع معي لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة. أهـ كلامه.

ثالثاً: هذه المعية تقتضي الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً وغير ذلك من معاني ربوبيته إن كانت المعية عامة لم تخص بشخص أو وصف كقوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾، وقوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾.

فإن خصت بشخص أو وصف اقتضت مع ذلك النصر والتأييد والتوفيق والتسديد.

مثال المخصوصة بشخص قوله تعالى لموسى وهٰرون: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾، وقوله عن النبي ﷺ: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾.

ومثال المخصوصة بوصف قوله تعالى: ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ وأمثالها في القرآن كثيرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الجموية ص ١٠٣ من المجلد الخامس من مجموع الفتاوى لابن قاسم قال: ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال: ﴿**يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها**﴾، إلى قوله: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾، دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم وهذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. قال: ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار لا تحزن إن الله معنا كان هذا أيضاً حقاً على ظاهره ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد وكذلك قوله: ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾، وكذلك قوله لموسى وهٰرون: ﴿**إنني معكما أسمع وأرى**﴾ هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد.

إلى أن قال: ففرق بين معنى المعية ومقتضاها وربما صار مقتضاها من معناها فيختلف باختلاف المواضع. هـ.

وقال محمد بن الموصلي في كتاب (استعجال الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) لابن القيم في المثال التاسع ص ٤٠٩ ط الإمام: وغاية ما تدل عليه - مع - المصاحبة والموافقة والمقارنة في أمر من الأمور وذا الاقتران في كل موضع بحسبه ويلزمه لوازم بحسب متعلقه فإذا قيل: الله مع خلقه بطريق العموم كان من لوازم ذلك علمه بهم وتدبيره لهم وقدرته عليهم وإذا كان ذلك خاصاً كقوله: ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾، كان من لوازم ذلك معيته لهم بالنصرة والتأييد والمعونة.

فمعية الله تعالى مع عبده نوعان: عامة وخاصة وقد اشتمل القرآن على النوعين وليس ذلك بطريق الاشتراك اللفظي بل حقيقتها ما تقدم من الصحبة اللائقة. أهـ.

وذكر ابن رجب في شرح الحديث التاسع والعشرين من الأربعين النووية: أن المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد والحفظ والإعانة وأن العامة تقتضي علمه واطلاعه ومراقبته لأعمالهم.

وقال ابن كثير في تفسير آية المعية في سورة المجادلة: ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه المعية معية علمه قال ولا شك في إرادة ذلك ولكن سمعه أيضاً مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء. أهـ.

رابعاً: هذه المعية لا تقتضي أن يكون الله تعالى مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم ولا تدل على ذلك بوجه من الوجوه لأن هذا معنى باطل مستحيل على الله عز وجل ولا يمكن أن يكون معنى كلام الله ورسوله شيئاً مستحيلاً باطلاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص ١١٥ ط ثالثة من شرح محمد خليل الهراس: وليس معنى قوله: ﴿وهو معكم﴾ أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة بل القمر آية من آيات الله تعالى من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان. أهـ.

ولم يذهب إلى هذا المعنى الباطل إلا الحلولية من قدماء الجهمية وغيرهم الذين قالوا إن الله بذاته في كل مكان تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

وقد أنكر قولهم هذا من أدركه من السلف والأئمة لما يلزم عليه من اللوازم الباطلة المتضمنة لوصفه بالنقائص وإنكار علوه على خلقه.

وكيف يمكن أن يقول قائل: إن الله تعالى بذاته في كل مكان أو أنه مختلط بالخلق وهو سبحانه قد ﴿وسع كرسيه السموات والأرض. والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾؟

خامساً: هذه المعية لا تناقض ما ثبت لله تعالى من علوه على خلقه واستوائه على عرشه فإن الله تعالى قد ثبت له العلو المطلق علو الذات وعلو الصفة قال الله تعالى: ﴿وهو العلي العظيم﴾ وقال تعالى: ﴿سبح اسم ربك

الأعلى﴾، وقال تعالى: ﴿ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾.

وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة على علو الله تعالى.

أما أدلة الكتاب والسنة فلا تكاد تحصر مثل قوله تعالى: ﴿فالحكم لله العلي الكبير﴾، وقوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾، وقوله: ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً﴾، وقوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ وقوله: ﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

ومثل قوله ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»، وقوله: «والعرش فوق الماء والله فوق العرش»، وقوله: «ولا يصعد إلى الله إلا الطيب».

ومثل إشارته إلى السماء يوم عرفة يقول: اللهم اشهد يعني على الصحابة حين أقروا أنه بلّغ.

ومثل إقراره الجارية حين سألها أين الله قالت في السماء قال أعتقها فإنها مؤمنة.

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

وأما الإجماع فقد نقل إجماع السلف على علو الله تعالى غير واحد من أهل العلم.

وأما دلالة العقل على علو الله تعالى فلأن العلو صفة كمال والسفول صفة نقص والله تعالى موصوف بالكمال منزه عن النقص.

وأما دلالة الفطرة على علو الله تعالى فإنه ما من داع يدعو ربه إلا وجد من قلبه ضرورة بالإتجاه إلى العلو من غير دراسة كتاب ولا تعليم معلم.

وهذا العلو الثابت لله تعالى بهذه الأدلة القطعية لا يناقض حقيقة المعية وذلك من وجوه:

الأول: أن الله تعالى جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزه عن التناقض ولو كانا متناقضين لم يجمع القرآن بينهما.

وكل شيء في كتاب الله تعالى تظن فيه التعارض فيما يبدو لك فأعد النظر فيه مرة بعد أخرى حتى يتبين لك. قال الله تعالى: **﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾**.

الثاني: أن اجتماع المعية والعلو ممكن في حق المخلوق فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا ولا يعد ذلك تناقضاً، ومن المعلوم أن السائرين في الأرض والقمر في السماء فإذا كان هذا ممكناً في حق المخلوق فما بالك بالخالق المحيط بكل شيء. قال الشيخ محمد خليل الهراس ص ١١٥ في شرحه العقيدة الواسطية عند قول المؤلف: بل القمر آية من آيات الله تعالى من أصغر مخلوقاته وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان قال: وضرب لذلك مثلاً بالقمر الذي هو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغيره أينما كان قال فإذا جاز هذا في القمر وهو من أصغر مخلوقات الله تعالى أفلا يجوز بالنسبة إلى اللطيف الخبير الذي أحاط بعباده علماً وقدرة والذي هو شهيد مطلع عليهم يسمعهم ويراهم ويعلم سرهم ونجواهم بل العالم كله سمواته وأرضه من العرش إلى الفرش بين يديه كأنه بندقة في يد أحدنا أفلا يجوز لمن هذا شأنه أن يقال إنه مع خلقه مع كونه عالياً عليهم بائناً منهم فوق عرشه. أهـ.

الوجه الثالث: أن اجتماع العلو والمعية لو فرض أنه ممتنع في حق المخلوق لم يلزم أن يكون ممتنعاً في حق الخالق فإن الله لا يماثله شيء من خلقه: **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص ١١٦ ط ثالثة من شرح الهراس: وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه

سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو عليّ في دنـوه قريب في علوه. أهـ.

وخلاصة القول في هذا الموضوع كما يلي:

١ ـ أن معية الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

٢ ـ أنها حق على حقيقتها على ما يليق بالله تعالى من غير أن تشبه معية المخلوق للمخلوق.

٣ ـ أنها تقتضي إحاطة الله تعالى بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً وغير ذلك من معاني ربوبيته إن كانت المعية عامة وتقتضي مع ذلك نصراً وتأييداً وتوفيقاً وتسديداً إن كانت خاصة.

٤ ـ أنها لا تقتضي أن يكون الله تعالى مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم ولا تدل على ذلك بوجه من الوجوه.

٥ ـ إذا تدبرنا ما سبق علمنا أنه لا منافاة بين كـون الله تعالى مـع خلقه حقيقـة وكونـه في السماء على عـرشه حقيقـة. سبحانـه وبحمده لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه. وصلّى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حرره الفقير إلى الله تعالى:

محمد الصالح العثيمين في ١٤٠٣/١١/٢٧ هـ

عقيدة
أهل السنّة والجماعة



بسم الله الرحمٰن الرحيم

تقديم:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فقد اطلعت على العقيدة القيّمة الموجزة، التي جمعها أخونا العلامة فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين وسمعتها كلها، فألفيتها مشتملة على بيان عقيدة أهل السنّة والجماعة في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي أبواب الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. وقد أجاد في جمعها وأفاد وذكر فيها ما يحتاجه طالب العلم وكل مسلم في إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وقد ضمّ إلى ذلك فوائد جمة تتعلق بالعقيدة قد لا توجد في كثير من الكتب المؤلفة في العقائد. فجزاه الله خيراً وزاده من العلم والهدى ونفع بكتابه هذا وبسائر مؤلفاته، وجعلنا وإيّاه وسائر أخواننا من الهداة المهتدين الداعين إلى الله على بصيرة؛ إنه سمع قريب.

قاله ممليه الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن عبد الله بن باز سامحه الله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

الرئيس العام
لإدارات البحوث العلمية
والإفتاء والدعوة والإرشاد



بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المتقين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وقدوة للعاملين وحجّة على العباد أجمعين.

بيّن به وبما أنزل عليه من الكتاب والحكمة كل ما فيه صلاح العباد واستقامة أحوالهم في دينهم ودنياهم، من العقائد الصحيحة والأعمال القويمة والأخلاق الفاضلة والآداب العالية، فترك ﷺ أمّته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلّا هالك.

فسار على ذلك أمته الذين استجابوا لله ورسوله، وهم خيرة الخلق من الصحابة والتابعين والذين اتبعوهم بإحسان، فقاموا بشريعته وتمسكوا بسنّته وعضوا عليها بالنواجذ عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً. فصاروا هم الطائفة الذين لا يزالون على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على ذلك.

ونحن ـ ولله الحمد ـ على آثارهم سائرون وبسيرتهم المؤيّدة بالكتاب والسنّة مهتدون، نقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى وبياناً لما يجب أن يكون عليه كل مؤمن.

ونسأل الله تعالى أن يثبتنا وإخواننا المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

ولأهمية هذا الموضوع وتفرّق أهواء الخلق فيه، أحببت أن أكتب على سبيل الاختصار عقيدتنا، عقيدة أهل السنّة والجماعة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه، سائلاً الله تعالى أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه موفّقاً لمرضاته نافعاً لعباده.

عقيدتنا

عقيدتنا: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

فنؤمن بربوبية الله تعالى أي بأنّه الرب الخالق الملك المدبّر لجميع الأمور.

ونؤمن بألوهية الله تعالى، أي بأنّه الإله الحق وكل معبود سواه باطل.

ونؤمن بأسمائه وصفاته، أي بأنّ له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا.

ونؤمن بوحدانيته في ذلك أي بأنه لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه وصفاته قال الله تعالى: **﴿رب السمٰوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبٰدته هل تعلم له سميا﴾**[1].

نؤمن بأنه: **﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم﴾**[2].

ونؤمن بأنّه: **﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عٰلم الغيب والشهدة هو الرحمٰن الرحيم (٢٢) هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلٰم**

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحـٰن الله عما يشركون (٢٣) هـو الله الخـٰلق الباري المصـور لـه الأسمـاء الحسنى يسبح لـه مـا في السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾[١].

ونؤمن بأنّ له ملك السمٰوات والأرض ﴿يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إنـٰثاً ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذُكراناً وإنـٰثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير﴾[٢].

ونؤمن بأنه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد السمٰوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم﴾[٣].

ونؤمن بأنه: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾[٤].

ونؤمن بأنه: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمـٰت الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتـٰب مبين﴾[٥].

ونؤمن بأن الله: ﴿عنده علم الساعة وينـزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾[٦].

ونؤمن بأن الله يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾[٧] ﴿ولما جاء موسى لميقـٰتنا وكلمه ربه﴾[٨]، ﴿ونـٰديـٰنه من جانب الطور الأيمن وقربنـٰه نجيا﴾[٩].

---

(١) سورة الحشر، الآيات: ٢٢ - ٢٤.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٩.
(٣) سورة الشورى، الآيات: ١١ - ١٢.
(٤) سورة هود، الآية: ٦.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٦) سورة لقمان، الآية: ٣٤.
(٧) سورة النساء، الآية: ١٦٤.
(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٣٤.
(٩) سورة مريم، الآية: ٥٢.

ونؤمن بأنّه: ﴿**لو كان البحر مداداً لكلمـٰت ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمـٰت ربي**﴾[1]، ﴿**ولو أنما في الأرض من شجرة أقلـٰم والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمـٰت الله إن الله عزيز حكيم**﴾[2].

ونؤمن بأن كلماته أتم الكلمات صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام وحسناً في الحديث قال الله تعالى: ﴿**وتمت كلمتُ ربك صدقاً وعدلاً**﴾[3]، ﴿**ومن أصدق من الله حديثاً**﴾[4].

ونؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى تكلم به حقاً وألقاه إلى جبريل فنزل به جبريل على قلب النبي ﷺ: ﴿**قل نزله روح القدس من ربك بالحق**﴾[5]، ﴿**وإنه لتنزيل رب العـٰلمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤) بلسان عربي مبين**﴾[6].

ونؤمن بأن الله عز وجل عليّ علي خلقه بذاته وصفاته لقوله تعالى: ﴿**وهو العلي العظيم**﴾[7] وقوله: ﴿**وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير**﴾[8].

ونؤمن بأنه ﴿**خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر**﴾[9] واستواؤه على العرش علوه عليه بذاته علوّاً خاصاً يليق بجلاله وعظمته لا يعلم كيفيته إلا هو.

ونؤمن بأنه تعالى مع خلقه وهو على عرشه يعلم أحوالهم ويسمع

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.
(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٧.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.
(٤) سورة النساء، الآية: ٨٧.
(٥) سورة النحل، الآية: ١٠٢.
(٦) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٨.
(٩) سورة يونس، الآية: ٣.

أقوالهم ويرى أفعالهم ويدبر أمورهم يرزق الفقير ويجبر الكسير يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير. ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1].

ولا نقول كما تقول الحلولية من الجهمية وغيرهم إنه مع خلقه في الأرض.

ونرى أن من قال ذلك فهو كافر أو ضال لأنه وصف الله بما لا يليق به من النقائص.

ونؤمن بما أخبر به عنه رسوله ﷺ أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له.

ونؤمن بأنه سبحانه وتعالى يأتي يوم المعاد للفصل بين العباد لقوله تعالى: ﴿**كلا إذا دكت الأرض دكاً دكا (٢١) وجاء ربك والملك صفاً صفا (٢٢) وجاىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسٰن وأنى له الذكرى**﴾[2].

ونؤمن بأنه تعالى: ﴿**فعال لما يريد**﴾[3].

ونؤمن بأن إرادته تعالى نوعان:

كونية يقع بها مراده ولا يلزم أن يكون محبوباً له وهي التي بمعنى المشيئة كقوله تعالى: ﴿**ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد**﴾[4]، ﴿**إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم**﴾[5].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢١.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٥) سورة هود، الآية: ٣٤.

وشرعية لا يلزم بها وقوع المراد ولا يكون المراد فيها إلا محبوباً له. كقوله تعالى: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾[1].

ونؤمن بأن مراده الكوني والشرعي تابع لحكمته فكل ما قضاه كوناً أو تعبد به خلقه شرعاً فإنه لحكمة وعلى وفق الحكمة سواء علمنا منها ما نعلم أو تقاصرت عقولنا عن ذلك ﴿أليس الله بأحكم الحٰكمين﴾[2]، ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[3].

ونؤمن بأن الله تعالى يحب أولياءه وهم يحبونه ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[4]، ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾[5]، ﴿والله يحب الصٰبرين﴾[6]، ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾[7]، ﴿وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾[8].

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى ما شرعه من الأعمال والأقوال ويكره ما نهى عنه منها ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تكفروا يرضه لكم﴾[9]، ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القٰعدين﴾[10].

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾[11].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٧.
(٢) سورة التين، الآية: ٨.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.
(٧) سورة الحجرات، الآية: ٩.
(٨) سورة المائدة، الآية: ٩٣.
(٩) سورة الزمر، الآية: ٧.
(١٠) سورة التوبة، الآية: ٤٦.
(١١) سورة البينة، الآية: ٨.

ونؤمن بأن الله تعالى يغضب على من يستحق الغضب من الكافرين وغيرهم **﴿الظانين بالله ظن السوءِ عليهم دائرة السوءِ وغضب الله عليهم﴾**[1]، **﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾**[2].

ونؤمن بأن لله تعالى وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام **﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلـٰل والإكرام﴾**[3].

ونؤمن بأن لله تعالى يدين كريمتين عظيمتين **﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾**[4]، **﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيـٰمة والسمٰوات مطويـٰت بيمينه سبحـٰنه وتعـٰلى عما يشركون﴾**[5].

ونؤمن بأن لله تعالى عينين اثنتين حقيقيتين لقوله تعالى: «﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾[6] وقال النبي ﷺ: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان ويؤيده قول النبي ﷺ في الدجال إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور.

ونؤمن بأن الله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[7].

ونؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة **﴿وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة﴾**[8].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٦.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٦.
(٣) سورة الرحمٰن، الآية: ٢٧.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٧.
(٦) سورة هود، الآية: ٣٧.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
(٨) سورة القيامة، الآية: ٢٢.

ونؤمن بأن الله تعالى لا مثل له لكمال صفاته **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**[1].

ونؤمن بأنه **﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾**[2] لكمال حياته وقيوميته.

ونؤمن بأنه لا يظلم أحداً لكمال عدله.

وبأنه ليس بغافل عن أعمال عباده لكمال رقابته وإحاطته.

نؤمن بأنه لا يعجزه شيء في السمٰوات ولا في الأرض لكمال علمه وقدرته **﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾**[3].

وبأنه لا يلحقه تعب ولا إعياء لكمال قوته **﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾**[4] أي من تعب ولا إعياء.

ونؤمن بثبوت كل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات لكننا نتبرأ من محذورين عظيمين هما: التمثيل أن يقول بقلبه أو لسانه: صفات الله تعالى كصفات المخلوقين. والتكييف أن يقول بقلبه أو لسانه: كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا.

ونؤمن بانتفاء كل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ وأن ذلك النفي يتضمن إثباتاً لكمال ضده. ونسكت عما سكت الله عنه ورسوله.

ونؤمن أن السير على هذا الطريق فرض لا بد منه وذلك لأن ما أثبته الله لنفسه أو نفاه عنها سبحانه فهو خبر أخبر الله به عن نفسه وهو سبحانه أعلم بنفسه وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً والعباد لا يحيطون به علماً.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) سورة يٓس، الآية: ٨٢.
(٤) سورة قٓ، الآية: ٣٨.

وما أثبته له رسوله أو نفاه عنه فهو خبر أخبر به عنه وهو أعلم الناس بربِّه وأنصح الخلق وأصدقهم وأفصحهم.

ففي كلام الله تعالى ورسوله ﷺ كمال العلم والصدق والبيـان فلا عذر في رده أو التردد في قبوله.

فصل

وكل ما ذكرناه من صفات لله تعالى تفصيلاً أو إجمالاً، إثباتاً أو نفياً، فإننا في ذلك على كتاب ربِّنا وسُنَّةِ نبينا معتمدون وعلى ما سار عليه سلف الأمَّة وأئمة الهدى من بعدهم سائرون.

ونرى وجوب إجراء نصوص الكتاب والسُنَّة في ذلك على ظاهـرها وحملها على حقيقتها اللائقة بالله عزّ وجل.

ونتبرَّأ من طريق المحرِّفين لها الذين صرفوها إلى غير ما أراد الله بها ورسوله.

ومن طريق المعطّلين لها الذين عطلوها من مدلولها الذي أراده الله ورسوله.

ومن طريق الغالين فيها الذين حملوها على التمثيل أو تكلفوا لمدلولها التكييف.

ونعلم علم اليقين أنّ ما جاء في كتاء الله تعالى أو سُنَّة نبيِّه ﷺ فهو حق ولا يناقض بعضه بعضاً لقوله تعالى:

﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلـفاً كثيراً**﴾[1]، ولأن التناقض في الأخبار يستلزم تكذيب بعضهـا بعضاً وهـذا محال في خبر الله تعالى ورسوله ﷺ.

ومن ادعى أن في كتاب الله أو في سُنّة رسوله ﷺ أو بينهما تناقضاً فذلك لسوء قصده وزيغ قلبه فليتب إلى الله ولينزع عن غيّه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

ومن توهم التناقض في كتاب الله تعالى أو في سُنّة رسوله ﷺ أو بينهما، فذلك إمّا لقلّة علمه أو قصور فهمه أو تقصيره في التدبر، فليبحث عن العلم وليجتهد في التدبر حتى يتبين له الحق، فإن لم يتبين له فليكل الأمر إلى عالمه وليكف عن توهمه، وليقل كما يقول الراسخون في العلم ﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾[1] وليعلم أن الكتاب والسنة لا تناقض فيهما ولا بينهما ولا اختلاف.

فصل

ونؤمن بملائكة الله تعالى وأنهم ﴿عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾[2].

خلقهم الله تعالى فقاموا بعبادته وانقادوا لطاعته ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١٩) يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾[3].

حجبهم الله عنا فلا نراهم، وربما كشفهم لبعض عباده، فقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته له ستمائة جناح قد سدّ الأفق. وتمثل جبريل لمريم بشراً سوياً فخاطبته وخاطبها. وأتى إلى النبي ﷺ وعنده الصحابة بصورة رجل لا يعرف ولا يرى عليه أثر السفر شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتين النبي ﷺ ووضع كفيه على فخذيه وخاطب النبي ﷺ وخاطبه النبي ﷺ وأخبر النبي ﷺ أصحابه أنّه جبريل.

ونؤمن بأنّ للملائكة أعمالاً كلفوا بها.

فمنهم جبريل الموكل بالوحي ينزل به من عند الله على من يشاء من أنبيائه ورسله.

ومنهم ميكائيل الموكل بالمطر والنبات.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

ومنهم إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور حين الصعق والنشور.

ومنهم ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

ومنهم ملك الجبال الموكل بها.

ومنهم مالك خازن النار.

ومنهم ملائكة موكلون بالأجنّة في الأرحام وآخرون موكلون بحفظ بني آدم وآخرون موكلون بكتابة أعمالهم لكل شخص ملكان **﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**(١). وآخرون موكلون بسؤال الميت بعد الانتهاء من تسليمه إلى مثواه، يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه فـ **﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيٰوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظٰلمين ويفعل الله ما يشاء﴾**(٢).

ومنهم الملائكة الموكلون بأهل الجنة **﴿والملٰئكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٣) سلٰم عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدار﴾**(٣).

وقد أخبر النبي ﷺ أن البيت المعمور في السماء يدخله ـ وفي رواية يصلي فيه ـ كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

فصل

ونؤمن بأن الله تعالى أنزل على رسله كتباً حجُة على العالمين ومحجة للعاملين يعلّمونهم بها الحكمة ويزكونهم.

ونؤمن بأن الله تعالى أنزل مع كل رسول كتاباً لقوله تعالى: **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتٰب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾**(٤).

---

(١) سورة قۤ، الآية: ١٨.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

ونعلم من هذه الكتب:

أ ـ التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى ﷺ وهي أعظم كتب بني إسرائيل **﴿فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربـٰنيون والأحبار بما استحفظوا من كتـٰب الله وكانوا عليه شهداء﴾**[1].

ب ـ الإنجيل الذي أنزله الله تعالى على عيسى ﷺ وهو مصدق للتوراة ومتمم لها **﴿وآتينـٰه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التورٰة وهدى وموعظة للمتقين﴾**[2]، **﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾**[3].

جـ ـ الزبور الذي آتاه الله تعالى داود ﷺ.

د ـ صحف إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام.

هـ ـ القرآن العظيم الذي أنزله الله على نبيه محمد خاتم النبيين **﴿هدى للناس وبينـٰت من الهدى والفرقان﴾**[4]، فكان **﴿مصدقاً لما بين يديه من الكتـٰب ومهيمناً عليه﴾**[5]، فنسخ الله به جميع الكتب السابقة وتكفّل بحفظه عن عبث العابثين وزيغ المحرفين **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحـٰفظون﴾**[6]، لأنه سيبقى حجة على الخلق أجمعين إلى يوم القيامة.

أما الكتب السابقة فإنها موقتة بأمد ينتهي بنزول ما ينسخها ويبين ما حصل فيها من تحريف وتغيير. ولهذا لم تكن معصومة منه فقد وقع فيها التحريف والزيادة والنقص.

﴿ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾[7].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٨.
(٦) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٧) سورة النساء، الآية: ٤٦.

﴿فويل للذين يكتبون الكتـٰب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتـروا به ثمنـاً قليـلاً فـويـلٌ لهم ممـا كتبت أيـديهم وويـلٌ لهم ممـا يكسبون﴾[1].

﴿قـل من أنزل الكتـٰب الـذي جاء بـه موسى نـوراً وهدى للنـاس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً﴾[2].

﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتـٰب لتحسبوه من الكتـٰب وما هو من الكتـٰب ويقولون هو من عند الله وما هـو من عند الله ويقـولون على الله الكذب وهم يعلمون (٧٨) مـا كان لبشـر أن يؤتيه الله الكتـٰب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾[3].

﴿يـٰأهل الكتـٰب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتـٰب﴾[4]، إلى قوله: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾[5].

فصل

ونؤمن بأن الله تعالى بعث إلى خلقه رسلاً ﴿مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾[6].

ونؤمن بأن أولهم نوح وآخرهم محمد ﷺ أجمعين ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾[7]، ﴿ما كان محمد أبا أحـد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾[8].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٩.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٨.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١٥.
(٥) سورة المائدة، الآية: ١٧ أو ٧٢.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٦٥.
(٧) سورة النساء، الآية: ١٦٣.
(٨) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

وإن أفضلهم محمد ثم إبراهيم ثم موسى ثم نوح وعيسى بن مريم، وهم المخصوصون في قوله تعالى: **﴿وإذ أخذنا من النبيّن ميثقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثقاً غليظاً﴾**(١).

ونعتقد أن شريعة محمد ﷺ حاوية لفضائل شرائع هؤلاء الرسل المخصوصين بالفضل لقوله تعالى: **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾**(٢).

ونؤمن بأن جميع الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء. قال الله تعالى عن نوح وهو أولهم: **﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك﴾**(٣)، وأمر الله تعالى محمداً وهو آخرهم أن يقول: **﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا «أقول إني ملك﴾**(٤)، وأن يقول: **﴿لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله﴾**(٤)، وأن يقول: **﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً (٢١) قل إني لن يجيرني من الله أحدٌ ولن أجد من دونه ملتحداً﴾**(٥).

ونؤمن بأنهم عبيد من عباد الله أكرمهم الله تعالى بالرسالة، ووصفهم بالعبودية في أعلى مقاماتهم وفي سياق الثناء عليهم، فقال في أولهم نوح: **﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾**(١)، وقال في آخرهم محمد ﷺ: **﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعلمين**

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧.
(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣.
(٣) سورة هود، الآية: ٣١.
(٤) سورة هود، الآية: ٣١.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.
(٦) سورة الجن، الآية: ٢١.
(٧) سورة الشورى، الآية: ٣.

نـذيراً﴾[1]، وقـال في رسل آخـرين: ﴿واذكـر عبـٰدنـا إبـرٰهيم وإسحـٰق ويعقوب أُولى الأيدي والأبصـٰر﴾[2]، ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد ـ إنه ـ أواب)[3]، ﴿ووهبنـا لداود سليمـٰن نعم العبـد انه أواب﴾[4]، وقـال في عيسى بن مـريم ﴿إن هـو إلا عبـد أنعمنـا عليـه وجعلنـٰه مثـلاً لبني إسراءيل﴾[5].

ونؤمن بأن الله تعالى ختم الرسالات برسالة محمد ﷺ وأرسله إلى جميع الناس لقوله تعالى: ﴿قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إلـٰه إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلمـٰته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾[6].

ونؤمن بأن شريعتـه ﷺ هي دين الإسلام الـذي ارتضاه الله تعـالى لعباده، وأن الله تعالى لا يقبل من أحد ديناً سواه لقوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلـٰم﴾[7]، وقوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلـٰم ديناً﴾[8]، وقوله: ﴿ومن يبتغ غير الإسلـٰم ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخـٰسرين﴾[9].

ونرى أن من زعم اليوم ديناً قائماً مقبولاً عند الله سوى دين الإسلام، من دين اليهودية أو النصرانية أو غيرهما، فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتداً، لأنه مكذب للقرآن.

ونرى أن من كفر بـرسالـة محمد ﷺ إلى النـاس جميعاً فقـد كفر

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ١.
(٢) سورة صٓ، الآية: ٤٥.
(٣) سورة صٓ، الآية: ٣٠.
(٤) سورة صٓ، الآية: ٣٠.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٥٩.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٨) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٩) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

بجميع الرسل، حتى برسوله الذي يزعم أنه مؤمن به متبع له، لقوله تعالى: **﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾**[1]، فجعلهم مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يسبق نوحاً رسول. وقال تعالى: **﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا (٥٠) أولئك هم الكـٰفرون حقاً وأعتدنا للكـٰفرين عذاباً مهيناً﴾**[2].

ونؤمن بأنه لا نبي بعد محمد رسول الله ﷺ ومن ادعى النبوة بعده أو صدق من ادعاها فهو كافر لأنّه مكذب لله ورسوله وإجماع المسلمين.

ونؤمن بأن للنبي ﷺ خلفاء راشدين خلفوه في أمته علماً ودعوة وولاية على المؤمنين، وبأن أفضلهم وأحقهم بالخلافة أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

وهكذا كانوا في الخلافة قدراً كما كانوا في الفضيلة. وما كان الله تعالى وله الحكمة البالغة ـ ليولي على خير القرون رجلاً وفيهم من هو خير منه وأجدر بالخلافة.

ونؤمن بأن المفضول من هؤلاء قد يتميز بخصيصة يفوق فيها من هو أفضل منه، لكنه لا يستحق بها الفضل المطلق على من فضله، لأن موجبات الفضل كثيرة متنوعة.

ونؤمن بأن هذه الأمة خير الأمم وأكرمها على الله عز وجل، لقوله تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**[3].

ونؤمن بأن خير هذه الأمة الصحابة ثم التابعون ثم تابعوهم.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٠٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

وبأنّه لا تزال طائفة من هذه الأُمة على الحق ظاهرين، لا يضرّهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمرُ الله عز وجل.

ونعتقد أن ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم من الفتن، فقد صدر عن تأويل اجتهدوا فيه. فمن كان منهم مصيباً كان له أجران، ومن كان منهم مخطئاً فله أجر واحد وخطؤه مغفور له.

ونرى أنّه يجب أن نكف عن مساوئهم، فلا نذكرهم إلاّ بما يستحقونه من الثناء الجميل. وأن نطهّر قلوبنا من الغل والحقد على أحد منهم، لقوله تعالى فيهم: ﴿**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقـٰتل أُولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقـٰتلوا وكُلا وعد الله الحسنى**﴾[1]، وقوله الله تعالى فينا: ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمـٰن ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**﴾[2].

فصل

ونؤمن باليوم الآخر، وهو يوم القيامة الذي لا يوم بعده، حين يبعث الناس أحياء للبقاء إمّا في دار النعيم وإمّا في دار العذاب الأليم.

فنؤمن بالبعث وهو إحياء الله تعالى الموتى حين ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية ﴿**ونفخ في الصور فصعق من في السمٰوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أُخرى فإذا هم قيام ينظرون**﴾[3]. فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، حفاة بلا نعال، عراة بلا ثياب، غرلاً بلا ختان ﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فـٰعلين**﴾[4].

ونؤمن بصحائف الأعمال تعطي باليمين أو من وراء الظهور بالشمال

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠.
(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٨.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

﴿فأما من أُوتي كتٰبه بيمينه (٧) فسوف يحاسب حساباً يسيراً (٨) وينقلب إلى أهله مسروراً (٩) وأما من أُوتي كتٰبه وراء ظهره (١٠) فسوف يدعوا ثبوراً (١١) ويصلىٰ سعيراً﴾[1]، **﴿وكل إنسٰن ألزمنٰه طٰئره في عنقه ونخرج له يوم القيٰمة كتٰباً يلقٰه منشوراً (١٣) اقرأ كتٰبك كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾**[2].

ونؤمن بالموازين توضع يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره (٧) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾**[3]، **﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (١٠٢) ومن خفت موازينه فأُولٰئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خٰلدون (١٠٣) تلفح وجوههم النار وهم فيها كٰلحون﴾**[4]، **﴿ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾**[5].

ونؤمن بالشفاعة العظمى لرسول الله ﷺ خاصة، يشفع عند الله تعالى بإذنه ليقضي بين عباده، حين يصيبهم من الهمِّ والكرب ما لا يُطيقون فيذهبون إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى حتى تنتهي إلى رسول الله ﷺ.

ونؤمن بالشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين أن يخرجوا منها، وهي للنبي ﷺ وغيره من النبيين والمؤمنين والملائكة.

وبأن الله تعالى يُخرج من النار أقواماً من المؤمنين بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته.

ونؤمن بحوض رسول الله ﷺ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك، طوله شهر وعرضه شهر وآنيته كنجوم

---

(١) سورة الإنشقاق، الآية من ٧ إلى ١٢.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٣.
(٣) سورة الزلزلة، الآيات: ٧ ـ ٨.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٢.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

السماء حسناً وكثرةً، يرده المؤمنون من أُمّته من شرب منه لم يظمأ بعد ذلك.

ونؤمن بالصراط المنصوب على جهنم، يمرُّ الناس عليه على قدر أعمالهم، فيمر أولهم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرحال، والنبي ﷺ قائم على الصراط يقول يا رب سلّم سلّم. حتى تعجز أعمال العباد، فيأتي من يزحف وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة، تأخذ من أُمِرَتْ بِهِ فمخدوش ناجٍ ومكردس في النار.

ونؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أخبار ذلك اليوم وأهواله؛ أعاننا الله عليها.

ونؤمن بشفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها. وهي للنبي ﷺ خاصة.

ونؤمن بالجنّة والنار، فالجنّة دار النعيم التي أعدّها الله تعالى للمؤمنين المتقين، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿**فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**﴾[1].

والنار دار العذاب التي أعدَّها الله تعالى للكافرين الظالمين، فيها من العذاب والنكال ما لا يخطر على البال ﴿**إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً**﴾[2].

وهما موجودتان الآن ولن تفنيا أبد الآبدين ﴿**ومن يؤمن بالله ويعمل صلحاً يدخله جنت تجري من تحتها الأنهار خلدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقاً**﴾[3].

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ١١.

﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً (٦٤) خـلدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيرا (٦٥) يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يـليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾[١].

ونشهد بالجنّة لكل من شهد له الكتاب والسنة بالعين أو بالوصف.

فمن الشهادة بالعين الشهادة لأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، ونحوهم ممن عيّنهم النبي ﷺ.

ومن الشهادة بالوصف الشهادة لكل مؤمن أو تقي.

ونشهد بالنار لكل من شهد له الكتاب والسنة بالعين أو بالوصف.

فمن الشهادة بالعين الشهادة لأبي لهب وعمرو بن لحي الخزاعي ونحوهما.

ومن الشهادة بالوصف الشهادة لكل كافرٍ أو مشركٍ شركاً أكبر أو منافق.

ونؤمن بفتنة القبر، وهي سؤال الميت في قبره عن ربِّه ودينه ونبيه فـ **﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيـوة الدنيا وفي الآخرة﴾**[٢]، فيقول المؤمن: ربي الله وديني الإسلام ونبيّ محمد. وأمّا الكافر والمنافق فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

ونؤمن بنعيم القبر للمؤمنين **﴿الذين نتوفـهم الملـئكة طيبين يقولون سلـم عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾**[٣].

ونؤمن بعذاب القبر للظالمين الكافرين **﴿ولو ترىٰ إذ الظـلمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون**

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٢.

عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾[1].

والأحاديث في هذا كثيرة معلومة، فعلى المؤمن أن يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسُّنَّة من هذه الأمور الغيبية، وأن لا يعارضها بما يشاهد في الدنيا، فإن أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا لظهور الفرق الكبير بينهما. والله المستعان.

فصل

ونؤمن بالقدر خيره وشره، وهو تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته.

وللقدر أربع مراتب:

المرتبة الأولى: العلم، فنؤمن بأن الله تعالى بكل شيء عليم، علم ما كان وما يكون وكيف يكون بعلمه الأزلي الأبدي، فلا يتجدد له علم بعد جهل ولا يلحقه نسيان بعد علم.

المرتبة الثانية: الكتابة، فنؤمن بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة: **﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾**[1].

المرتبة الثالثة: المشيئة، فنؤمن بأن الله تعالى قد شاء كل ما في السموات والأرض، لا يكون شيء إلّا بمشيئته. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: الخلق، فنؤمن بأن الله تعالى **﴿خلق كل شيءٍ وهو على كل شيء وكيل (٦٢) له مقاليد السموات والأرض﴾**[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٠.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

وهذه المراتب الأربع شاملة لما يكون من الله تعالى نفسه ولما يكون من العباد، فكل ما يقوم به العباد من أقوال أو أفعال أو تروك فهي معلومة لله تعالى مكتوبة عنده والله تعالى قد شاءها وخلقها **﴿لمن شاء منكم أن يستقيم (٢٨) وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العـٰلمين﴾**[١]، **﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾**[٢]، **﴿ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾**[٣]، **﴿والله خلقكم وما تعملون﴾**[٤].

ولكننا مع ذلك نؤمن بأن الله تعالى جعل للعبد اختياراً وقدرة بهما يكون الفعل.

والدليل على أن فعل العبد باختياره وقدرته أمور:

الأول: قوله تعالى: **﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾** وقوله: **﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة﴾**[٥] فأثبت للعبد إتياناً بمشيئته وإعداداً بإرادته.

الثاني: توجيه الأمر والنهي إلى العبد، ولو لم يكن له اختيار وقدرة لكان توجيه ذلك إليه من التكليف بما لا يطاق، وهو أمر تأباه حكمة الله تعالى ورحمته وخبره الصادق في قوله: **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾**[٦].

الثالث: مدح المحسن على إحسانه وذم المسيء على إساءته، وإثابة كل منهما بما يستحق.

ولولا أن الفعل يقع بإرادة العبد واختياره لكان مدح المحسن عبثاً وعقوبة المسيء ظلماً، والله تعالى منزّه عن العبث والظلم.

---

(١) سورة التكوير، الآيات: ٢٨ ـ ٢٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٣٧.
(٤) سورة الصافات، الآية: ٩٦.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٤٦.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

الرابع: أن الله تعالى أرسل الرسل: **﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾**[1].

ولولا أن فعل العبد يقع بإرادته واختياره، ما بطلت حجتّه بإرسال الرسل.

الخامس: أن كل فاعل يحسُّ أنّه يفعل الشيء أو يتركه بدون أي شعور بإكراه، فهو يقوم ويقعد ويدخل ويخرج ويسافر ويقيم بمحض إرادته، ولا يشعر بأن أحداً يكرهه على ذلك، بل يفرّق تفريقاً واقعياً بين أن يفعل الشيء باختياره وبين أن يكرهه عليه مكره. وكذلك فرّق الشرع بينهما تفريقاً حكمياً، فلم يؤاخذ الفاعل بما فعله مكرهاً عليه فيما يتعلق بحق الله تعالى.

ونرى أنه لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله تعالى، لأن العاصي يقدم على المعصية باختياره، من غير أن يعلم أن الله تعالى قدّرها عليه، إذ لا يعلم أحد قدر الله تعالى إلاّ بعد وقوع مقدوره **﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا﴾**[2] فكيف يصح الاحتجاج بحجة لا يعلمها المحتجّ بها حين إقدامه على ما اعتذر بها عنه. وقد أبطل الله تعالى هذه الحجة بقوله:

﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا ءاباؤنا ولا حرمنا من شيءٍ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾[3].

ونقول للعاصي المحتج بالقدر: لماذا لم تقدم على الطاعة مقدراً أنّ الله تعالى قد كتبها لك، فإنه لا فرق بينها وبين المعصية في الجهل بالمقدور قبل صدور الفعل منك. ولهذا لمّا أخبر النبي ﷺ الصحابة بأن كل واحد قد كُتِبَ مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا: أفلا نتكل وندع

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

العمل. قال: لا، اعملوا فكل ميسرّ لما خلق له.

ونقول للعاصي المحتجّ بالقدر: لو كنت تريد السفر لمكة وكان لها طريقان، أخبرك الصادق أن أحدهما مخوف صعب والثاني آمن سهل، فإنك ستسلك الثاني. ولا يمكن أن تسلك الأول وتقول إنه مقدر عليَّ؛ ولو فعلت لعدَّك الناس في قسم المجانين.

ونقول له أيضاً لو عرض عليك وظيفتان إحداهما ذات مرتب أكثر، فإنك سوف تعمل فيها دون الناقصة. فكيف تختار لنفسك في عمل الآخرة ما هو الأدنى ثم تحتجّ بالقدر؟

ونقول له أيضاً: نراك إذا أصبت بمرض جسمي طرقت باب كل طبيب لعلاجك، وصبرت على ما ينالك من ألم عملية الجراحة وعلى مرارة الدواء. فلماذا لا تفعل مثل ذلك في مرض قلبك بالمعاصي؟

ونؤمن بأنّ الشر لا ينسب إلى الله تعالى لكمال رحمته وحكمته، قال النبي ﷺ:

«والشر ليس إليك» رواه مسلم. فنفس قضاء الله تعالى ليس فيه شر أبداً، لأنّه صادر عن رحمة وحكمة.

وإنّما يكون الشرُّ في مقتضياته، لقول النبي ﷺ في دعاء القنوت الذي علّمه الحسن: «وقني شر ما قضيت». فأضاف الشر إلى ما قضاه. ومع هذا فإنّ الشر في المقضيات ليس شراً خالصاً محضاً، بل هو شر في محله من وجه، خير من وجه. أو شر في محله، خير في محل آخر.

فالفساد في الأرض من الجدب والمرض والفقر والخوف شر، لكنه خير في محل آخر. قال الله تعالى:

﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾[1].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤١.

وقطع يد السارق ورجم الزاني شر بالنسبة للسارق والزاني في قطع اليد وإزهاق النفس. لكنه خير لهما من وجه آخر، حيث يكون كفارة لهما فلا يجمع لهما بين عقوبتي الدنيا والآخرة. وهو أيضاً خير في محل آخر، حيث إن فيه حماية الأموال والأعراض والأنساب.

فصل

هذه العقيدة السامية المتضمنة لهذه الأصول العظيمة تثمر لمعتقدها ثمرات جليلة كثيرة.

فالإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته يثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره واجتناب نهيه، والقيام بأمر الله تعالى واجتناب نهيه يحصل بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع **﴿من عمل صـٰلحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيـٰوة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**[1].

ومن ثمرات الإيمان بالملائكة:

أولاً ـ العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالى وقوته وسلطانه.

ثانياً ـ شكره تعالى على عنايته بعباده، حيث وكّل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم.

ثالثاً ـ محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل واستغفارهم للمؤمنين.

ومن ثمرات الإيمان بالكتب؛

أولاً ـ العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

ثانياً ـ ظهور حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أُمةٍ

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

ما يناسبها. وكان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم، مناسباً لجميع الخلق في كل عصر ومكان إلى يوم القيامة.

ثالثاً - شكر نعمة الله تعالى على ذلك.

ومن ثمرات الإيمان بالرسل؛

أولاً - العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.

ثانياً - شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

ثالثاً - محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة عبيده، قاموا لله بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده والصبر على أذاهم.

ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

أولاً - الحرص على طاعة الله تعالى رغبة في ثواب ذلك اليوم. والبعد عن معصيته خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

ثانياً - تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

ومن ثمرات الإيمان بالقدر:

أولاً - الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب، لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره.

ثانياً - راحة النفس وطمأنينة القلب، لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة، ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشاً وأريح نفساً وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

ثالثاً - طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، لأن حصول ذلك

نعمة من الله بما قدّره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك ويدع الإعجاب.

رابعاً - طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه، لأن ذلك بقضاء الله تعالى الذي له ملك السمٰوات والأرض وهو كائن لا محالة، فيصبر على ذلك ويحتسب الأجر.

وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله: **﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير (٢٢) لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾**[1].

فنسأل الله تعالى أن يثبِّتنا على هذه العقيدة، وأن يحقق لنا ثمراتها ويزيدنا من فضله، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا؛ وأن يهب لنا منه رحمة، إنه هو الوهاب والحمد لله رب العالمين.

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

تمت

بقلم مؤلفها
محمد الصالح العثيمين
في ٣٠ شوال سنة ١٤٠٤ هـ

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

حقوق

دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعد: فإن من محاسن شريعة الله تعالى مراعاة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه من غير غلوٍ ولا تقصير.. فقد أمر الله بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى. وبالعدل بُعِثَتِ الرسل وأنزلتِ الكتب وقامت أمور الدنيا والآخرة.

والعدل إعطاء كل ذي حق حقه وتنزيل كل ذي منزلة منزلته ولا يتم ذلك إلا بمعرفة الحقوق حتى تُعطَى أهلها ومن ثم حررنا هذه الكلمة في بيان المهم من تلك الحقوق ليقوم العبد بما علم منها بقدر المستطاع ويتلخص ذلك فيما يأتي:

١ ـ حقوق الله تعالى.

٢ ـ حقوق النبي ﷺ.

٣ ـ حقوق الوالدين.

٤ ـ حقوق الأولاد.

٥ ـ حقوق الأقارب.

٦ ـ حقوق الزوجين.

٧ ـ حقوق الولاة والرعية.

٨ ـ حقوق الجيرن.

٩ ـ حقوق المسلمين عموماً.

١٠ ـ حقوق غير المسلمين.

هذه هي الحقوق التي نريد أن نتناولها بالبحث على وجه الاختصار.

الحق الأول
حق الله تعالى

هذا الحق أحق الحقوق وأوجبها وأعظمها لأنه حق الله تعالى الخالق العظيم المالك المدبر لجميع الأمور، حق الملك الحق المبين الحي القيوم الذي قامت به السموات والأرض خلق كل شيء فقدره تقديراً بحكمة بالغة، حق الله الذي أوجدك من العدم ولم تكن شيئاً مذكوراً. حق الله الذي رباك بالنعم وأنت في بطن أمك في ظلمات ثلاث لا يستطيع أحد من المخلوقين أن يوصل إليك غذاءك ومقومات نموك وحياتك، أدرّ لك الثديين وهداك النجدين وسخر لك الأبوين، أمدك وأعدك.. أمدك بالنعم والعقل والفهم وأعدك لقبول ذلك والإنتفاع به **﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾**، فلو حجب عنك فضله طرفة عين لهلكت ولو منعك رحمته لحظة لما عشت، فإذا كان هذا فضل الله عليك ورحمته. بك فإن حقه عليك أعظم الحقوق لأنه حق إيجادك وإعدادك وإمدادك، إنه لا يريد منك رزقاً ولا إطعاماً **﴿لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾**، وإنما يريد منك شيئاً واحداً مصلحته عائدة إليك يريد منك أن تعبده وحده لا شريك له **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾**، يريد منك أن تكون عبداً له بكل معاني العبودية. كما أنه هو ربك بكل معاني الربوبية. عبداً متذللاً له خاضعاً له ممتثلاً لأمره مجتنباً لنهيه مصدقاً بخبره لأنك ترى نعمه عليك سابغة تِترى، أفلا تستحي أن تبدل هذه النعم كفراً.

لو كان لأحد من الناس عليك فضل لاستحييت أن تبارزه بالمعصية وتجاهره بالمخالفة فكيف بربك الذي كل فضل عليك فهو من فضله وكل ما يندفع عنك من سوء فمن رحمته **﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسّكم الضر فإليه تجأرون﴾**.

وإن هذا الحق الذي أوجبه الله لنفسه ليسير سهل على من يسر الله له. ذلك بأن الله لم يجعل فيه حَرجاً ولا ضيقاً ولا مشقة.. قال الله تعالى: **﴿وجاهدوا في الله حقَ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حَرجٍ ملة أبيكم إبراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل. وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداءَ على النّاس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾**.

إنه عقيدة مثلى وإيمان بالحق وعمل صالح مثمر، عقيدة قوامها المحبة والتعظيم وثمرتها الإخلاص والمثابرة، خمس صلوات في اليوم والليلة يكفر الله بهن الخطايا ويرفع بهن الدرجات ويصلح بهن القلوب والأحوال يأتي بهن العبد بحسب استطاعته: **﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾**.

قال النبي ﷺ لعمران بن حصين وكان عمران مريضاً: «صلِّ قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب».

زكاة وهي جزء يسير من مالك تدفع في حاجة المسلمين للفقراء والمساكين وابن السبيل والغارمين وغيرهم من أهل الزكاة.

صيام شهر واحد في السنة ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ومن لم يستطع الصيام لعجز دائم يطعم مسكيناً عن كل يوم.

حج البيت الحرام مرة واحدة في العمر للمستطيع.. هذه هي أصول حق الله وما عداها فإنما يجب لعارض كالجهاد في سبيل الله أو لأسباب توجبه كنصر المظلوم.

انظر يا أخي هذا الحق اليسير عملاً، الكثير أجراً إذا قمت فيه كنت سعيداً في الدنيا والآخرة ونجوت من النار ودخلت الجنة **﴿فمن زحزح عن النّار وأُدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاعُ الغُرور﴾**.

الحق الثاني
حق رسول الله ﷺ

وهذا الحق هو أعظم حقوق المخلوقين فلا حق لمخلوق أعظم من حق رسول الله ﷺ قال الله تعالى: **﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه﴾**[1]، ولذلك يجب تقديم محبة النبي ﷺ على محبة جميع الناس حتى على النفس والولد والوالد. قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

ومن حقوق النبي ﷺ توقيره واحترامه وتعظيمه التعظيم اللائق به من غير غلوٍ ولا تقصيرٍ، فتوقيره في حياته توقير سنته، وشخصه الكريم، وتوقيره بعد مماته توقير سنته وشرعه القويم، ومن رأى توقير الصحابة وتعظيمهم للرسول ﷺ عرف كيف قام هؤلاء الأجلاء الفضلاء بما يجب عليهم لرسول الله ﷺ قال عروة بن مسعود لقريش حينما أرسلوه ليفاوض النبي ﷺ في الصلح في قصة الحديبية قال: دخلت على الملوك كسرى وقيصر والنجاشي فلم أرَ أحداً يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحابُ محمدٍ ومحمداً كان إذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له. هكذا كانوا يعظمونه رضي الله عنهم مع ما جَبَله الله عليه من الأخلاق الكريمة ولين الجانب وسهولة النفس ولو كان فظاً غليظاً لانفضوا من حوله.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٨، ٩.

وإن من حقوق النبي ﷺ تصديقه فيما أخبر به من الأمور الماضية والمستقبلة وامتثال ما به أمر، واجتناب ما عنه نَهَى وزجر والإيمان بأنّ هديه أكملَ الهدى وشريعته أكملَ الشرائع وأن لا يقدم عليها تشريع أو نظام مهما كان مصدره **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحَكِّمُوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾**، **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾**.

ومن حقوق النبي ﷺ الدفاع عن شريعته وهديه بما يستطيع الإنسان من قوة بحسب ما تتطلبه الحال من السلاح، فإذا كان العدو يهاجم بالحُجج والشُبه فمدافعته بالعلم ودحض حُججه وشبهه وبيان فسادها وإن كان يهاجم بالسلاح والمدافع فمدافعته بمثل ذلك.

ولا يمكن لأي مؤمن أن يسمع من يهاجم شريعة النبي ﷺ أو شخصه الكريم ويسكت على ذلك مع قدرته على الدفاع.

الحق الثالث
حقوق الوالدين

لا ينكر أحد فضل الوالدين على أولادهما فالوالدان سبب وجود الولد ولهما عليه حق كبير فقد ربيه صغيراً وتَعِبا من أجل راحته وسَهِرا من أجل منامه. تحملك أمك في بطنها وتعيش على حساب غذائها وصحتها لمدة تسعة شهور غالباً، كما أشار الله إلى ذلك في قوله: **﴿حملته أمه وهناً على وهن﴾**، ثم بعد ذلك حضانة ورضاع لمدة سنتين مع التعب والعناء والصعوبة.. والأب كذلك يسعى لعيشك وقوتك من حين الصغر حتى تبلغ أن تقوم بنفسك ويسعى بتربيتك وتوجيهك وأنت لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعاً، ولذلك أمر الله الولد بوالديه إحساناً وشكراً. فقال تعالى: **﴿ووصيّنا الإنسان بوالديه حملته أُمُّه وهناً على وهن وفِصَالُه في عامين أنِ اشُكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾**. وقال تعالى: **﴿وبالوالدين إحساناً إما يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جَناحَ الذل من الرحمةِ وقل ربِ ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾**.

إنَّ حق الوالدين عليك أن تبرهما وذلك بالإحسان إليهما قولاً وفعلاً بالمال والبَدن، تمتثل أمرهما في غير معصية الله وفي غير ما فيه ضرر عليك، تليّن لهما القول وتبسط لهما الوجه وتقوم بخدمتهما على الوجه اللائق بهما ولا تتضجر منهما عند الكبر والمرض والضعف ولا تستثقل ذلك منهما فإنك سوف تكون بمنزلتهما، سوف تكون أباً كما كانا أبوين، وسوف تبلغ الكبر عند أولادك إن قُدِّر لك البقاء كما بلغاه عندك وسوف تحتاج إلى

بر أولادك كما احتاجا إلى برك، فإن كنت قد قمت ببرهما فأبشر بالأجر الجزيل والمجازاة بالمثل فمن برّ والديه برّ به أولاده، ومن عقّ والديه عقّ به أولاده والجزاء من جنس العمل فكما تدين تدان. ولقد جعل الله مرتبة حق الوالدين مرتبة كبيرة عالية حيث جعل حقهما بعد حقه المتضمن لحقه وحق رسوله. فقال تعالى: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا﴾**، وقال تعالى: **﴿أنِ اشكر لي ولوالديك﴾**. وقدّم النبي ﷺ بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها قلت ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله». رواه البخاري ومسلم.. وهذا يدل على أهمية حق الوالدين الذي أضاعه كثير من الناس صاروا إلى العقوق والقطيعة فترى الواحد منهم لا يرى لأبيه ولا لأمه حقاً، وربما احتقرهما وازدراهما وترفع عليهما وسيلقى مثل هذا جزاءه العاجل أو الآجل.

الحق الرابع
حق الأولاد

الأولاد تشمل البنين والبنات وحقوق الأولاد كثيرة من أهمها التربية وهي تنمية الدين والأخلاق في نفوسهم حتى يكونوا على جانب كبير من ذلك. قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾، وقال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، والرجل داعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته»، فالأولاد أمانة في عنق الوالدين وهما مسؤولان عنهم يوم القيامة وبتربيتهم التربية الدينية والأخلاقية يخرج الوالدان من تبعه هذه الرعية ويصلح الأولاد فيكونون قرةَ عينِ الأبوين في الدنيا والآخرة يقول الله تعالى: ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم** (أي نقصناهم) **من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين**﴾، ويقول النبي ﷺ: «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به من بعده أو ولد صالح يدعو له». فهذه من ثمرة تأديب الولد إذا تربى تربية صالحة أن يكون نافعاً لوالديه حتى بعد الممات.

ولقد استهان كثير من الوالدين بهذا الحق فأضاعوا أولادهم ونسوهم كأن لا مسئولية لهم عليهم لا يسألون أين ذهبوا ولا متى جاءوا ولا مَن أصدقاؤهم وأصحابهم ولا يوجهونهم إلى خير ولا ينهونهم عن شر.

ومن العجب أن هؤلاء حريصون كل الحرص على أموالهم بحفظها وتنميتها والسهر على ما يصلحها مع أنهم ينمون هذا المال ويصلحون

لغيرهم غالباً، أما الأولاد فليسوا منهم في شيء مع أن المحافظة عليهم أولى وأنفع في الدنيا والآخرة. وكما أن الوالد يجب عليه تغذية جسم الولد بالطعام والشراب وكسوة بدنه باللباس كذلك يجب عليه أن يغذي قلبه بالعلم والإيمان ويكسو روحه بلباس التقوى فذلك خير.

من حقوق الأولاد أن ينفق عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تقصير لأن ذلك من واجب أولاده عليه ومن شكر نعمة الله عليه بما أعطاه من المال وكيف يمنعهم المال في حياته ويبخل عليهم به ليجمعه لهم فيأخذونه قهراً بعد مماته؟ حتى لو بخل عليهم بما يجب فلهم أن يأخذوا من ماله ما يكفيهم بالمعروف كما أفتى بذلك رسول الله ﷺ هند بنت عتبة.

ومن حقوق الأولاد أن لا يفضل أحداً منهم على أحد في العطايا والهبات فلا يعطي بعض أولاده شيئاً ويحرم الآخر فإن ذلك من الجور والظلم. والله لا يحب الظالمين ولأن ذلك يؤدي إلى تنفير المحرومين وحدوث العداوة بينهم وبين الموهوبين بل ربما تكون العداوة بين المحرومين وبين آبائهم. وبعض الناس يمتاز أحد من أولاده على الآخرين بالبر والعطف على والديه فيخصه والده بالهبة والعطية من أجل ما امتاز به من البر ولكن هذا غير مبرر للتخصيص فالمتميز بالبر لا يجوز أن يعطى عِوضاً عن بره لأن أجر بره على الله ولأن تمييز البار بالعطية يوجب أن يعجب ببره ويرى له فضلاً وأن ينفر الآخر ويستمر في عقوقه ثم إننا لا ندري فقد تتغير الأحوال فينقلب البار عاقاً والعاق باراً لأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء.

وفي الصحيحين صحيح البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير أن أباه بشير بن سعد وَهَبَه غلاماً فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال النبي ﷺ: «أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ قال: لا. قال: فأرجعه، وفي رواية قال: اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم. وفي لفظ: أشهد على هذا غيري فإني لا أشهد على جور». فسمى رسول الله ﷺ تفضيل بعض الأولاد على بعض جوراً، والجور ظلم وحرام.

لكن لو أعطى بعضهم شيئاً يحتاجه والثاني لا يحتاجه مثل أن يحتاج أحد الأولاد إلى أدوات مكتبية أو علاج أو زواج فلا بأس أن يخصه بما يحتاج إليه لأن هذا تخصيص من أجل الحاجة فيكون كالنفقة.

ومتى قام الوالد بما يجب عليه للولد من التربية والنفقة فإنه حري أن يوفق الولد للقيام ببر والده ومراعاة الحقوق ومتى فرق الوالد بما يجب عليه من ذلك كان جديراً بالعقوبة بأن ينكر الولد حقه ويبتلي بعقوقه جزاء وفاقاً وكما تدين تدان.

الحق الخامس
حقوق الأقارب

للقريب الذي يتصل بك في القرابة كالأخ والعم والخال وأولادهم وكل من ينتمي إليك بصلة فله حق هذه القرابة بحسب قربه قال الله تعالى: **﴿وآتِ ذا القربى حقه﴾** وقال: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذي القربى﴾**، فيجب على كل قريب أن يصل قريبه بالمعروف ببذل الجاه والنفع البدني والنفع المالي بحسب ما تتطلبه قوة القرابة والحاجة وهذا ما يقتضيه الشرع والعقل والفطرة.

وقد كثرت النصوص في الحث على صلة الرحم وهو القريب، والترغيب في ذلك ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال الله نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت: بلى. قال: فذلك لك. ثم قال رسول الله ﷺ اقرؤا إن شئتم: **﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾**. وقال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه».

وكثير من الناس مضيعون لهذا الحق مفرطون فيه تجد الواحد منهم لا يعرف قرابته بصلة لا بالمال ولا بالجاه ولا بالخلق تمضي الأيام والشهور ما رآهم ولا قام بزيارتهم ولا تودد إليهم بهدية ولا دفع عنهم ضرورة أو حاجة بل ربما أساء إليهم بالقول أو بالفعل أو بالقول والفعل جميعاً يصل البعيد ويقطع القريب.

ومن الناس من يصل أقاربه إن وصلوه ويقطعهم إذا قطعوه وهذا ليس بواصلٍ في الحقيقة وإنما هو مكافىء للمَعروف بمثله وهو حاصل للقريب وغيره فإن المكافأة لا تختص بالقريب. والواصل حقيقة هو الذي يصل قرابته لله ولا يبالي سواء وصلوه أم لا، كما في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصَلها». وسأله رجل فقال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ وأحلّم عنهم ويجهلون علّي فقال النبي ﷺ: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك» رواه مسلم.

لو لم يكن في صلة الرحم إلا أنّ الله يصل الواصل في الدنيا والآخرة فيمده بالرحمة وييسر له الأمور ويفرج عنه الكربات مع ما في صلة الرحمٍ من تقارب الأسرة وتوادهم وحنو بعضهم على بعض ومعاونة بعضهم بعضاً في الشدائد والسرور والبهجة الحاصلة بذلك كما هو مجرب معلوم. وكل هذه الفوائد تنعكس حينما تحل القطيعة ويحصل التباعد.

الحق السادس
حق الزوجين

للزواج آثار هامة ومقتضيات كبيرة فهو رابطة بين الزوج وزوجته يلزم كل واحد منهما بحقوق للآخر: حقوق بدنية وحقوق اجتماعية وحقوق مالية.

فيجب على الزوجين أن يعاشر كل منهما الآخر بالمعروف وأن يبذل الحق الواجب له بكل سماحة وسهولة من غير تكره لبذله ولا مماطلة. قال الله تعالى: ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾، وقال تعالى: ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة**﴾ كما يجب على المرأة أن تبذل لزوجها ما يجب عليها بذله. ومتى قام كل واحد من الزوجين بما يجب عليه للآخر كانت حياتهما سعيدة ودامت العشرة بينهما وإن كان الأمر بالعكس حصل الشقاق والنزاع وتنكدت حياة كل منهما.

ولقد جاءت النصوص الكثيرة بالوصية بالمرأة ومراعاة حالها وأنّ كمال الحال من المحال فقال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع، وإنَّ أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج. فاستوصوا بالنساء»، وفي رواية: «إن المرأة خلقت من ضلع ولن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها». وقال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر». ومعنى لا يفرك: لا يبغض. ففي هذه الأحاديث إرشاد النبي ﷺ أمته كيف يعامل الرجل

المرأة وأنه ينبغي أن يأخذ منها ما تيسر لأن طبيعتها التي منها خلقت أن لا تكون على الوجه الكامل بل لا بد فيها من عوج ولا يمكن أن يستمتع بها الرجل إلا على الطبيعة التي خلقت عليها. وفي هذه الأحاديث أنه ينبغي للإنسان أن يقارن بين المحاسن والمساوىء في المرأة فإنه إذا كـره منها خلقاً فليقارنه بالخلق الثاني الذي يرضاه منها ولا ينظر إليها بمنظار السخط والكراهة وحده.

وإن كثيراً من الأزواج يريدون الحالة الكاملة من زوجاتهم وهذا شيء غير ممكن وبذلك يقعون في النكـد ولا يتمكنون من الاستمتـاع والمتعة بزوجاتهم وربما أدى ذلك إلى الطلاق كما قـال ﷺ: «وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها»، فينبغي للزوج أن يتساهل ويتغاضى عن كل ما تفعله الزوجة إذا كان لا يخل بالدين أو الشرف.

ومن حقوق الزوجة على زوجها أن يقوم بواجب نفقتها من الطعـام والشراب والكسوة والمسكن وتوابع ذلك لقوله تعالى: ﴿**وعلى المولود لـه رزقهن وكسـوتهن بـالمعـروف**﴾، وقـال النبي ﷺ: «ولهنَّ عليكم رزقهنَّ وكسوتهن بالمعروف»، وسئل ما حق زوجة أحدنا عليه قال: «أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت» رواه أبو داود.

ومن حقوق الزوجة على زوجها أن يعدل بينها وبين جارتها إن كان له زوجة ثانية يعدل بينهما في الإنفاق والسكنى والمبيت وكل ما يمكنه العدل فيه فإن الميل إلى إحداهما كبيرة من الكبائر قال النبي ﷺ: «من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل». وأما ما لا يمكنه أن يعـدل فيه كـالمحبة وراحـة النفس فإنـه لا إثم عليه فيـه لأن هـذا بغيـر استـطاعته. قـال الله تعالى: ﴿**ولن تستـطيعوا أن تعـدلوا بين النسـاء ولو حرصتم**﴾. «وكان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك».

ولكن لو فضل إحداهما على الأخرى في المبيت برضاها فلا بأس

كما كان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومها ويوم سودة حين وهبته سودة لعائشة وكان رسول الله ﷺ يسأل وهو في مرضه الذي مات فيه أين أنا غداً. أين أنا غداً. فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات.

أما حقوق الزوج على زوجته فهي أعظم من حقوقها عليه لقوله تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ والرجل قوام على المرأة يقوم بمصالحها وتأديبها وتوجيهها كما قال تعالى: ﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾.

فمن حقوق الزوج على زوجته أن تطيعه في غير معصية الله وأن تحفظه في سره وماله فقد قال النبي ﷺ: «لو كنت آمراً أحدا أن يسجدَ لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجدَ لزوجها». وقال ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح».

ومن حقوقه عليها أن لا تعمل عملاً يضيع عليه كمال الاستمتاع حتى ولو كان ذلك تطوعاً بعبادة لقول النبي ﷺ: «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن لأحدٍ في بيته إلا بإذنه».

ولقد جعل رسول الله ﷺ رضى الزوج على زوجته من أسباب دخولها الجنة فروى الترمذي من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلتِ الجنة».

الحق السابع
حقوق الولاة والرعية

الولاة هم الذين يتولون أمور المسلمين سواء كانت الولاية عامة كالرئيس الأعلى في الدولة أم خاصة كالرئيس على إدارة معينة أو عمل معين وكل هؤلاء لهم حق يجب القيام به على رعيتهم ولرعيتهم حقٌ عليهم كذلك.

فحقوق الرعية على الولاة أن يقوموا بالأمانة التي حملهم الله إياها وألزمهم القيام بها من النصح للرعية والسير بها على النهج القويم الكفيل بمصالح الدنيا والآخرة وذلك باتباع سبيل المؤمنين وهي الطريق التي كان عليها رسول الله ﷺ فإن فيها السعادة لهم ولرعيتهم ومن تحت أيديهم وهي أبلغ شيء يكون به رضا الرعية عن رعاتهم والإرتباط بينهم والخضوع لأوامرهم وحفظ الأمانة فيما يولونه إياهم فإن من اتقى الله اتقاه الناس ومن أرضى الله كفاه الله مؤونة الناس وأرضاهم عنه لأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء.

وأما حقوق الولاة على الرعية فهي النصح لهم فيما يتولاه الإنسان من أمورهم وتذكيرهم إذا غفلوا والدعاء لهم إذا مالوا عن الحق وامتثال أمرهم في غير معصية الله لأن في ذلك قوام الأمر وانتظامه وفي مخالفتهم وعصيانهم انتشار الفوضى وفساد الأمور ولذلك أمر الله بطاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر فقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**.

وقال النبي ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره

إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» متفق عليه. وقال عبد الله بن عمر: «كنا مع النبي ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً فنادى منادي رسول الله ﷺ الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: أنه ما من نبي بعثه الله إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمور تنكرونها وتجيء فتنة يرقق بعضها بعضاً تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إمامه فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاءه آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»، رواه مسلم.

وسأل النبي ﷺ رجل فقال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا فأعرض عنهم ثم سأله مرة ثانية فقال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم».

ومن حقوق الولاة على الرعية مساعدة الرعية لولاتهم في مهماتهم بحيث يكونون عوناً لهم على تنفيذ الأمر الموكول إليهم وأن يعرف كل واحد دوره ومسئوليته في المجتمع حتى تسير الأمور على الوجه المطلوب فإن الولاة إذا لم تساعدهم الرعية على مسئولياتهم لم تأتِ على الوجه المطلوب.

الحق الثامن
حق الجيران

الجار هو القريب منك في المنزل وله حق كبير عليك فإن كان قريباً منك في النسب وهو مسلم فله ثلاث حقوق: حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وإن كان مسلماً وليس بقريب في النسب فله حقان حق الجوار وحق الإسلام وكذلك إن كان قريباً وليس بمسلم فله حقان حق الجوار وحق القرابة وإن كان بعيداً غير مسلم فله حق واحد حق الجوار. قال تعالى: **﴿وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب﴾**، وقال النبي ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». متفق عليه.

فمن حقوق الجار على جاره أن يحسن إليه بما استطاع من المال والجاه والنفع فقد قال رسول الله ﷺ: «خير الجيران عند الله خيرهم لجاره» وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره». وقال أيضاً: «إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك». ومن الإحسان إلى الجار تقديم الهدايا إليه في المناسبات فإن الهدية تجلب المودة وتزيل العداوة.

ومن حقوق الجار على جاره أن يكف عنه الأذى القولي والفعلي فقد قال رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن. قالوا: من يا رسول الله، قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه». وفي رواية: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» والبوائق الشرور، فمن لا يأمن جاره شره فليس بمؤمن ولا يدخل الجنة.

وكثير من الناس الآن لا يهتمون بحق الجوار ولا يأمن جيرانهم من شرورهم فتراهم دائماً في نزاع معهم وشاق واعتداء على الحقوق وإيذاء بالقول أو بالفعل وكل هذا مخالف لما أمر الله ورسولـه وموجب لتفكـك المسلمين وتباعد قلوبهم وإسقاط بعضهم حرمة بعض.

الحق التاسع
حقوق المسلمين عموماً

وهذه الحقوق كثيرة جداً فمنها ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ست إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصحه وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه». ففي هذا الحديث بيان عدة حقوق بين المسلمين.

الحق الأول: السلام، فالسلام سنة مؤكدة وهو من أسباب تآلف المسلمين وتوادهم كما هو مشاهد وكما يدل عليه قول النبي ﷺ: «والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم». وكان رسول الله ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام ويسلم على الصبيان إذا مر بهم.

والسنة أن يسلم الصغير على الكبير والقليل على الكثير والراكب على الماشي ولكن إذا لم يقم بالسنة من هو أولى بها فليقم بها الآخر لئلا يضيع السلام فإذا لم يسلم الصغير فليسلم الكبير وإذا لم يسلم القليل فليسلم الكثير ليحوز الأجر.

قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: (ثلاثٌ من جمعهن فقد استكمل الإيمان: الإنصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والإنفاق من الإقتار» وإذا كان بدء السلام سنة فإن رده فرض كفاية إذا قام به من يكفي أجزأ عن الباقين. فإذا سلم على جماعة فرد واحد منهم أجزأ عن الباقين. قال الله تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ فلا يكفي في رد

السلام أن يقول: أهلاً وسهلاً فقط لأنها ليست أحسن منه ولا مثله؛ فإذا قال السلام عليكم. فليقل: وعليكم السلام. وإذا قال أهلاً فليقل أهلاً مثلاً بمثل، وإن زاد تحية فهو أفضل.

الحق الثاني: إذا دعاك فأجبه، أي إذا دعاك إلى منزله لتناول طعام أو غيره فأجبه، والإجابة إلى الدعوة سنة مؤكدة، لما فيها من جبر قلب الداعي، وجلب المودة والألفة، ويستثنى من ذلك وليمة العرس، فإن الإجابة إلى الدعوة إليها واجبة بشروط معروفة لقول النبي ﷺ فيها: «ومن لم يجب فقد عصى الله ورسوله».

ولعل قوله ﷺ: «إذا دعاك فأجبه» يشمل حتى الدعوة لمساعدته ومعاونته، فإنك مأمور بإجابته، فإذا دعاك لتعينه في حمل شيء أو إلقائه، أو نحو ذلك، فإنك مأمور بمساعدته لقول النبي ﷺ؛ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً».

الحق الثالث: إذا استنصحك فانصحه، يعني إذا جاء إليك يطلب نصيحتك له في شيء فانصحه لأن هذا من الدين كما قال النبي ﷺ: «الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

أما إذا لم يأت إليك يطلب النصيحة فإن كان عليه ضرر أو إثم فيما سيقدم عليه وجب عليك أن تنصحه وإن لم يأت إليك لأن هذا من إزالة الضرر والمنكر عن المسلمين، وإن كان لا ضرر عليه فيما سيفعل ولا إثم، ولكنك ترى أن غيره أنفع فإنه لا يجب عليك أن تقول له شيئاً إلا أن يستنصحك فتلزم النصيحة.

الحق الرابع: إذا عطس فحمد الله فشمته أي قل له يرحمك الله، شكراً له على حمده لربه عند العطاس، أما إذا عطس ولم يحمد الله فإنه لا حق له فلا يشمت لأنه لما لم يحمد الله كان جزاؤه أن لا يشمت.

وتشميت العاطس إذا حمد فرض، ويجب عليه الرد، فيقول: يهديكم الله ويصلح بالكم وإذا استمر معه العطاس، وشمته ثلاثاً، فقل له

في الرابعة: عافاك الله بدلاً عن قولك يرحمك الله.

الحق الخامس: إذا مرض فعده، وعيادة المريض زيارته وهي حق له على إخوانه المسلمين فيجب عليهم القيام بها وكلما كان للمريض حق عليك من قرابة أو صحبة أو جوار كانت عيادته أوكد.

والعيادة بحسب حال المريض وبحسب حال المرض، فقد تتطلب الحال كثرة التردد إليه، وقد تتطلب الحال قلة التردد إليه، فالأولى مراعاة الأحوال، والسنة لمن عاد مريضاً أن يسأل عن حاله، ويدعو له، ويفتح له باب الفرج والرجاء، فإن ذلك من أكبر أسباب الصحة والشفاء، وينبغي أن يذكره التوبة بأسلوب لا يروعه: فيقول له مثلاً: إن في مرضك هذا تكتسب خيراً فإن المرض يكفر الله به الخطايا ويمحو به السيئات ولعلك تكسب بانحباسك أجراً كثيراً، بكثرة الذكر والإستغفار والدعاء.

الحق السادس: إذا مات فاتبعه، فاتباع الجنازة من حقوق المسلم على أخيه، وفيه أجر كبير؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من تبع الجنازة حتى يصلى عليها، فله قيراط، ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان، وما القيراطان قال: مثل الجبلين العظيمين».

الحق السابع: ومن حقوق المسلم على المسلم كف الأذى عنه، فإن في أذية المسلمين إثماً عظيماً قال الله تعالى: **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾** والغالب أن من تسلط على أخيه بأذية فإن الله ينتقم منه في الدنيا قبل الآخرة، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه».

وحقوق المسلم على المسلم كثيرة، ولكن يمكن أن يكون المعنى الجامع لها هو قول النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم» فإنه متى قام بمقتضى هذه الأخوة اجتهد أن يتحرى له الخير كله وأن يجتنب كل ما يضره.

الحق العاشر
حق غير المسلمين

غير المسلمين يشمل جميع الكافرين وهم أصناف أربعة: حربيون ومستأمنون ـ بكسر الميم الثانية ـ ومعاهدون وذميون.

فأما الحربيون فليس لهم علينا حق من حماية أو رعاية.

وأما المستأمنون فلهم علينا حق الحماية في الوقت والمكان المحددين لتأمينهم لقول الله تعالى: **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾**.

وأما المعاهدون فلهم علينا الوفاء بعهدهم إلى المدة التي جرى الإتفاق عليها بيننا وبينهم ما داموا مستقيمين لنا على العهد لم ينقصونا شيئاً ولم يعينوا أحد علينا ولم يطعنوا في ديننا لقول الله تعالى: **﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إنَّ الله يحب المتقين﴾**، وقوله: **﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم﴾**.

وأما الذميون فهم أكثر هؤلاء الأصناف حقوقاً فيما لهم وعليهم ذلك لأنهم يعيشون في بلاد المسلمين وتحت حمايتهم ورعايتهم بالجزية التي يبذلونها.

فيجب على ولي أمر المسلمين أن يحكم فيهم بحكم الإسلام في

النفس والمال والعرض وأن يقيم الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه. ويجب عليه حمايتهم وكف الأذى عنهم.

ويجب أن يتميزوا عن المسلمين في اللباس وأن لا يظهروا شيئاً منكراً في الإسلام أو شيئاً من شعائر دينهم كالناقوس والصليب. وأحكام أهل الذمة موجودة في كتب أهل العلم لا نطيل بها هنا.

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



أصول في التفسير

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً أما بعد:

فإن من المهم في كل فن أن يتعلم المرء من أصوله ما يكون عوناً له على فهمه وتخريجه على تلك الأصول ليكون علمه مبنياً على أسس قوية ودعائم راسخة وقد قيل: من حرم الأصول حرم الوصول.

ومن أجل فنون العلم بل هو أجلها وأشرفها علم التفسير الذي هو تبيين معاني كلام الله عز وجل وقد وضع أهل العلم له أصولاً كما وضعوا لعلم الحديث أصولاً ولعلم الفقه أصولاً.

وقد كنت كتبت من هذا العلم ما تيسر لطلاب المعاهد العلمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فطلب مني بعض الناس أن أفردها في رسالة ليكون ذلك أيسر وأجمع فأجبته إلى ذلك.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بها. ويتخلص ذلك فيما يأتي:

القرآن الكريم:

١ ـ متى نزل القرآن على النبي ﷺ ومن نزل به عليه من الملائكة.

٢ ـ أول ما نزل من القرآن.

٣ ـ نزول القرآن على نوعين سببي وإبتدائي.

٤ ـ القرآن مكي ومدني وبيان الحكمة من نزوله مفرقاً وترتيب القرآن.

٥ ـ كتابة القرآن وحفظه في عهد النبي ﷺ.

٦ ـ جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما.

التفسيــر:

١ ـ معنى التفسير لغة واصطلاحاً وبيان حكمه والغرض منه.

٢ ـ الواجب على المسلم في تفسير القرآن.

٣ ـ المرجع في التفسير إلى ما يأتي:

أ ـ كلام الله تعالى بحيث يفسر القرآن بالقرآن.

ب ـ سنة الرسول ﷺ لأنه مبلغ عن الله تعالى وهو أعلم الناس بمراد الله تعالى في كتاب الله.

جـ ـ كلام الصحابة رضي الله عنهم لا سيما ذوو العلم منهم والعناية بالتفسير لأن القرآن نزل بلغتهم وفي عصرهم.

د ـ كلام كبار التابعين الذين اعتنوا بأخذ التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم.

هـ ـ ما تقتضيه الكلمات من المعاني الشرعية أو اللغوية حسب السياق فإن اختلف الشرعي واللغوي أخذ بالمعنى الشرعي إلا بدليل يرجح اللغوي.

٤ ـ أنواع الاختلاف الوارد في التفسير المأثور.

٥ ـ ترجمة القرآن، تعريفها، أنواعها، حكم كل نوع.

- خمس تراجم مختصرة للمشهورين بالتفسير ثلاث للصحابة واثنتان للتابعين.
- أقسام القرآن من حيث الأحكام والتشابه:
موقف الراسخين في العلم والزائغين من المتشابه.
التشابه: حقيقي ونسبي.
الحكمة في تنوع القرآن إلى محكم ومتشابه.
- موهم التعارض من القرآن والجواب عنه وأمثلة من ذلك.
- القسم: تعريفه، أداته، فائدته.
- القصص: تعريفها، الغرض منها، الحكمة من تكرارها واختلافها في الطول والقصر والأسلوب.
- الإسرائيليات التي أقحمت في التفسير وموقف العلماء منها.
- الضمير: تعريفه، مرجعه، الإظهار في موضع الإضمار وفائدته، الإلتفات وفائدته، ضمير الفصل وفائدته.

القرآن الكريم

القرآن في اللغة: مصدر قرأ بمعنى تلا أو بمعنى جمع تقول قَرَأ قَرْءاً وقُرْآناً كما تقول غفر غَفْراً وغُفْراناً فعلى المعنى الأول (تلا) يكون مصدراً بمعنى اسم المفعول أي بمعنى متلو. وعلى المعنى الثاني (جَمَعَ) يكون مصدراً بمعنى اسم الفاعل أي بمعنى جامع لجمعه الأخبار والأحكام(١).

والقرآن في الشرع: كلام الله تعالى المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس. قال الله تعالى: **﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾**، وقال: **﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾**.

وقد حَمَى الله تعالى هذا القرآن العظيم من التغيير والزيادة والنقص والتبديل حيث تكفل عز وجل بحفظه فقال: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** ولذلك مضت القرون الكثيرة ولم يحاول أحد من أعدائه أن يغير فيه أو يزيد أو ينقص أو يبدل إلا هتك الله تعالى ستره وفضح أمره.

وقد وصفه الله تعالى بأوصاف كثيرة تدل على عظمته وبركته وتأثيره وشموله وأنه حاكم على ما قبله من الكتب.

قال الله تعالى: **﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾**، **﴿والقرآن المجيد﴾**.

---

(١) ويمكن أن يكون بمعنى اسم المفعول أيضاً أي بمعنى مجموع لأنه جمع في المصاحف والصدور.

وقال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا إياته وليتذكر أولو الألباب﴾، ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوهُ واتقوا لعلكم ترحمون﴾، ﴿إنه لقرآن كريم﴾، ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾.

وقال تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾، ﴿وإذا أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادتهُ هذهِ إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾، ﴿وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾، ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾.

وقال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾.

وقال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾.

والقرآن الكريم مصدر الشريعة الإسلامية التي بعث بها محمد ﷺ إلى الناس كافة قال الله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾، ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد﴾.

وسنة النبي ﷺ مصدر تشريع أيضاً كما قرره القرآن قال الله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾، ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾، ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾، ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾.

١ ـ نزول القرآن:

نزل القرآن أول ما نزل على رسول الله ﷺ في ليلة القدر في رمضان

قال الله تعالى: **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾**، **﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم﴾**، **﴿وشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾**.

وكان عمر النبي ﷺ أول ما نزل عليه أربعين سنة على المشهور عند أهل العلم وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم. وهذه السن هي التي يكون بها بلوغ الرشد وكمال العقل وتمام الإدراك.

والذي نزل بالقرآن من الله تعالى إلى النبي ﷺ جبريل أحد الملائكة المقربين الكرام قال الله تعالى عن القرآن: **﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾**.

وقد كان لجبريل عليه السلام من الصفات الحميدة العظيمة من الكرم والقوة والقرب من الله تعالى والمكانة والإحترام بين الملائكة والأمانة والحسن والطهارة ما جعله أهلاً لأن يكون رسول الله تعالى بوحيه إلى رسله، قال الله تعالى: **﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾**. وقال: **﴿علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى﴾**.

وقال: **﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾**.

وبقد بين الله تعالى لنا أوصاف جبريل الذي نزل بالقرآن من عنده وتدل على عظم القرآن وعنايته تعالى به فإنه لا يرسل من كان عظيماً إلا بالأمور العظيمة.

٢ ـ أول ما نزل من القرآن:

أول ما نزل من القرآن على وجه الإطلاق قطعاً الآيات الخمس الأولى من سورة العلق وهي قوله تعالى: **﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق (١)**

خلق الإنسان من علق (٢) إقرأ وربك الأكرم (٣) الـذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥)﴾ ثم فتر الوحي مدة ثم نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة المدثر وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها المدثر (١) قم فأنذر (٢) وربك فكبر (٣) وثيابك فطهر (٤) والرجز فـاهجر (٥)﴾ ففي الصحيحين صحيح البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي قالت: حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال النبي ﷺ ما أنا بقارىء (يعني لست أعرف القراءة) فذكر الحديث وفيه ثم قال: ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، إلى قوله: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ وفيهما عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال وهو يحدث عن فترة الوحي: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء...) فذكر الحديث وفيه فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ إلى ﴿والرجز فاهجر﴾.

وثمت آيات يقال فيها أول ما نزل والمراد أول ما نزل باعتبار شيء معين فتكون أولية مقيدة مثل حديث جابر رضي الله عنه في الصحيحين أن أبا سلمة بن عبد الرحمٰن سأله: أي القرآن أنزل أول؟ قال جابر: ﴿يا أيها المدثر﴾. قال أبو سلمة: أنبئت أنه ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾. فقال جابر: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت...» فذكر الحديث وفيه: «فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا عليّ ماء بارداً وأنزل عليّ ﴿يا أيها المدثر﴾ إلى قوله: ﴿والرجز فاهجر﴾.

فهذه الأولية التي ذكرها جابر رضي الله عنه باعتبار أول ما نزل بعد فترة الوحي أو أول ما نزل في شأن الرسالة لأن ما نزل من سورة إقرأ ثبتت به نبوة النبي ﷺ وما نزل من سورة المدثر ثبتت به الرسالة في قوله: ﴿قم فأنذر﴾، ولهذا قال أهل العلم أن النبي ﷺ نبىء بـ ﴿إقرأ﴾ وأرسل بـ ﴿المدثر﴾.

٣ ـ نزول القرآن إبتدائي وسببي:

ينقسم نزول القرآن إلى قسمين:

القسم الأول: إبتدائي وهو ما لم يتقدم نزوله سبب يقتضيه وهو غالب آيات القرآن ومنه قوله تعالى: **﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتـانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾**، الآيات فإنها نزلت ابتداء في بيان حال بعض المنافقين. وأما ما اشتهر من أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب في قصة طويلة ذكرها كثير من المفسرين وروجها كثير من الوعاظ فضعيف لا صحة له.

القسم الثاني: سببي وهو ما تقدم نزوله سبب يقتضيه. والسبب:

أ - إما سؤال يجيب الله عنه مثل: **﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾**.

ب - أو حادثة وقعت تحتاج إلى بيان وتحذير مثل: **﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب﴾** الآيتين نزلتا في رجل من المنافقين قال في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله ﷺ وأصحابه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن فجاء الرجل يعتذر إلى النبي ﷺ فيجيبه **﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾**.

جـ - أو فعل واقع يحتاج إلى معرفة حكمه مثل: **﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾** الآيات.

فوائد معرفة أسباب النزول:

معرفة أسباب النزول مهمة جداً لأنها تؤدي إلى فوائد كثيرة منها:

١ - بيان أن القرآن نزل من الله تعالى وذلك لأن النبي ﷺ يسأل عن الشيء فيتوقف عن الجواب أحياناً حتى ينزل عليه الوحي أو يخفى عليه الأمر الواقع فينزل الوحي مبيناً له.

مثال الأول: قوله: **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما**

أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾. ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن رجلاً من اليهود قال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت وفي لفظ فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال: **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾** الآية.

ومثال الثاني: قوله تعالى: **﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾**. ففي صحيح البخاري أن زيد بن أرقم رضي الله عنه سمع عبد الله بن أُبَي رأس المنافقين يقول ذلك يريد أنه الأعز

١ - ورسول الله ﷺ وأصحابه الأذل فأخبر زيد عمه بذلك فأخبر به النبي ﷺ فدعا النبي ﷺ زيداً فأخبره بما سمع ثم أرسل إلى عبد الله بن أُبَي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله ﷺ فأنزل الله تصديق زيد في هذه الآية فاستبان الأمر لرسول الله ﷺ.

٢ - بيان عناية الله تعالى برسله في الدفاع عنه.

مثال ذلك قوله تعالى: **﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه، القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾**. وكذلك آيات الإفك فإنها دفاع عن فراش النبي ﷺ وتطهيراً له عما دنسه به الأفاكون.

٣ - بيان عناية الله تعالى بعباده في تفريج كرباتهم وإزالة غمومهم.

مثال ذلك آية التيمم ففي صحيح البخاري أنه ضاع عقد لعائشة رضي الله عنها وهي مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فأقام النبي ﷺ لطلبه وأقام الناس على غير ماء فشكوا ذلك إلى أبي بكر فذكر الحديث وفيه فأنزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. والحديث في البخاري مطولاً.

٤ - فهم الآية على الوجه الصحيح.

مثال ذلك قوله تعالى: **﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج**

البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما﴾ أي يسعى بينهما فإن ظاهر قوله: ﴿فلا جناح عليه﴾ أن غاية أمر السعي بينهما أن يكون من قسم المباح. وفي صحيح البخاري عن عاصم بن سليمان قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن الصفا والمروة قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾، إلى قوله: ﴿أن يطوف بهما﴾. وبهذا عرف أن نفي الجناح ليس المراد به بيان أصل حكم السعي وإنما المراد نفي تحرجهم بإمساكهم عنه حيث كانوا يرون أنهما من أمر الجاهلية. أما أصل حكم السعي فقد تبين بقوله: ﴿من شعائر الله﴾.

عموم اللفظ وخصوص السبب:

إذا نزلت الآية لسبب خاص ولفظها عام كان حكمها شاملاً لسببها ولكل ما يتناوله لفظها لأن القرآن نزل تشريعاً عاماً لجميع الأمة فكانت العبرة بعموم لفظه لا بخصوص سببه.

مثال ذلك آيات اللعان وهي قوله تعالى: ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾ إلى قوله: ﴿إن كان من الصادقين﴾. ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء. فقال النبي ﷺ: البينة أو حَد في ظهرك. فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق فلينزلن الله ما يبرىء ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿إن كان من الصادقين﴾ الحديث.

فهذه الآيات نزلت بسبب قذف هلال بن أمية لامرأته لكن حكمها شامل له ولغيره بدليل ما رواه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن عويمر العجلاني جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال النبي ﷺ: قد أنزل الله

القرآن فيك وفي صاحبتك: فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمى الله في كتابه فلاعنها. الحديث.

فجعل النبي ﷺ حكم هذه الآيات شاملاً لهلال بن أمية وغيره.

٤ ـ المكي والمدني:

نزل القرآن على النبي ﷺ مفرقاً من خلال ثلاث وعشرين سنة قضى رسول الله ﷺ أكثرها بمكة قال الله تعالى: ﴿**وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً**﴾ ولذلك قسم العلماء رحمهم الله تعالى القرآن إلى قسمين مكي ومدني:

فالمكي: ما نزل على النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة.

والمدني: ما نزل على النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة.

وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾، من القسم المدني وإن كانت قد نزلت على النبي ﷺ في حجة الوداع بعرفة. ففي صحيح البخاري عن عمر رضي الله عنه أنه قال: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ نزلت وهو قائم بعرفه يوم جمعة.

ويتميز القسم المكي عن المدني من حيث الأسلوب والموضوع:

(أ) **أما من حيث الأسلوب فهو:**

١ ـ الغالب في المكي قوة الأسلوب وشدة الخطاب لأن غالب المخاطبين مُعرِضون مستكبرون ولا يليق بهم إلا ذلك. إقرأ سورتي (المدثر ـ القمر).

أما المدني فالغالب في أسلوبه اللين وسهولة الخطاب لأن غالب المخاطبين مقبلون منقادون إقرأ سورة المائدة.

٢ ـ الغالب في المكي قصر الآيات وقوة المحاجة لأن غالب المخاطبين

معاندون مشاقون فخوطبوا بما تقتضيه حالهم. إقرأ سورة (الطور).

أما المدني: فالغالب فيه طول الآيات وذكر الأحكام مرسلة بدون محاجة لأن حالهم تقتضي ذلك إقرأ (آية الذين في سورة البقرة).

(ب) وأما من حيث الموضوع فهو:

١ - الغالب في المكي تقرير التوحيد والعقيدة السليمة خصوصاً ما يتعلق بتوحيد الألوهية والإيمان بالبعث لأن غالب المخاطبين ينكرون ذلك.

أما المدني فالغالب فيه تفصيل العبادات والمعاملات لأن المخاطبين قد تقرر في نفوسهم التوحيد والعقيدة السليمة فهم في حاجة لتفصيل العبادات والمعاملات.

٢ - الإفاضة في ذكر الجهاد وأحكامه والمنافقين وأحوالهم في القسم المدني لاقتضاء الحال ذلك حيث شرع الجهاد وظهر النفاق بخلاف القسم المكي.

فوائد معرفة المدني والمكي:

معرفة المكي والمدني نوع من أنواع علوم القرآن المهمة وذلك لأن فيها فوائد منها:

١ - ظهور بلاغة القرآن في أعلى مراتبها حيث يخاطب كل قوم بما تقتضيه حالهم من قوة وشدة أو لين وسهولة.

٢ - ظهور حكمة التشريع في أسمى غاياته حيث يتدرج شيئاً فشيئاً بحسب الأمم على ما تقتضيه حال المخاطبين واستعدادهم للقبول والتنفيذ.

٣ - تربية الدعاة إلى الله تعالى وتوجيههم إلى أن يتبعوا ما سلكه القرآن في الأسلوب والموضوع من حيث المخاطبين بحيث يبدأ بالأهم فالأهم وتستعمل الشدة في موضعها والسهولة في موضعها.

٤ - تمييز الناسخ من المنسوخ فيما لو وردت آيتان مكية ومدنية يتحقق

فيهما شروط النسخ فإن المدنية ناسخة للمكية لتأخر المدنية عنها.

الحكمة من نزول القرآن مفرقاً:

من تقسيم القرآن إلى مكي ومدني يتبين أنه نزل على النبي ﷺ مفرقاً ولنزوله على هذا الوجه حكم كثيرة منها:

١ - تثبيت قلب النبي ﷺ لقوله تعالى: **﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك﴾**، يعني كذلك نزلناه مفرقاً **﴿لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾**.

٢ - أن يسهل على الناس حفظه وفهمه والعمل به حيث يقرأ عليهم شيئاً فشيئاً لقوله تعالى: **﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾**.

٣ - تنشيط الهمم لقول ما نزل من القرآن وتنفيذه حيث يتشوق الناس بلهف وشوق إلى نزول الآية لا سيما عند اشتداد الحاجة إليها كما في آيات الإفك واللعان.

٤ - التدرج في التشريع حتى يصل إلى درجة الكمال كما في آيات الخمر الذي نشأ الناس عليه وألفوه وكان من الصعب عليهم أن يُجابهوا بالمنع منه منعاً باتاً فنزل في شأنه أولاً قوله تعالى: **﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾** فكان في هذه الآية تهيئة للنفوس لقبول تحريمه حيث أن العقل يقتضي أن لا يمارس شيئاً إثمه أكبر من نفعه.

ثم نزل ثانياً قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾** فكان في هذه الآية تمرين على تركه في بعض الأوقات وهي أوقات الصلوات ثم نزل ثالثاً قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس،**

من عملِ الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا إنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ فكان في هذه الآيات المنع من الخمر منعاً باتاً في جميع الأوقات بعد أن هُيِّئت النفوس ثم مُرِنَت على المنع منه في بعض الأوقات.

ترتيب القرآن:

ترتيب القرآن: تلاوته تالياً بعضه بعضاً حسبما هو مكتوب في المصاحف ومحفوظ في الصدور.

وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ترتيب الكلمات بحيث تكون كل كلمة في موضعها من الآية وهذا ثابت بالنص والإجماع ولا نعلم مخالفاً في وجوبه وتحريم مخالفته. فلا يجوز أن يقرأ: لله الحمد رب العالمين بدلاً من **﴿الحمد لله رب العالمين﴾**.

النوع الثاني: ترتيب الآيات بحيث تكون كل آية في موضعها من السورة وهذا ثابت بالنص والإجماع وهو واجب على القول الراجح وتحرم مخالفته ولا يجوز أن يقرأ مالك يوم الدين الرحمٰن الرحيم بدلاً من **﴿الرحمٰن الرحيم مالك يوم الدين﴾** ففي صحيح البخاري أن عبد الله بن الزبير قال لعثمان بن عفان رضي الله عنهم في قوله تعالى: **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾**: قد نسختها الآية الأخرى يعني قوله تعالى: **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾** وهذه قبلها في التلاوة قال فلم تكتبها؟ فقال عثمان رضي الله عنه: يا ابن أخي لا أغير شيئاً من مكانه. وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي من حديث عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل

عليه الشيء دعا بعض من مكان يكتب فيقول ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.

النوع الثالث: ترتيب السور بحيث تكون كل سورة في موضعها من المصحف وهذا ثابت بالإجتهاد فلا يكون واجباً. وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه صلّى مع النبي ﷺ ذات ليلة فقرأ النبي ﷺ البقرة ثم النساء ثم آل عمران. وروى البخاري تعليقاً عن الأحنف أنه قرأ في الأولى بالكهف وفي الثانية بيوسف أو يونس، وذكر أنه صلّى مع عمر بن الخطاب الصبح بهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: تجوز قراءة هذه قبل هذه وكذا في الكتابة ولهذا تنوعت مصاحف الصحابة رضي الله عنهم في كتابتها لكن لما اتفقوا على المصحف في زمن عثمان رضي الله عنه صار هذا لما سَنّه الخلفاء الراشدون وقد دل الحديث على أن لهم سنة يجب اتباعها. أهـ.

٥ ـ كتابة القرآن وجمعه:

لكتابة القرآن وجمعه ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: في عهد النبي ﷺ وكان الإعتماد في هذه المرحلة على الحفظ أكثر من الاعتماد على الكتابة لقوة الذاكرة وسرعة الحفظ وقلة الكاتبين ووسائل الكتابة ولذلك لم يجمع في مصحف بل كان من سمع آية حفظها أو كتبها فيما تيسر له من عُسُب النخل ورقاع الجلود ولخاف الحجارة وكسر الأكتاف وكان القراء عدداً كبيراً، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث سبعين رجلاً يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من بني سليم رعل وذكوان عند بئر معونة فقتلوهم. وفي الصحابة غيرهم كثير كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي الدرداء رضي الله عنهم.

المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر رضي الله عنه في السنة الثانية عشرة

من الهجرة وسببه أنه قتل في وقعة اليمامة عدد كبير من القراء منهم سالم مولى أبي حذيفة أحد من أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن منهم.

فأمر أبو بكر رضي الله عنه بجمعه لئلا يضيع ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب أشار على أبي بكر رضي الله عنهما بجمع القرآن بعد وقعة اليمامة فتوقف فلم يزل عمر يراجعه حتى شرح الله صدر أبي بكر لذلك فأرسل إلى زيد بن ثابت فأتاه وعنده عمر فقال له أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فَتَتَبَّع القرآن فاجمعه. قال فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه. رواه البخاري مطولاً وقد وافق المسلمون أبا بكر على ذلك وعدُّوه من حسناته حتى قال علي رضي الله عنه: أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله.

المرحلة الثالثة: في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في السنة الخامسة والعشرين وسببه اختلاف الناس في القراءة بحسب اختلاف الصحف التي في أيدي الصحابة رضي الله عنهم فخيفت الفتنة فأمر عثمان رضي الله عنه أن تجمع هذه الصحف في مصحف واحد لئلا يختلف الناس فيتنازعوا في كتاب الله تعالى ويتفرقوا، ففي صحيح البخاري أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان من فتح أرمينية وأذربيجان وقد أفزعه اختلافهم في القراءة فقال يا أمير المؤمنين: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، ففعلت، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وكان زيد بن ثابت أنصارياً والثلاثة قرشيين - وقال عثمان للرهط الثلاثة القرشيين إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا

الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. وقد فعل عثمان رضي الله عنه هذا بعد أن استشار الصحابة رضي الله عنهم لما روى ابن أبي داود عن علي رضي الله عنه قال: والله ما فعل الذي فعل في المصاحف آلا عن ملإ مِنا، قال أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف قلنا فَنِعْمَ ما رأيت. وقال مصعب بن سعد أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك أو قال لم ينكر ذلك منهم أحد وهو من حسنات أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه التي وافقه المسلمون عليها وكانت مُكَمِّلة لجمع خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه، والفرق بين جمعه وجمع أبي بكر رضي الله عنهما أن الغرض من جمعه في عهد أبي بكر رضي الله عنه تقييد القرآن كله مجموعاً في مصحف حتى لا يضيع منه شيء دون أن يحمل الناس على الاجتماع على مصحف واحد وذلك أنه لم يظهر أثر لاختلاف قراءاتهم يدعو إلى حملهم على الاجتماع على مصحف واحد.

وأما الغرض من جمعه في عهد عثمان رضي الله عنه فهو تقييد القرآن كله مجموعاً في مصحف واحد يحمل الناس على الاجتماع عليه لظهور الأثر المخيف باختلاف القراءات.

وقد ظهرت نتائج هذا الجمع حيث حصلت به المصلحة العظمى للمسلمين من اجتماع الأمة واتفاق الكلمة وحلول الألفة واندفعت به مفسدة كبرى من تفرق الأمة واختلاف الكلمة وفشو البغضاء والعداوة وقد بقي على ما كان عليه حتى الآن متفقاً عليه بين المسلمين متواتراً بينهم يتلقاه الصغير عن الكبير لم تعبث به أيدي المفسدين ولم تطمسه أهواء الزائغين فللّه الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين.

التفسير

التفسير لغة من الفسر وهو الكشف عن المغطى.

وفي الاصطلاح بيان معاني القرآن الكريم.

وتعلم التفسير واجب لقوله تعالى: **﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدَّبَّروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾**[1]، ولقوله تعالى: **﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾**[2].

وجه الدلالة من الآية الأولى أن الله تعالى بين أن الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك أن يتدبر الناس آياته ويتعظوا بما فيها. والتدبر هو التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها فإذا لم يكن ذلك فاتت الحكمة من إنزال القرآن وصار مجرد ألفاظ لا تأثير لها.

ولأنه لا يمكن الإتعاظ بما في القرآن بدون فهم معانيه.

ووجه الدلالة من الآية الثانية أن الله تعالى وبخ أولئك الذين لا يتدبرون القرآن وأشار إلى أن ذلك من الإقفال على قلوبهم وعدم وصول الخير إليها.

وكان سلف الأمة على تلك الطريقة الواجبة، يتعلمون القرآن ألفاظه ومعانيه لأنهم بذلك يتمكنون من العمل بالقرآن على مراد الله به فإن العمل بما لا يعرف معناه غير ممكن.

---

(١) سورة ص.

(٢) سورة محمد.

وقال أبو عبد الرحمٰن السلمي: حدثنا الذين كانوا يُقرِؤنَنَا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم.

ويجب على أهل العلم أن يبينوه للناس عن طريق الكتابة أو المُشَافهة لقوله تعالى: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أُوتوا الكتاب لتُبيِّنُنَّهُ للناس ولا تكتمونه﴾**[1]، وتبيين الكتاب للناس شامل لتبيين ألفاظه ومعانيه فيكون تفسير القرآن مما أخذ اللَّهُ العهد على أهل العلم ببيان.

والغرض من تعلم التفسير هو الوصول إلى الغايات الحميدة والثمرات الجليلة وهي التصديق بأخباره والإنتفاع بها وتطبيق أحكامه على الوجه الذي أراده الله ليُعَبَدَ اللَّهُ بها على بصيره.

الواجب على المسلم في تفسير القرآن:

الواجب على المسلم في تفسير القرآن أن يُشعِرَ نفسه حين يُفَسر القرآن بأنه مترجم عن الله تعالى، شاهد عليه بما أراد من كلامه فيكون مُعظِماً لهذه الشهادة خائفاً من أن يقول على الله بلا علم فيقع فيما حرم الله فَيُخزَى بذلك يوم القيامة، قال الله تعالى: **﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تُشركوا بالله ما لم يُنَزِل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿ويوم**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾[1].

المرجع في تفسير القرآن:

يرجع في تفسير القرآن إلى ما يأتي:

أ - كلام الله تعالى فيفسر القرآن بالقرآن لأن الله تعالى هو الذي أنزله وهو أعلم بما أراد به.

ولذلك أمثلة منها:

١ - قوله تعالى: **﴿ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**، فقد فسر أولياء الله بقوله في الآية التي تليها: **﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾**.

٢ - قوله تعالى: **﴿وما أدراك ما الطارق﴾** فقد فسر الطارق بقوله في الآية الثانية **﴿النجم الثاقب﴾**.

٣ - قوله تعالى: **﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾** فقد فسر دحاها بقوله في الآيتين بعدها **﴿أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها﴾**.

ب - كلام رسول الله ﷺ فيفسر القرآن بالسنة لأن رسول الله ﷺ مبلغ عن الله تعالى فهو أعلم الناس بمراد الله تعالى بكلامه.

ولذلك أمثلة منها:

١ - قوله تعالى: **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾** فقد فسر النبي ﷺ الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى فيما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم صريحاً من حديث أبي موسى وأبي بن كعب ورواه ابن جرير من حديث كعب بن عجرة وفي صحيح مسلم

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

عن صهيب بن سنان عن النبي ﷺ في حديث قال فيه فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ثم تلا هذه الآية ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾ فقد فسر النبي ﷺ القوة بالرمي رواه مسلم وغيره من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

جـ ـ كلام الصحابة رضي الله عنهم لا سيما ذوو العلم منهم والعناية بالتفسير لأن القرآن نزل بلغتهم وفي عصرهم ولأنهم بعد الأنبياء أصدق الناس في طلب الحق وأسلمهم من الأهواء وأطهرهم من المخالفات التي تحول بين المرء وبين التوفيق للصواب.

ولذلك أمثلة كثيرة جداً منها:

قوله تعالى: ﴿**وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء**﴾، فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه فسر الملامسة بالجماع.

د ـ كلام التابعين الذين اعتنوا بأخذ التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم لأن التابعين خير الناس بعد الصحابة وأسلم من الأهواء ممن بعدهم ولم تكن اللغة العربية تغيرت كثيراً في عصرهم فكانوا أقرب إلى الصواب في فهم القرآن ممن بعدهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(*): إذا أجمعوا (التابعين) على الشيء فلا يُرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السُنَّة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك.

وقال أيضاً: من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم

(*) مجموع الفتاوى.

إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك بل مبتدعاً وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه، ثم قال: فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً.

هـ ـ ما تقتضيه الكلمات من المعاني الشرعية أو اللغوية حسب السياق لقوله تعالى: **﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾**، وقوله: **﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾**. وقوله: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾**.

فإن اختلف المعنى الشرعي واللغوي أُخذ بما يقتضيه الشرعي لأن القرآن نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة إلا أن يكون هناك دليل يترجح به المعنى اللغوي فيؤخذ به.

مثال ما اختلف فيه المعنيان وقدم الشرعي قوله تعالى في المنافقين **﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً﴾** فالصلاة في اللغة الدعاء وفي الشرع هنا الوقوف على الميت للدعاء له بصفة مخصوصة فيقدم المعنى الشرعي لأنه المقصود للمتكلم المعهود للمخاطب، وأما منع الدعاء لهم على وجه الإطلاق فمن دليل آخر.

ومثال ما اختلف فيه المعنيان وقدم فيه اللغوي بالدليل قوله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم﴾** فالمراد بالصلاة هنا الدعاء بدليل ما رواه مسلم عن عبد الله بن أبي أوفى قال: (كان النبي ﷺ إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم. فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صلِّ على آل أبي أوفى).

وأمثلة ما اتفق فيه المعنيان الشرعي واللغوي كثيرة كالسماء والأرض والصدق والكذب والحجر والإنسان.

الاختلاف الوارد في التفسير المأثور:

الاختلاف الوارد في التفسير المأثور على ثلاثة أقسام:

الأول: اختلاف في اللفظ دون المعنى، فهذا لا تأثير له في معنى الآية. مثاله قوله تعالى: ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**﴾[1] قال ابن عباس: قضى: أمر. وقال مجاهد: وصى وقال الربيع بن أنس: أوجب. وهذه التفسيرات معناها واحد أو متقارب فلا تأثير لهذا الاختلاف في معنى الآية.

الثاني: اختلاف في اللفظ والمعنى والآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما، فتحمل الآية عليهما وتفسر بهما ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من القولين ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية أو التنويع. مثاله قوله تعالى: ﴿**واتل عليهم نبأ الذي أتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه**﴾[2]، قال ابن مسعود هو رجل من بني إسرائيل، وعن ابن عباس: رجل من أهل اليمن، وقيل رجل من أهل البلقاء.

والجمع بين هذه الأقوال: أن تحمل الآية عليها كلها لأنها تحتملها من غير تضاد ويكون كل قول ذكر على وجه التمثيل.

ومثال آخر قوله تعالى: ﴿**وكأساً دهاقا**﴾[3] قال ابن عباس: دهاقاً مملوءة، وقال مجاهد: متتابعة، وقال عكرمة: صافية.

ولا منافاة بين هذه الأقوال والآية تحتملها فتُحمل عليها جميعاً ويكون كل قول لنوع من المعنى.

القسم الثالث: اختلاف اللفظ والمعنى والآية لا تحتمل المعنيين معاً للتضاد بينهما، فتحمل الآية على الأرجح منهما بدلالة السياق أو غيره.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٣) سورة النبأ، الآية: ٣٤.

وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغٍ ولا عاد فإن الله غفور رحيم﴾[1] قال ابن عباس: غير باغ في الميتة ولا عاد في أكله. وقيل: غير خارج على الإمام ولا عاص بسفره، والأرجح الأول لأنه لا دليل في الآية على الثاني ولأن المقصود بحل ما ذكر دفع الضرورة، وهي واقعة في حال الخروج على الإمام وفي حال السفر المحرم وغير ذلك.

ومثال آخر قوله تعالى: **﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾**[2]. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج. وقال ابن عباس هو الولي. والراجح الأول لدلالة المعنى عليه ولأنه قد روى فيه حديث عن النبي ﷺ.

ترجمة القرآن:

الترجمة لغة: تطلق على معانٍ ترجع إلى البيان والإيضاح.

وفي الإصطلاح: التعبير عن الكلام بلغة أخرى.

وترجمة القرآن: التعبير عن معناه بلغة أخرى.

والترجمة نوعان:

أحدهما: ترجمة حرفية وذلك بأن يوضع ترجمة كل كلمة بإزائها.

الثاني: ترجمة معنوية أو تفسيريَّة وذلك بأن يعبر عن معنى الكلام بلغة أخرى من غير مراعاة المفردات والترتيب.

مثال ذلك قوله تعالى: **﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾**[3].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣.

فالترجمة الحرفية: أن يترجم كلمات هذه الآية كلمة كلمة فيترجم (إنا) ثم (جعلناه) ثم (قرآناً) ثم (عربياً) وهكذا.

والترجمة المعنوية: أن يترجم معنى الآية كلها بقطع النظر عن معنى كل كلمة وترتيبها وهي قريبة من معنى التفسير الإجمالي.

حكم ترجمة القرآن:

الترجمة الحرفية بالنسبة للقرآن الكريم مستحيلة عند كثير من أهل العلم وذلك لأنه يشترط في هذا النوع من الترجمة شروط لا يمكن تحققها معها وهي:

أ - وجود مفردات في اللغة المترجم إليها بإزاء حروف اللغة المترجم منها.

ب - وجود أدوات للمعاني في اللغة المترجم إليها مساوية أو مشابهة للأدوات في اللغة المترجم منها.

جـ - تماثل اللغتين المترجم منها وإليها في ترتيب الكلمات حين تركيبها في الجمل والصفات والإضافات وقال بعض العلماء أن الترجمة الحرفية يمكن تحققها في بعض آية أو نحوها ولكنها وإن أمكن تحققها في نحو ذلك - محرمة لأنها لا يمكن أن تؤدي المعنى بكماله ولا أن تؤثر في النفوس تأثير القرآن العربي المبين ولا ضرورة تدعو إليها للإستغناء عنها بالترجمة المعنوية.

وعلى هذا فالترجمة الحرفية إن أمكنت حساً في بعض الكلمات فهي ممنوعة شرعاً اللهم إلا أن يترجم كلمة خاصة بلغة من يخاطبه ليفهمها من غير أن يترجم التركيب كله فلا بأس.

وأما الترجمة المعنوية للقرآن فهي جائزة في الأصل لأنه لا محذور فيها وقد تجب حين تكون وسيلة إلى إبلاغ القرآن والإسلام لغير الناطقين باللغة العربية لأن إبلاغ ذلك واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

لكن يشترط لجواز ذلك شروط:

الأول: أن لا تجعل بديلاً عن القرآن بحيث يستغنى بها عنه. وعلى هذا فلا بد أن يكتب القرآن باللغة العربية وإلى جانبه هذه الترجمة لتكون كالتفسير له.

الثاني: أن يكون المترجم عالماً بمدلولات الألفاظ في اللغتين المترجم منها وإليها وما تقتضيه حسب السياق.

الثالث: أن يكون عالماً بمعاني الألفاظ الشرعية في القرآن.

ولا تقبل الترجمة للقرآن الكريم إلا من مأمون عليها بحيث يكون مسلماً مستقيماً في دينه.

المشتهرون بالتفسير من الصحابة:

اشتهر بالتفسير جماعة من الصحابة ذكر السيوطي منهم الخلفاء الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم إلا أن الرواية عن الثلاثة الأولين لم تكن كثيرة لانشغالهم بالخلافة وقلة الحاجة إلى النقل في ذلك لكثرة العالمين بالتفسير.

ومن المشتهرين بالتفسير من الصحابة أيضاً: عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس. فلنترجم لحياة علي بن أبي طالب مع هذين رضي الله عنهم.

١ ـ علي بن أبي طالب:

هو ابن عم الرسول ﷺ وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنه وعنها وأول من آمن به من قرابته، اشتهر بهذا الاسم وكنيته أبو الحسن وأبو تراب.

ولد قبل بعثة النبي ﷺ بعشر سنين وتربى في حجر النبي ﷺ وشهد معه المشاهد كلها وكان صاحب اللواء في معظمها ولم يتخلف إلا في غزوة تبوك خلفه النبي ﷺ في أهله وقال له أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون

من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. نقل له من المناقب والفضائل ما لم ينقل لغيره. وهلك به طائفتان: النواصب الذين نصبوا له العداوة وحاولوا إخفاء مناقبه، والروافض الذين بالغوا فيما زعموه من حبه وأحدثوا له من المناقب التي وضعوها ما هو في غنى عنه بل هو عند التأمل من المثالب.

اشتهر رضي الله عنه بالشجاعة والذكاء مع العلم والزكاء حتى كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن، ومن أمثلة النحويين: قضية ولا أبا حسن لها. وروي عن علي أنه كان يقول: سلوني سلوني وسلوني عن كتاب الله تعالى فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أنزلت بليل أو نهار. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا جاءنا الثبت عن علي لم نعدل به، وروى عنه أنه قال: ماأخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب، كان أحد أهل الشورى الذين رشحهم عمر رضي الله عنه لتعيين الخليفة، فعرضها عليه عبد الرحمٰن بن عوف فأبى إلا بشروط لم يقبل بعضها، ثم بايع عثمان فبايعه علي والناس، ثم بويع بالخلافة بعد عثمان حتى قتل شهيداً في الكوفة ليلة السابع عشر من رمضان سنة أربعين من الهجرة رضي الله عنه.

٢ ـ عبد الله بن مسعود:

هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي وأُمه أُم عَبْد كان ينسب إليها أحياناً[١]، وكان من السابقين الأولين في الإسلام وهاجر الهجرتين وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد.

تلقى من النبي ﷺ بضعاً وسبعين سورة من القرآن وقال له النبي ﷺ في أول الإسلام إنك لغلام مُعَلَّم، وقال من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أُم عَبْد. وفي صحيح البخاري أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني من أعلمهم

(١) وذلك لأن أباه مات في الجاهلية وأدركت أمه الإسلام فأسلمت.

بكتاب الله. وقال والله الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن أُنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتُ إليه. وكان ممن خدم النبي ﷺ فكان صاحبُ نعليه وطهوره ووساده حتى قال أبو موسى الأشعري: قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ. ومن أجل ملازمته النبي ﷺ تأثر به وبهديه حتى قال فيه حذيفة: ما أعرف أحداً أقرب هدياً وسمتاً ودلاً بالنبي ﷺ من ابن أم عَبْد.

بعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة ليعلمهم أُمور دينهم وبعث عماراً أميراً وقال إنهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ فاقتدوا بهما، ثم أمَّرَهُ عثمان على الكوفة ثم عزله وأَمَرَهُ بالرجوع إلى المدينة فتوفي فيها سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وسبعين سنة.

٣ ـ عبد الله بن عباس:

هو ابن عمر رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين لازم النبي ﷺ لأنه ابن عمه وخالته ميمونة تحت النبي ﷺ، وضمه النبي ﷺ إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة، وفي رواية: الكتاب. وقال له حين وضع له وضوءه: اللهم فَقِههُ في الدين. فكان بهذا الدعاء المبارك حِبْرَ الأمة في نشر التفسير والفقه حيث وفقه الله تعالى للحرص على العلم والجد في طلبه والصبر على تلقيه وبذله فنال بذلك مكاناً عالياً حتى كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يدعوه إلى مَجَالِسه ويأخذ بقوله فقال المهاجرون ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟! فقال لهم: ذاكم فتى الكهول له لسان سؤول وقلب عقول، ثم دعاهم ذات يوم فأدخله معهم ليريهم منه ما رآه فقال عمر: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ حتى ختم السورة. فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح علينا. وسكت بعضهم، فقال عمر لابن عباس: أكذلك تقول؟ قال: لا. قال: فما تقول؟ قال: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له إذا جاء نصر الله

والفتح فتح مكة فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً. قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لَنِعْمَ تُرجُمان القرآن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد. أي ما كان نظيراً له، هذا مع أن ابن عباس عاش بعده ستاً وثلاثين سنة فما ظنك بما اكتسب بعده من العلم.

وقال ابن عمر لسائل سأله عن آية: انطلق إلى ابن عباس فاسأله فإنه أعلم من بقي بما أُنزل على محمد ﷺ. وقال عطاء: ما رأيت قطاً أكرم من مجلس ابن عباس فقهاً وأعظم خشية، إنَّ أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشِعر عنده يصدرهم كلهم من واد واسع. وقال أبو وائل: خطبنا ابن عباس وهو على الموسم (أي والٍ على موسم الحج من عثمان رضي الله عنه) فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجلٍ مثله ولو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت. ولاه عثمان على موسم الحج سنة خمس وثلاثين وولاه علي على البصرة فلما قتل مضى إلى الحجاز فأقام في مكة ثم خرج منها إلى الطائف فمات فيها سنة ثمانية وستين عن إحدى وسبعين سنة.

المشتهرون بالتفسير من التابعين

اشتهر بالتفسير من التابعين كثيرون فمنهم:

أ - أهل مكة وهم أتباع ابن عباس كمجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح.

ب - أهل المدينة وهم أتباع أُبي بن كعب. كزيد بن أسلم وأبي العالية ومحمد بن كعب القرظي.

جـ - أهل الكوفة وهم أتباع ابن مسعود. كقتادة وعلقمة والشعبي.

فلنترجم لحياة اثنين من هؤلاء: مجاهد وقتادة.

١ - مجاهد:

هو مجاهد بن جبر المكي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي

ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة وأخذ تفسير القرآن عن ابن عباس رضي الله عنهما روى ابن إسحاق عنه أنه قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية وأسأله عنها. وكان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. واعتمد تفسيره الشافعي والبخاري وكان كثيراً ما ينقل في صحيحه. وقال الذهبي في آخر ترجمته: أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به توفي في مكة وهو ساجد سنة أربع ومئة عن ثلاث وثمانين سنة.

٢ ـ قتادة:

هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري ولد أكمه أي أعمى سنة إحدى وستين وجَدَّ في طلب العلم وكان له حافظة قوية حتى قال عن نفسه: ما قلت لمحدث قط أعدلي وما سمعت أذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي .وذكره الإمام أحمد فأطنب في ذكره فجعل ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالإختلاف والتفسير ووصفه بالحفظ والفقه، وقال: قلما تجد من يتقدمه أما المثل فلعلْ وقال وهو أحفظُ أهل البصرة لم يسمع شيئاً إلا حفظه. توفي في واسط سنة سبع عشرة ومئة عن ست وخمسين سنة.

القرآن محكم ومتشابه:

يتنوع القرآن الكريم باعتبار الأحكام والتشابه إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الإحكام العام الذي وصف به القرآن كله، مثل قوله تعالى: ﴿**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**﴾. وقوله: ﴿**الٓر تلك آيات الكتاب الحكيم**﴾، وقوله: ﴿**وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم**﴾.

ومعنى هذا الإحكام الإتقان والجودة في ألفاظه ومعانيه فهو في غاية الفصاحة والبلاغة أخباره كلها صدق نافعة ليس فيها كذب ولا تناقض ولا لغو لا خير فيه. وأحكامه كلها عدل وحكمه ليس فيها جور ولا تعارض ولا حكم سفيه.

النوع الثاني: التشابه العام الذي وصف به القرآن كله مثل قوله تعالى: ﴿**الله نزَّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً معاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**﴾ ومعنى هذا التشابه أن القرآن كله يشبه بعضه بعضاً في الكمال والجودة والغايات الحميدة ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**﴾.

النوع الثالث: الإحكام الخاص ببعضه والتشابه الخاص ببعضه مثل قوله تعالى: ﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب**﴾.

ومعنى هذا الإحكام أن يكون معنى الآية واضحاً جلياً لا خفاء فيه مثل قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾، وقوله: ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾، وقوله: ﴿**أحل الله البيع**﴾، وقوله: ﴿**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به**﴾ وأمثال ذلك كثيرة.

ومعنى هذا التشابه أن يكون معنى الآية مشتبهاً خفياً بحيث يتوهم منه الواهم ما لا يليق بالله تعالى أو كتابه أو رسوله ويفهم منه العالم الراسخ في العلم خلاف ذلك.

مثاله فيما يتعلق بالله تعالى أن يتوهم واهم من قوله تعالى: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ إن لله يدين مماثلتين لأيدي المخلوقين.

ومثاله فيما يتعلق بكتاب الله تعالى أن يتوهم واهم تناقض القرآن وتكذيب بعضه بعضاً حين يقول: ﴿ **أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾، ويقول في موضع آخر: ﴿**وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله**﴾.

ومثاله فيما يتعلق برسول الله أن يتوهم واهم من قوله تعالى: ﴿**فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين**﴾ أن النبي ﷺ كان شاكاً فيما أنزل إليه.

موقف الراسخين في العلم والزائغين من المتشابه:

إن موقف الراسخين في العلم من المتشابه وموقف الزائغين منه بينه الله تعالى فقال في الزائغين: ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**﴾ وقال في الراسخين في العلم ﴿**والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**﴾. فالزائغون يتخذون من هذه الآيات المشتبهات وسيلة للطعن في كتاب الله وفتنة الناس عنه وتأويله لغير ما أراد الله تعالى به فيَضِلون ويُضِلونَ.

وأما الراسخون في العلم فيؤمنون بأن ما جاء في كتاب الله تعالى فهو حق وليس فيه اختلاف ولا تناقض لأنه من عند الله: ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**﴾ وما جاء مشتبهاً ردوه إلى المحكم ليكون الجميع محكماً.

ويقولون في المثال الأول: إن لله تعالى يدين حقيقتين على ما يليق بجلاله وعظمته لا تماثلان أيدي المخلوقين كما أن له ذاتاً لا تماثل ذوات المخلوقين لأن الله تعالى يقول: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾.

ويقولون في المثال الثاني: إن الحسنة والسيئة كلتاهما بتقدير الله عز وجل لكن الحسنة سببها التفضل من الله تعالى على عباده. أما السيئة فسببها فعل العبد كما قال تعالى: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**﴾ فإضافة السيئة إلى العبد من إضافة الشيء إلى سببه لا من إضافته إلى مُقَدِّره، أما إضافة الحسنة والسيئة إلى الله تعالى فمن باب إضافة الشيء إلى مقدره وبهذا يزول ما يوهم الاختلاف بين الآيتين لانفكاك الجهة.

ويقولون في المثال الثالث: إن النبي ﷺ لم يقع منه شك فيما أنزل إليه بل هو أعلم الناس به وأقواهم يقيناً كما قال الله تعالى في نفس السورة: **﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾** الآية. المعنى إن كنتم في شك منه فأنا على يقين منه ولهذا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله بل أكفر بهم وأعبد الله.

ولا يلزم من قوله: **﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك﴾** أن يكون الشك جائزاً على الرسول ﷺ أو واقعاً منه ألا ترى قوله تعالى: **﴿قل إن كان للرحمٰن ولد فأنا أول العابدين﴾** هل يلزم منه أن يكون الولد جائزاً على الله تعالى أو حاصلاً؟ كلا، فهذا لم يكن حاصلاً ولا جائزاً على الله تعالى قال الله تعالى: **﴿وما ينبغي للرحمٰن أن يتخذ ولداً إن كل من في السمٰوات والأرض إلا آتي الرحمٰن عبداً﴾**.

ولا يلزم من قوله تعالى: **﴿فلا تكونن من الممترين﴾** أن يكون الإمتراء واقعاً من الرسول ﷺ لأن النهي عن الشيء قد يوجه إلى من لم يقع منه ألا ترى قوله تعالى: **﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين﴾** ومن المعلوم أنهم لم يصدُّوا النبي ﷺ عن آيات الله وأن النبي ﷺ لم يقع منه شرك والغرض من توجيه النهي إلى من لا يقع منه التنديد بمن وقع منهم والتحذير من منهاجهم، وبهذا يزول الاشتباه وظن ما لا يليق بالرسول ﷺ.

أنواع التشابه في القرآن:

التشابه الواقع في القرآن نوعان:

أحدهما: حقيقي وهو ما لا يمكن أن يعلمه البشر كحقائق صفات الله عز وجل فإننا وإن كنا نعلم معاني هذه الصفات لكننا لا ندرك حقائقها وكيفيتها لقوله تعالى: **﴿ولا يحيطون به علماً﴾**، وقوله تعالى: **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾** ولهذا لما سُئِل الإمام مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: **﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾**

كيف استوى قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. وهذا النوع لا يسأل عن استكشافه لتعذر الوصول إليه.

النوع الثاني: نسبي وهو ما يكون مشتبهاً على بعض الناس دون بعض فيكون معلوماً للراسخين في العلم دون غيرهم. وهذا النوع يسأل عن استكشافه وبيانه لإمكان الوصول إليه إذ لا يوجد في القرآن شيء لا يتبين معناه لأحد من الناس قال الله تعالى: **﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾**، وقال: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾** وقال: **﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾** وقال: **﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾**.

وأمثلة هذا النوع كثيرة منها قوله تعالى **﴿ليس كمثله شيء﴾** حيث اشتبه على أهل التعطيل ففهموا منه انتفاء الصفات عن الله تعالى وادعوا أن ثبوتها يستلزم المماثلة وأعرضوا عن الآيات الكثيرة الدالة على ثبوت الصفات له وإن إثبات أصل المعنى لا يستلزم المماثلة.

ومنها قوله تعالى: **﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾** حيث اشتبه على الوعيدية ففهموا منه أن قاتل المؤمن عمداً مخلد في النار وطردوا ذلك في جميع أصحاب الكبائر وأعرضوا عن الآيات الدالة على أن كل ذنب دون الشرك فهو تحت مشيئة الله تعالى.

ومنها قوله تعالى: **﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾** حيث اشتبه على الجبرية ففهموا منه أن العبد مجبور على عمله وادعوا أنه ليس له إرادة ولا قدرة عليه. وأعرضوا عن الآيات الدالة على أن للعبد إرادة وقدرة وأن فعل العبد نوعان اختياري وغير اختياري.

والراسخون في العلم أصحاب العقول يعرفون كيق يخرجون هذه

الآيات المتشابهة إلى معنى يتلاءم مع الآيات الأخرى فيبقى القرآن كله محكماً لا اشتباه فيه.

الحكمة في تنوع القرآن إلى محكم ومتشابه:

لو كان القرآن كله محكماً لفاتت الحكمة من الاختبار به تصديقاً وعملاً لظهور معناه وعدم المجال لتحريفه والتمسك بالمتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. ولو كان كله متشابهاً لفات كونه بياناً وهدى للناس ولما أمكن العمل به وبناء العقيدة السليمة عليه ولكن الله تعالى بحكمته جعل منه آيات محكمات يرجع إليهن عند التشابه وأخر متشابهات امتحاناً للعباد ليتبين صادق الإيمان ممن في قلبه زيغ فإن صادق الإيمان يعلم أن القرآن كله من عند الله تعالى وما كان من عند الله فهو حق ولا يمكن أن يكون فيه باطل أو تناقض لقوله تعالى: **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾**، وقوله: **﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾**.

وأما من في قلبه زيغ من المتشابه سبيلاً إلى تحريف المحكم واتباع الهوى في التشكيك في الأخبار والإستكبار عن الأحكام ولهذا تجد كثيراً من المنحرفين في العقائد والأعمال يحتجون على انحرافهم بهذه الآيات المتشابهة.

موهم التعارض في القرآن

التعارض أن تتقابل آيتان بحيث يمنع مدلول إحداهما مدلول الأخرى، مثل أن تكون إحداهما مثبتة لشيء والأخرى نافية له.

ولا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما خبري لأنه يلزم كون إحداهما كذباً وهو مستحيل في أخبار الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً - وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ ولا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما حُكْمِي لأن الأخيرة منهما ناسخة للأولى قال الله تعالى: ﴿ما نَنْسَخْ مِنْ آيةٍ أَوْ نُنْسِهَا نأتِ بخيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ وإذا ثبت النسخ كان حكم الأولى غير قائم ولا معارض للأخيرة.

وإذا رأيت ما يوهم التعارض من ذلك فحاول الجمع بينهما فإن لم يتبين لك وجب عليك التوقف وتكل الأمر إلى عالمه.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أمثلة كثيرة لما يوهم التعارض وبينوا الجمع في ذلك ومن أجمع ما رأيت في هذا الموضوع كتاب (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب) للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى فمن أمثلة ذلك قوله تعالى في القرآن ﴿هُدىً لِلْمُتَقينَ﴾، وقوله فيه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدىً لِلنَاسِ﴾ فجعل هداية القرآن في الآية الأولى خاصة بالمتقين وفي الثانية عامة للناس والجمع بينهما أن الهداية في الأولى هداية التوفيق والإنتفاع والهداية في الثانية هداية التبيين والإرشاد.

ونظير هاتين الآيتين قوله تعالى في الرسول ﷺ: ﴿إنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أحْبَبْت وَلَكِنَّ الله يَهْدي من يشاء﴾، وقوله فيه: ﴿وَإنَّك لَتَهْدي إلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيم﴾ فالأولى هداية التوفيق والثانية هداية التبيين ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم**﴾، وقوله: ﴿**وما من إله إلا الله**﴾، وقوله: ﴿**ولا تدع مع الله إلهاً آخر**﴾، وقوله: ﴿**فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب**﴾ ففي الآيتين الأوليين نفي الألوهية عما سوى الله تعالى وفي الأخريين إثبات الألوهية لغيره.

والجمع بين ذلك أن الألوهية الخاصة بالله عز وجل هي الألوهية الحق وأن المثبتة لغيره هي الألوهية الباطلة لقوله تعالى: ﴿**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير**﴾. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**قل إن الله لا يأمر بالفحشاء**﴾، وقوله: ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً**﴾ ففي الآية الأولى نفي أن يأمر الله تعالى بالفحشاء وظاهر الثانية أن الله تعالى يأمر بما هو فسق.

والجمع بينهما أن الأمر في الآية الأولى هو الأمر الشرعي والله تعالى لا يأمر شرعاً بالفحشاء لقوله تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي**﴾ والأمر في الآية الثانية هو الأمر الكوني والله تعالى يأمر كوناً بما شاء حسب ما تقتضيه حكمته لقوله تعالى: ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾.

ومن رام زيادة أمثلة فليرجع إلى كتاب الشنقيطي المشار إليه آنفاً.

القســم

القسم: بفتح القاف والسين اليمين وهو تأكيد الشيء بذكر مُعَظَّم بالواو أو إحدى أخواتها وأدواته ثلاث:

الواو ـ مثل قوله تعالى: ﴿**فورب السماء والأرض إنه لحق**﴾ ويحذف معها العامل وجوباً ولا يليها إلا اسم ظاهرٍ.

والباء ـ مثل قوله تعالى: ﴿**لا أقسم بيوم القيامة**﴾ ويجوز معها ذكر العامل كما في هذا المثال ويجوز حذفه كقوله تعالى عن إبليس ﴿**قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين**﴾ ويجوز أن يليها اسم ظاهر كما مثلنا وأن يليها ضمير كما في قولك: الله ربي وبه أحلف لينصرن المؤمنين.

والتاء ـ مثل قوله تعالى: ﴿**تالله لتسألن عما كنتم تفترون**﴾ ويحذف معها العامل وجوباً ولا يليها إلا اسم الله أو رب: مثل ورب الكعبة لأحجن إن شاء الله.

والأصل ذكر المقسم به وهو كثير كما في المثل السابقة.

وقد يحذف وحده مثل قولك: أحلف عليك لتجتهدن.

وقد يحذف مع العامل وهو كثير مثل قوله تعالى: ﴿**ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**﴾.

والأصل ذكر المقسم عليه وهو كثير مثل قوله تعالى: ﴿**قل بلى وربي لتبعثن**﴾.

وقد يحذف جوازاً مثل قوله تعالى: ﴿**قٓ والقرآن المجيد**﴾ وتقديره ليهلكن.

وقد يحذف وجوباً إذا تقدمه أو اكتنفه ما يغني عنه قال ابن هشام في المعنى ومثل له بنحو: زيد قائم والله. وزيد والله قائم.

وللقَسَم فائدتان:

إحداهما: بيان عظمة المقسم به.

والثانية: بيان أهمية المقسم عليه وإرادة توكيده ولذا لا يحسن القسم إلا في الأحوال التالية:

الأولى: أن يكون المقسم عليه ذا أهمية.

الثانية: أن يكون المخاطب متردداً في شأنه.

الثالثة: أن يكون المخاطب مُنْكِراً له.

القصص

القصص والقص لغة: تتبع الأثر.

وفي الإصطلاح: الأخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضاً.

وقصص القرآن أصدق القصص لقوله تعالى: ﴿**ومن أصدق من الله حديثاً**﴾ وذلك لتمام مطابقتها للواقع.

وأحسن القصص لقوله تعالى: ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن**﴾ وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى.

وأنفع القصص لقوله تعالى: ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**﴾ وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق.

وهي ثلاثة أقسام:

- قسم عن الأنبياء والرسل وما جرى لهم مع المؤمنين بهم والكافرين.

- وقسم عن أفراد وطوائف جرى لهم ما فيه عبرة فنقله الله تعالى عنهم كقصة مريم ولقمان والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وذي القرنين وقارون وأصحاب الكهف وأصحاب الفيل وأصحاب الأخدود وغير ذلك.
- وقسم عن حوادث وأقوام في عهد النبي ﷺ كقصة غزوة بدر وأحد والأحزاب وبني قريظة وبني النضير وزيد بن حارثة وأبي لهب وغير ذلك.

وللقصص في القرآن حكم كثيرة عظيمة منها:

١ ـ بيان حكمة الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص لقوله تعالى: **﴿ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر﴾**.

٢ ـ بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين لقوله تعالى عن المكذبين **﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك﴾**.

٣ ـ بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين لقوله تعالى: **﴿إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر﴾**.

٤ ـ تسلية النبي ﷺ عما أصابه من المكذبين له لقوله تعالى: **﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير﴾**.

٥ ـ ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والإزدياد منه إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين وانتصار من أمروا بالجهاد لقوله تعالى: **﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾**، وقوله: **﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾**.

٦ ـ تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم لقوله تعالى: **﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها﴾**.

٧ - إثبات رسالة النبي ﷺ فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾، وقوله: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾.

تكرار القصص

من القصص القرآنية ما لا يأتي إلا مرة واحدة مثل قصة لقمان وأصحاب الكهف ومنها ما يأتي متكرراً حسب ما تدعو إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر ومن الحكمة في هذا التكرار:

١ - بيان أهمية تلك القصة لأن تكرارها يدل على العناية بها.

٢ - توكيد تلك القصة لتثبت في قلوب الناس.

٣ - مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالباً فيما أتى من القصص في السور المكية والعكس فيما أتى في السور المدنية.

٤ - بيان بلاغة القرآن في ظهور هذه القصص على هذا الوجه وذاك الوجه على ما تقتضيه الحال.

٥ - ظهور صدق القرآن وأنه من عند الله تعالى حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدون تناقض.

الإسرائيليات

الإسرائيليات: الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل من اليهود وهو الأكثر أو من النصارى وتنقسم هذه الأخبار إلى ثلاثة أنواع:

الأول: ما أقره الإسلام وشهد بصدقه فهو حق.

مثاله: ما رواه البخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنَّا نجد أنّ الله يجعل السمٰوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع فيقول: أنا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ: **﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسمٰوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾**.

الثاني: ما أنكره الإسلام وشهد بكذبه فهو باطل.

مثاله: ما رواه البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت: **﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾**.

الثالث: ما لم يقره الإسلام ولم ينكره فيجب التوقف فيه، لما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: **﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم﴾** الآية. ولكن التحدث بهذا النوع جائز إذا لم يخشَ محذور لقول النبي ﷺ:

بلغوا عني ولو آية وحدثـوا عن بني إسرائيـل ولا حرج ومن كـذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. رواه البخاري.

وغالب ما يروى عنهم من ذلك ليس بذي فائدة في الدين كتعيين لون كلب أصحاب الكهف ونحوه.

وأما سؤال أهل الكتاب عن شيء من أُمور الدين فإنه حرام لما رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا فإنكم إما أن تصدقوا بباطل أو تكذبوا بحق وإنه لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني». وروى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله مَحضاً لم يشب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتاب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم قالوا هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمنـاً قليلاً أو لا ينهـاكم ما جـاءكم من العلم عن مسألتهم فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل إليكم.

موقف العلماء من الإسرائيليات:

اختلفت مواقف العلماء ولا سيما المفسرون من هذه الإسرائيليـات على ثلاثة أنحاء:

أ - فمنهم من أكثر منها مقرونة بأسانيدها ورأى أنه بذكر أسانيدها خرج من عهدتها مثل ابن جرير الطبري.

ب - ومنهم من أكثر منها وجردها من الأسانيد غالباً فكان حاطب ليل مثل البغوي الذي قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن تفسيره إنه مختصر من الثعلبي لكنه صانه عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة، وقال عن الثعلبي إنه حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع.

جـ - ومنهم من ذكر كثيراً منها وتعقب البعض مما ذكره بالتضعيف أو الإنكار مثل ابن كثير.

د - ومنهم من بالغ في ردها ولم يذكر منها شيئاً يجعله تفسيراً للقرآن كمحمد رشيد رضا.

الضمير

الضمير لغة: من الضمور وهو الهزال لقلة حروفه أو من الإضمار وهو الإخفاء لكثرة استتاره.

وفي الإصطلاح: ما كنى به عن الظاهر اختصاراً وقيل: ما دل على حضور أو غيبة لا من مادتهما.

فالدال على الحضور نوعان:

أحدهما: ما وضع للمتكلم مثل: (وأفوض أمري إلى الله).

الثاني: ما وضع للمخاطب مثل: ﴿**صراط** الذين **أنعمتَ عليهم**﴾.

وهذا لا يحتاجان إلى مرجع اكتفاء بدلالة الحضور عنه.

والدال على الغائب: ما وضع للغائب. ولا بد له من مرجع يعود عليه.

والأصل في المرجع أن يكون سابقاً على الضمير لفظاً ورتبة مطابقاً له لفظاً ومعنى مثل: ﴿**ونادى نوح ربه**﴾.

وقد يكون مفهوماً من مادة الفعل السابق مثل: ﴿**اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾.

وقد يسبق لفظاً لا رتبة مثل: ﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربه**﴾.

وقد يسبق رتبة لا لفظاً مثل: (حمل كتابه الطالب).

وقد يكون مفهوماً من السياق مثل: ﴿**ولأبويه لكل منهما السدس مما**

ترك إن كان له ولد﴾ فالضمير يعود على الميت المفهوم من قوله: **﴿مما ترك﴾**.

وقد لا يطابق الضمير معنى مثل: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة﴾** فالضمير يعود على الإنسان باعتبار اللفظ لأن المجعول نطفة ليس الإنسان الأول.

وإذا كان المرجع صالحاً للمفرد والجمع جازَ عَود الضمير عليه بأحدهما مثل: **﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً﴾**.

والأصل اتحاد مرجع الضمائر إذا تعددت مثل: **﴿علّمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾** فضمائر الرفع في هذه الآيات تعود إلى شديد القوى وهو جبريل.

والأصل عود الضمير على أقرب مذكور إلا في المتضايفين فيعود على المضاف لأنه المتحدث عنه مثال الأول: **﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾**.

ومثال الثاني: **﴿وإن تَعدُّوا نعمة الله لا تحصوها﴾**.

وقد يأتي على خلاف الأصل فيما سبق بدليل يدل عليه.

الإظهار في موضع الإضمار:

الأصل أن يؤتى في مكان الضمير بالضمير لأنه أبين للمعنى وأخصر للفظ ولهذا ناب الضمير في قوله تعالى: **﴿أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾** عن عشرين كلمة المذكورة قبله وربما يؤتى مكان الضمير بالإسم الظاهر وهو ما يسمى (الإظهار في موضع الإضمار) وله فوائد كثيرة تظهر بحسب السياق منها:

١ ـ الحكم على مرجعه بما يقتضيه الإسم الظاهر.

٢ ـ بيان علة الحكم.

٣ ـ عموم الحكم لكل متصف بما يقتضيه الإسم الظاهر.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾ ولم يقل فإن الله عدو له فأفاد هذا الإظهار:

١ ـ الحكم بالكفر على من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال.

٢ ـ أن الله عدو لهم لكفرهم.

٣ ـ أن كل كافر فالله عدو له.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المُصلحين﴾ ولم يقل إنا لا نضيع أجرهم وأفاد ثلاثة أمور:

١ ـ الحكم بالإصلاح للذين يمسكون الكتاب ويقيمون الصلاة.

٢ ـ إن الله آجرهم لإصلاحهم.

٣ ـ إن كل مصلح فله أجر غير مضاع عند الله تعالى.

وقد يتعين الإظهار كما لو تقدم الضمير مرجعان يصلح عوده إلى كل منها والمراد أحدهما مثل: اللهم أصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانة ولاة أمورهم، إذ لو قيل وبطانتهم لأوهَم أن يكون المراد بطانة المسلمين.

ضمير الفصل:

ضمير الفصل حرف بصيغة ضمير الرفع المنفصل يقع بين المبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين.

ويكون بضمير المتكلم كقوله تعالى: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ وقوله: ﴿وأنا لنحن الصافون﴾ وبضمير المخاطب كقوله تعالى: ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾.

وبضمير الغائب كقوله تعالى: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾.

وله ثلاث فوائد:

الأولى: التوكيد، فإن قولك: زيد هو أخوك أوكَد من قولك: زيد أخوك.

الثانية: الحصر وهو اختصاص ما قبله بما بعده فإن قولك: المجتهد هو الناجح يفيد اختصاص المجتهد بالنجاح.

الثالثة: الفصل أي التمييز بين كون ما بعده خبراً أو تابعاً فإن قولك: زيد الفاضل يحتمل أن تكون الفاضل صفة لزيد والخبر منتظر ويحتمل أن تكون الفاضل خبراً فإذا قلت: زيد هو الفاضل تعين أن تكون الفاضل خبراً لوجود ضمير الفصل.

الإلتفات

الإلتفات: تحويل أسلوب الكلام من وجه إلى آخر وله صور منها:

١ ـ الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى: ﴿**الحمد لله رب العالمين الرحمٰن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ فحول الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قوله: إياك.

٢ ـ الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة كقوله تعالى: ﴿**حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم**﴾ فحول الكلام من الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿**وجرين بهم**﴾.

٣ ـ الإلتفات من الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى: ﴿**ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم إثني عشر نقيباً**﴾ فحول الكلام من الغيبة إلى التكلم في قوله: ﴿**وبعثنا**﴾.

٤ ـ الإلتفات من التكلم إلى الغيبة كقوله تعالى: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك**﴾ فحول الكلام من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿**لربك**﴾.

وللإلتفات فوائد منها:

١ ـ حمل المخاطب على الإنتباه لتغير وجه الأسلوب عليه.

٢ ـ حمله على التفكير في المعنى لأن تغير وجه الأسلوب يؤدي إلى التفكير في السبب.

٣ ـ دفع السآمة والملل عنه لأن بقاء الأسلوب على وجه واحد يؤدي إلى الملل غالباً.

وهذه الفوائد عامة للإلتفات في جميع صوره.

أما الفوائد الخاصة فتتعين في كل صوره حسب ما يقتضيه المقام.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين.

تم ولله الحمد رب العالمين

فهرس الجزء الأول